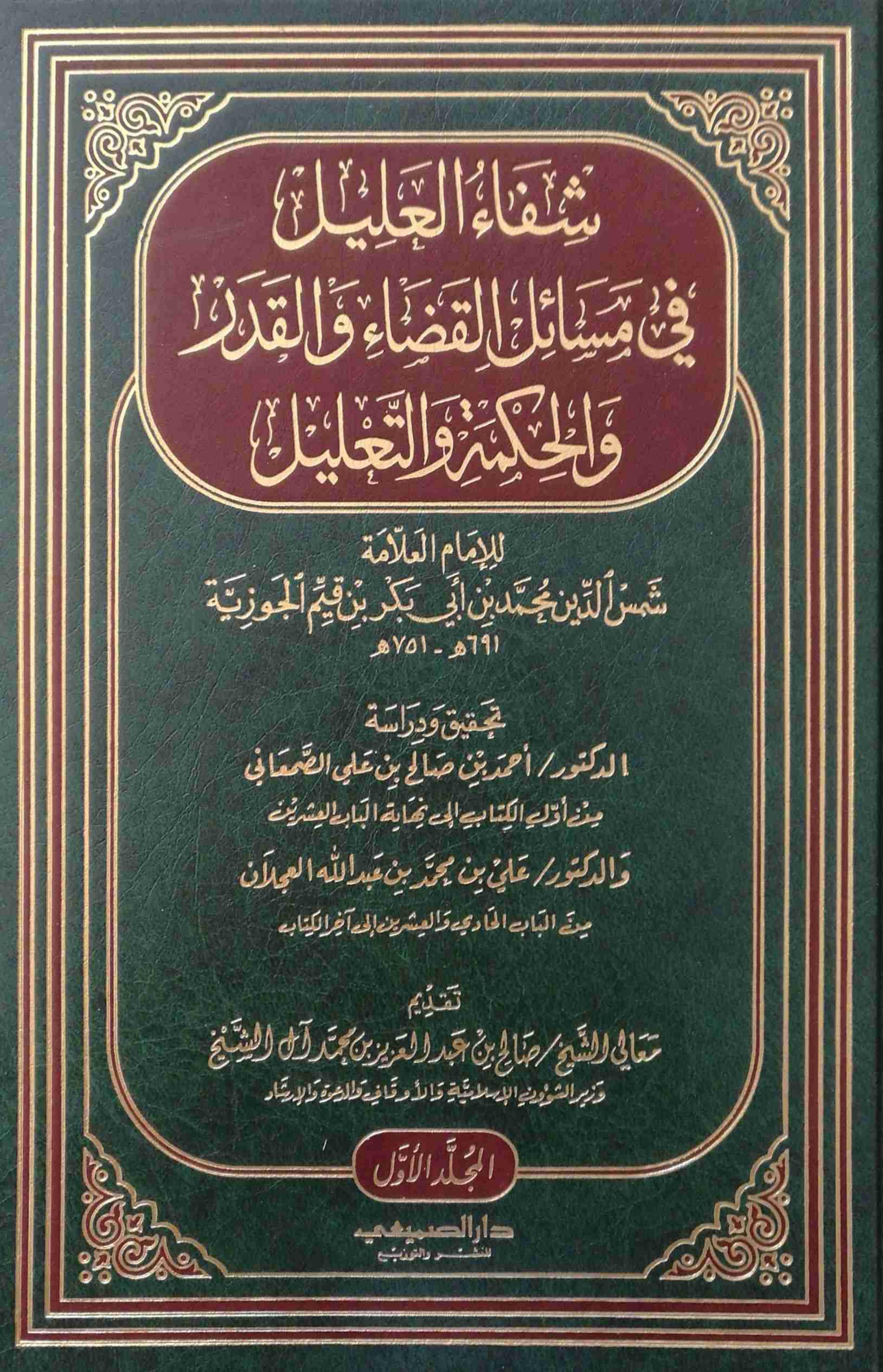


شفاء العليل
في مسائل القضاء والقدر
والحكمة والتعليل
للإمام العلامة
شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية
٦٩١هـ - ٧٥١هـ
تحقيق ودراسة
الدكتور / أحمد بن صالح بن علي الصمعاني
من أول الكتاب إلى نهاية الباب العشرين
والدكتور / علي بن محمد بن عبد الله العجلان
من الباب الحادي والعشرين إلى آخر الكتاب
تقديم
معالي الشيخ / صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المجلد الأول
دار الصميعي
للنشر والتوزيع

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

(١)

بسم اللہ الرحمٰن الرحیم

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

للإمام العلامة
شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية
٦٩١هـ - ٧٥١هـ

من أول الكتاب إلى نهاية الباب العشرين - تحقيقاً ودراسة

تحقيق ودراسة
الدكتور / أحمد بن صالح بن علي الصمعاني

المجلد الأول

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

الطّبعة الثانية

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ ـ ٤٢٥١٤٥٩ فاكس ٤٢٤٥٣٤١
المركز الرئيس : الرياض ـ شارع السويدي العام
ص.ب ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية
فرع القصيم : عنيزة ، أمام جامع الشيخ (بن عثيمين) يرحمه الله
هاتف ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس ٣٦٢١٧٢٨

تقديم
معالي الشيخ / صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل لـه ، ومن يـضلل فـلا هادي له .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسـوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد :

فإن الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره أحد أركان الإيمان العظام ، وله في الشريعة مكانة عظيمة ؛ إذ هو سر الله في خلقه وهو نظام التوحيد ، ولا يحصل الإنسان إيمان إلا به ، قد جاء ذكره في القرآن الكريم والسنة المطهرة ؛ قال تعـالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] .

وفي حديث جبريل المشهور ـ الذي عدَّه بعض أهل العلم أمَّ السنة ـ عن عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُـرى عليـه أثـر الـسفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيـه على فخذيه ، إلى أن قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالقـدر خـيره وشره » . رواه مسلم .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله ، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه » رواه الترمذي .

وعند مسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز » .

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة عاق ، ولا مدمن خمر ، ولا مكذّب بقدر » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال : « يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذي .

ولقد كانت عناية السلف بهذا الأمر عظيمة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : القدر نظام التوحيد ، فمن وحّد الله وآمن بالقدر تم توحيده ، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقص توحيده .

وعن الحسن البصري رحمه الله قال : إن الله قدّر أجلاً ، وقدّر معه مرضاً ، وقدّر معه معافاة ، فمن كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن، ومن كذب بالقرآن فقد كذب بالحق .

وعن الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ أنه قال : القدر قدرة الله .

وقال غيره : القدر سر الله في خلقه .

ذلك أن إنكار القدر إنما هو في الحقيقة إنكار لقدرة الله على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها ، وعلى تصرفه في عبيده ، وعلى نفوذ مشيئته وعمومها ، ودقة حكمته وتعليلها .

ومن أهم ما يذكر في هذا الباب من مجمل اعتقاد السلف ما يلي :

أولاً : أن القدر على أربع مراتب :

المرتبة الأولى : العلم .

فهم يؤمنون بأن الله عالم بكل شيء علماً أزلياً ، فيعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون . قال تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] . وقال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ : ٢] . وقال تعالى : ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ :٣] . وقال تعالى : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام :٢٨] .

ولما سُئل النبي ﷺ عن أبناء المشركين قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » رواه البخاري .

وقال ﷺ : «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار » .

وأعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه .

المرتبة الثانية : الكتابة .

فقد كتب الله ما سبق به علمه من مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم ، وكتب آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وما يصيرون إليه من السعادة والشقاوة ، وكل ذلك مكتوب عنده في اللوح المحفوظ . **قال تعالى** : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس : ١٢] . **وقال تعالى** : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج : ٧] .

وقال ﷺ : « **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة** » . **قال** : « **وكان عرشه على الماء** » . رواه مسلم .

وقال ﷺ : « **ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار ، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة** » متفق عليه .

المرتبة الثالثة : المشيئة .

فلله المشيئة النافذة والقدرة الشاملة ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون ، فلا يقع شيء - من خير أو شر أو إيمان أو كفر أو حركة أو سكون - إلا وفق هذه المشيئة ، **قال تعالى** : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص : ٦٨] . **وقال تعالى** : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود :١١٨] . **وقال تعالى** : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣].

وقال ﷺ : « **إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء** » رواه مسلم .

المرتبة الرابعة : الخلق والإيجاد .

فالله تعالى خالق كل شيء وموجده من العدم : ذاتاً وصفةً وفعلاً . قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر :٦٢]. وقال تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان :٢] . وقال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٣] . وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر :٢٤] . وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة :٤] . وقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ ﴾ [الرحمن: ١-٣] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر : ٣] .

وكما أن الله ـ جل وعلا ـ هو خالق العباد فهو كذلك خالق أفعالهم من الطاعات والمعاصي والكفر والإيمان والحركات والسكنات وسائر التصرفات . قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] .

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال : « إن الله يصنع كل صانع وصنعته » .

ثانياً : من منهج أهل السنة والجماعة في باب الإرادة أنها تطلق في نصوص الكتاب والسنة على معنيين :

الأول : الإرادة الكونية القدرية الخلقية .

وهذه الإرادة لا يلزم منها محبة الله ولا رضاه ، بل يدخل فيها ما يحبه من الطاعات وأنواع القربات ، كما يدخل فيها ما يسخطه من الكفر وأنواع المعاصي،

ووقوعها متحقق لا يخرج عنها شيء البتة ، وهي المقصودة في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام :١٢٥] . وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩] ، وقوله تعالى : ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام :٣٩] .

والكفر والفسوق والعصيان ، وإنْ خلقه الله وأراده كوناً وقدراً ، إلا أنه تعالى لا يحبه ولا يرضى عن صاحبه ، بل يبغضه ويسخطه ؛ قال تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر :٧] . وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة : ٢٠٥] .

فهي تتعلق بما يقع بغضّ النظر عن كون ذلك المقدور محبوباً لله أو مكروهاً .

المعنى الثاني : الإرادة الشرعية الدينية الأمرية .

وهذه الإرادة هي التي تتعلق بما يحبه الله ويرضاه من القول والعمل والاعتقاد، إلا أنه لا يشترط فيها الوقوع .

فالله ـ جل وعلا ـ يريد من عباده : الإيمان ويأمرهم به ويرضاه لهم ، إلا أنه قد يؤمن العباد ، وقد يكفرون ، ولذلك قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن : ٢] مع أن الله لم يأمر من كفر بالكفر ولم يرده منه شرعاً بل نهاه عنه، وحذره منه ورتب عليه أنواعاً من العقوبات الدنيوية والأخروية .

وهذه الإرادة هي المقصودة في قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ

بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب :٣٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء : ٢٧-٢٨] .

ثالثاً : ومن عقيدة السلف أن للمخلوق مشيئة وإرادة واختياراً وله قدرة واستطاعة .

قال تعالى : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ **[الكهف :٢٩] ، وقال تعالى:** ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ **[هود : ١٥] ، وقال تعالى :** ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ **[المزمل : ١٩] .**

وما في الشريعة من أحكام وأوامر ونواهٍ وترغيب وترهيب ، وما اشتملت عليه من أنواع الزواجر والعقوبات الدنيوية والأخروية كلها دالة على هذه الإرادة مثبتة لها . إلا أن هذه المشيئة داخلة في مشيئة الله الكونية القدرية ، قال تعالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ **[التكوير : ٢٩] . فأثبت مشيئة المخلوقين ، ثم بيَّن أنها داخلة في مشيئة الله ؛ لدفع إيهام الاستقلال .**

رابعاً : أن نسبة الهداية إلى الله نسبة قدرية كونية ونسبة شرعية أمرية فهو الذي قدرها وقضاها وأمر بها ومنحها من شاء من عباده تفضلاً منه ومِنَّة ؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ **[يونس: ٢٥] ؛**

فعمم الدعوة وخصص في الهداية بمن شاء .

وأما الإضلال فنسبته إلى الله نسبة خلق وإيجاد من جهة الإرادة الكونية القدرية لا من جهة الإرادة الشرعية الدينية ؛ ولذلك قال تعالى : ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت : ٤٦] ، وفي الحديث القدسي : « يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » رواه مسلم .

ولذلك كان الإنسان مأموراً بأن يشهد الربوبية عند فعل الطاعات وحصول النعم حتى يشكر الله ـ جل وعلا ـ عليها ؛ إذ هو المتفضل بها عليه بلا استحقاق ، وهذا هو شأن المؤمنين المعترفين لله بالفضل كما أخبر الله عنهم : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

وأن يشهد القدر عند حلول المصائب وأنواع البلاء ؛ فيصبر ويسلم لله ويرضى بقضائه كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] .

وأما عند الذنوب والمعاصي فيُؤمر بشهود إساءته على نفسه وظلمه لهما بما يدفعه إلى التوبة والإنابة عسى أن يتجاوز الله عنه كما تجاوز عن أبويه إذ قالا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

ومن استغفار النبي ﷺ قوله : « أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء لك بذنبي ؛ فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » رواه البخاري .

وهذا مما يغفل عنه كثير من الناس ؛ إذا لا يستحضرون فضل الله عليهم

بالهداية ، ولا يستشعرون منَّته عليهم بأنواع النعم ، مما قد يوقع في العُجب ، والشعور باستحقاق الأجر بالعمل لا برحمة الله وفضله ؛ ولهذا أخبر النبي ﷺ أنه : « لا يدخل الجنة أحدٌ بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته » ؛ بل إن النبي ﷺ قال : « لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم » رواه أبو داوود .

ومعنى الحديث: أن التعذيب لو وقع لكان لاستحقاقهم لذلك لا لكونه بغير ذنب .

ومن العبارات التي تذكر في هذا المقام قولهم : إن القدر يحتج به عند حصول المصائب لا عند فعل المعايب .

وبعد : فباب القدر من أهم أبواب العقيدة وأخطرها ، ولهذا نهى النبي ﷺ صحابته عن الخوض فيه ، وأمرهم إذا ذُكر القدر أن يمسكوا ؛ لأنه فوق قدرات البشر العقلية ، وهو سر مكتوم لم يطلع عليه مَلَك مقرب ولا نبي مرسل .

وقد رام قومٌ إليه سبيلاً فزلت فيه أقدامهم ، وتاهت فيه أفهامهم ، وضلت فيه عقولهم ، وفتحوا على أنفسهم وعلى الأمة باب فتنة لم يُخلقوا له ، ولم يُؤمروا به ، فوقفت بهم ركائبهم في صحراء تيهٍ على طرفَي نقيض ؛ فريقٌ أنكروا قدرة الخالق على خلق أفعال عباده ، ونسبوا خلقها إلى العباد أنفسهم ، فأشبهوا المجوس ، وفريق أنكروا أن يكون للمخلوق قدرة أو اختيار ، وإنما هو كالريشة في مهب الريح تميل معها حيث مالت ، فأشبهوا المشركين . ومذهب أهل السنة والجماعة ـ كما مر ـ وسطٌ بين الفريقين .

والخلاف في القدر خلاف قديم عريض، وأكثره مبني على الخلاف في المسائل التالية:

١- تعليل أفعال الله عز وجل .
٢- التحسين والتقبيح .

٣- مفهوم الاستطاعة .   ٤- مفهوم الظلم .

٥- الإرادة وعلاقتها بالمحبة والرضا .

مع ما تفرع عنها من مسائل أخرى : كوجوب فعل الأصلح على الله ، والتكليف بما لا يطاق وعلاقة إرادة المخلوق بإرادة الخالق .

ومنشأ الضلال فيه الحيدة عن منهج السلف ، واتباع غير سبيل المؤمنين ، وقياس أفعال الله ـ جل وعلا ـ على أفعال خلقه ، وتقديم العقل على النقل حيث يقررون أصولاً عقلية ثم يعمدون إلى نصوص الشرع فيؤولونها بما يتفق مع ما في أذهانهم من تلك المقررات العقلية .

وقد هيأ الله من سلف هذه الأمة وأئمة الهدى من يبين الحق ويدحض شبه القوم ، ويهدم أصولهم ، ولا زال علماء أهل السنة والجماعة متوافرين على ذلك يهدون الضال ، ويرشدون الحائر ، ويردون الشارد ، ويزيلون الالتباس ، وينفون عن دين الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

ولا تكاد كتب السلف تخلو من فصول وأبواب يردون فيها على الفِرق التي حادت عن منهج الحق في باب القدر . ومن الأئمة الذين تصدوا لهذا الأمر في رسائل وكتب مستقلة : الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز ، والإمام مالك بن أنس، وأبوداود سليمان بن الأشعث ، وابن وهب القرشي ، وأبوبكر جعفر الفريابي ، والإمام البخاري ، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم كثير .

ومن أولئك الأئمة العالم الرباني الإمام المحقق شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، الذي ألف كتاباً كبيراً سماه : «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » استوعب فيه غالب ما يتعلق بهذا الباب من مسائل ، محرراً محل النزاع ، منتصراً لمنهج السلف الصالح ، وهو كتاب نفيس لا يستغني

عنه طلاب العلم ، ولا يشبع منه العلماء ، وقد طُبع مراراً ، إلا أن غالب الطبعات بُنيت على نسخ خطية ناقصة مما جعل الفائدة منه غير مكتملة .

وقد وفَّق اللهُ الأخوين الكريمين : فضيلة الدكتور / أحمد بن صالح الصمعاني، وفضيلة الدكتور / علي بن محمد العجلان ، فقاما بتحقيق الكتاب.

وقد اطلعت عليه فألفيت ما قاما به جهداً مشكوراً وعملاً مبروراً .

وإني إذ أدوّن هذه الكلمات في التقديم لهذا الكتاب لأشكر الأخوين الكريمين على عملهما فيه ، وأقدّر لهما كل ما بذلاه فيه من وقت وجهد حتى خرج في حُلّته القشيبة ، وأسأل الله لهما مزيداً من التوفيق والسداد ، وأن يجزيهما خير الجزاء على العناية بهذا السفر العظيم .

وأن يهيىء لكتب السلف غير المخدومة من يميط عنها اللثام ، ويحقق نصوصها، ويقرّب عباراتها ، ويشرح غوامضها ؛ حتى تستفيد منها الأمة وينهل منها طلاب العلم ، عائدةً إلى منهج السلف وطرقهم الحميدة .

وصلى الله وسلم على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد




كلمة الناشر

تتشرف دار الصميعي للنشر والتوزيع بالرياض بإخراج هـذا الـسفر المبـارك ، وهو كتاب « شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله ، بتحقيق الأستاذين الفاضـلين : الـدكتور أحمـد بـن صـالح الصمعاني ، والدكتور عـلي بـن محمـد العجـلان ، اللـذان اشـتركا في تحقيـق هـذا المشروع المبارك لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وارتأت دار الصميعي أن يُكتفى بالدراسة التي أعدها الدكتور أحمد الصمعاني للكتاب والترجمة لمؤلفه ، علماً أن للـدكتور عـلي العجـلان دراسـة أخـرى وترجمـة للمؤلف، سوف يقوم إن شاء الله بنشرها في كتاب مستقل .

وقد تكرم معالي الشيخ / صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ بوضـع مقدمـة قيِّمـة لهذا السفر ، فله منا جزيل الشكر والتقدير .

سائلين المولى عز وجـل أن ينفـع بهـذا الكتـاب المـسلمين جميعـاً في مـشارق الأرض ومغاربها .

الناشر

عبدالله بن حسن الصميعي

الرياض العامرة

٨/ ٩/ ١٤٢٧هـ





بسم الله الرحمن الرحيم







المقدمة

وتشتمل على:

١- أسباب اختيار الموضوع وأهميته

٢- خطة البحث ومنهجي فيه





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة[١]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٣] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[٤] .

أما بعد :

فإن موضوع القضاء والقدر من أخطر الموضوعات العقدية التي خاض الناس فيها قديماً وحديثاً، ومعرفة الصواب فيه ضرورية لكل إنسان حتى يسلم من الزيغ والهلاك، فهو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يتم إيمان العبد إلا بها .

---

(١) مقدمة الدكتور أحمد الصمعـانـي.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٢ .

(٣) سورة النساء، آية ١ .

(٤) سورة الأحزاب، آية ٧٠-٧١ .

وكان من فضل الله عز وجل عليَّ أنْ يكون موضوع رسالتي لنيل درجة «الدكتوراه» هو كتاب: «**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**» من أول الكتاب إلى نهاية الباب العشرين تحقيقاً ودراسةً، والذي كان اختياري له للأسباب التالية :

١- لأنَّ مؤلفه هو الإمام ابن قيِّم الجوزية رحمه الله، المشهود له بطول الباع في العلم، والالتزام بالكتاب والسنة، والدفاع عنهما .

٢- قيمة الكتاب العلمية وحسن ترتيبه وتبويبه .

٣- حاجة الناس الماسة إليه، فهو يعالج موضوعاً من أهم الموضوعات العقدية التي يحتاجونها في كل وقت، خصوصاً في هذا العصر الذي انتشرت فيه بعض المذاهب الفاسدة، والأمراض النفسية الناتجة عن ضعف الإيمان .

٤-كونه متداولاً ومطبوعاً عدة طبعات تجارية خالية من التحقيق .

٥-إن أصل هذه الطبعات طبع على نسختين ناقصتين، إحداهما: نقصها قريب من نصف الكتاب، والأخرى ناقصة الورقة الأولى وأحد أبواب الكتاب، ولم تتم مقابلة النسخ في هذه الطبعات .

٦- أنني بتوفيق الله عز وجل عثرتُ على نسخةٍ كاملةٍ لهذا الكتاب تتلافى هذا السقط .

هذا ؛ وقد بذلت جهدي في تحقيق هذا الكتاب ودراسته، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده وهو المانُّ به، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه ورسوله ﷺ .

وفي الختام أشكر فضيلة الشيخ عبدالرحمن البراك المشرف على هذا البحث على ما لقيته منه من متابعة وتوجيه وإرشاد، حيث استمع إلى هذا البحث كلمةً كلمة، وأفادني بتوجيهاته وإرشاداته، فجزاه الله عني خير الجزاء، وبلَّغه من خيرات الدنيا والآخرة آماله، وبارك له في جميع أحواله .

كما أشكر كلية أصول الدين بالرياض، ممثلة في فضيلة عميدها وأعضاء مجلسها الموقر على ما يبذلونه من مساعدة لطلابهم .

وأشكر أيضاً قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض رئيساً وأعضاءً على حسن رعايتهم ومتابعتهم لطلابهم، وكذلك جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على ما هيَّأته لطلابها من فرص لمواصلة تحصيلهم العلمي .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

خطة البحث

سرتُ في هذا البحث وفق الخطة التالية :

القسم الأول : الدراسة . وتتضمَّن ما يلي :

أولاً : التعريف بالمؤلف . وفيه فصلان :

الفصل الأول : عصر المؤلف . وتحدثت فيه بإيجاز عن الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية لهذا العصر .

الفصل الثاني : حياة المؤلف . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه، كنيته، لقبه، مولده .

المبحث الثاني : شيوخه، تلاميذه، ثناء العلماء عليه، وفاته .

المبحث الثالث : مؤلفاته .

ثانياً : التعريف بالكتاب ونسخه الخطية . وفيه فصلان :

الفصل الأول : اسمه، صحة نسبته إلى مؤلفه، تاريخ تأليفه، منهج المؤلف فيه، مصادره، مقارنته مع بعض ما أُلِّف في بابه، قيمته العلمية .

الفصل الثاني : التعريف بنسخه الخطية من حيث عددها، ووصفها، وبيان أماكن وجودها .

عملي في التحقيق:

كان أول عمل قمتُ به بعد جمع النسخ الخطية هو مقابلتها، وذلك وفق الأمور التالية :

١- نسختُ الكتاب من النسخة التركية « ت » وأثبتُّ أرقام صفحاتها على الهامش، حيث إنها هي النسخة الوحيدة الكاملة، مع اعتماد النص الصحيح أو الأَوْلَى من جميع النسخ في الأصل بين قوسين هكذا ( )، والإشارة إلى ما في النسختين الأخريين في الهامش .

٢- وضعت كل زيادة أو نقص في النص بين قوسين وأشرتُ إلى ذلك في الحاشية .

٣- إذا كان سقط إحدى النسخ حوالي سطر واحد أو أقل أو أكثر بقليل، ويدخل فيه اختلاف نسخ أخرى، فإني أضع في بدايته رقماً وفي نهايته الرقم نفسه .

٤- إذا كان السقط في إحدى النسخ كثيراً، فإني أضعه بين قوسين فوقهما نجمتان هكذا (*   *) .

٥- وثَّقتُ النصوص التي نقلها المؤلف، وذلك بإرجاعها إلى مصادرها التي وقفت عليها، سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة .

٦- قابلتُ تلك النصوص مع النص الذي ذكره المؤلف، وأشرتُ في الحاشية إلى الفروق بينهما .

٧- قابلت النسخ الخطية على طبعتي الحسينية بمصر، وطبعة دار الكتب

العلمية، بيروت، وأثبتُ نماذج من اختلافاتهما .

٨- اعتمدتُ الكتابة الإملائية الحديثة مع وضع علامات الترقيم .

٩- خرّجتُ الآيات القرآنية، مع إثباتها برسم المصحف، إلا إذا كان ما أثبتته إحدى النسخ يوافق إحدى القراءات المعروفة .

١٠- خرَّجتُ الأحاديث مع مقابلتها على الأصول التي نقل عنها المؤلف، وأثبت الفروق، وبيَّنتُ ما قاله بعض العلماء فيها .

١١- خرَّجتُ الآثار .

١٢- عرَّفتُ بالفِرَق والأماكن والقبائل .

١٣- بيَّنتُ المصطلحات الكلامية .

١٤-ترجمتُ للأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب، ولم أترك إلا من لم أجد له ترجمة .

١٥-شرحتُ بعض الكلمات الغريبة .

١٦-ضبطتُ بالشكل ما يحتاج إلى ضبط .

١٧-عزوتُ الأبيات الشعرية إلى قائليها ما أمكنني ذلك .

١٨-قمتُ بعمل الفهارس اللازمة للكتاب .

الرموز المستعملة

ت : النسخة الخطية التركية .

م : النسخة الخطية المصرية .

ع : النسخة الخطية العراقية .

د : طبعة دار الكتب العلمية، بيروت .

س : طبعة المطبعة الحسينية بمصر .

رمزتُ لوجه ورقة النسخة الخطية (أ) ولظهرها (ب) .

رمزتُ لنهاية الصفحة بخط مائل هكذا / .

ك : كتاب .

أ . هـ : انتهى .

ط : الطبعة .

هـ : التاريخ الهجري .

ق. هـ : قبل الهجرة .

م : التاريخ الميلادي .

* * *

الفصل الأول

عصر المؤلف

- الحالة السياسية
- الحالة الاجتماعية
- الحالة العلمية

الحالة السياسية

لابد لمن يكتب عن الحالة السياسية في الفترة التي عاشها الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى أن يمر بذكر حدثين سبقا هذه الفترة زمنياً، ولكن كان لهما تأثيرهما الواضح عليه، وهما :

١- الحروب الصليبية .

٢- غزو التتار لبلاد الإسلام .

١- الحروب الصليبية :

وسأبدأ بذكر نبذة مختصرة عن الحروب الصليبية، حيث إنها الأقدم من حيث بدايتها، فهي بدأت سنة ٤٩٠هـ، واستمرت إلى سنة ٦٩٠هـ[1]. قبل مولد ابن قيم الجوزية بسنة واحدة، وسبب تسميتها بهذا الاسم يرجع إلى أن النصارى حملوا فيها صليب الصلبوت، الذي يزعمون أنه صلب عليه المصلوب، وجعلوه شعاراً لهم، وقد كان مصير هذا الصليب أن استولى عليه صلاح الدين الأيوبي[2] بعد معركة

(١) انظر الكامل لابن الأثير (١٠/ ٢٧٢) نشر دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٦٨هـ، والبداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٣١٩-٣٢١) نشر مكتبة المعارف، بيروت، ط. الثالثة ١٩٧٨م .

(٢) هو : يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب، أبو المظفر صلاح الدين الأيوبي، ولد في تكريت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وهو من أشهر ملوك الإسلام. وأخباره في جهاد الصليبيين مشهورة، ومنها هزيمته لهم في معركة =

حطين[١]، وأرسله إلى الخليفة في بغداد، فدُفن تحت عتبة باب النوى من دار الخليفة[٢].

ويعزو المؤرخون قيام النصارى بهذه الحروب إلى أسباب عدة؛ منها:

١- ضعف العالم الإسلامي في تلك الفترة، وانشغال المسلمين بخلافاتهم فيما بينهم، والتي ساعد على تعميقها وجود كثير من الطوائف المنحرفة كالشيعة وغيرهم.

٢- خوف الدولة الفاطمية الشيعية في مصر من تنامي قوة الدولة السلجوقية «السنية» حيث تمكنت من حكم بلاد الشام إلى غزة، ولم يبقَ بينها وبين مصر ولاية أخرى تمنعها ودخول مصر، لذلك أرسلت الدولة الفاطمية إلى الإفرنج تدعوهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين السلاجقة[٣].

٣- النفوذ الذي حصل عليه البابا ايربان الثاني بعد اختياره بابا لروما سنة ٤٨١هـ إذ أصبح المطاع بين الشعوب النصرانية، وهذا ما جعله يعقد مؤتمراً في

= حطين، واستعادته لبيت المقدس وعدد من المدن الإسلامية، وكانت مدة دولته نيفاً وعشرين سنة، ومات بدمشق سنة تسع وثمانين وخمسمائة. سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٧٨-٢٩٤) ط. الأولى، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، والبداية والنهاية (١٣/ ٣-٤)، ومعجم البلدان (٢/ ٤٩١).

(١) حطين: موضع بين طبرية وعكا، بينه وبين طبرية نحو فرسخين. معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٢٧٤) نشر دار صادر، بيروت، سنة ١٤٠٤هـ.

(٢) انظر البداية والنهاية (١٢/ ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣٢).

(٣) انظر الكامل لابن الأثير (١٠/ ٢٧٣).

عام ٤٨٩هـ بكلير مونت في فرنسا يدعو فيه النصارى إلى نبذ الخلاف فيما بينهم، وتوجيه قوتهم لحرب المسلمين، والاستيلاء على بلادهم، والتمتع بخيراتها بدلاً من حياة الفقر التي يعيشونها، وجعل مُسوِّغاً لدعوته هذه ادّعاءه - ظلماً وزوراً - مضايقة السلاجقة للنصارى الذين يقصدون « بيت المقدس »، وطلب من النصارى خلال عدة جولات له وبعض الأساقفة في عدد من مدن أوروبا الاستيلاء على « بيت المقدس »[1] .

٤- استنجاد ملك القسطنطينية الأرثوذكسي بالبابا المذكور بسبب مضايقة السلاجقة له وخوفه منهم، والتزامه للبابا في مقابل ذلك الخضوع له[2] .

٥- يُضاف إلى ذلك أن هذه الدعوة صادفت هوىً في نفوس النصارى فتمكّنت ؛ وذلك بسبب العداوة الدينية بينهم وبين المسلمين، والتي نرى في هذا العصر أصدق شاهد عليها .

واستمرت هذه الحروب قرابة مائتي عام واجه فيها العالم الإسلامي سبع حملات صليبية، تمكن الصليبيون فيها من إيجاد موطئ قدم لهم في بلاد المسلمين، وتأسيس أربع إمارات، هي :

---

(١) انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، الجزء الثاني من الكتاب السادس (ص٣٦، ٣٧، ٥٢، ٢٥٣) . ط. الثالثة ١٤٠٧هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت .

(٢) انظر كتاب فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص٧٤، تأليف مونتجمري وات، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، نشر دار الشروق، بيروت، ط. الثانية سنة ١٤٠٦هـ، وكتاب الإسلام والحضارة الغربية (١/ ٢٩٢) لمحمد كرد علي، ط. الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠م .

١- إمارة الرها . ٢- إمارة طرابلس .

٣- إمارة بيت المقدس . ٤- إمارة أنطاكية .

وكان من أبرز أحداث تلك الحروب ما يلي :

١- استيلاء النصارى على بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ بعد حصار دام نيفاً وأربعين يوماً، وقتلهم لعدد كثير من المسلمين[١]، وكان منذ افتتحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ست عشرة من الهجرة لم يزل بأيدي المسلمين إلى هذه السنة[٢] .

٢- معركة حطين، والتي تلقى النصارى فيها هزيمة منكرة على أيدي المسلمين بقيادة القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، وذلك في سنة ٥٨٣هـ، وتُعدّ هذه المعركة من معارك الإسلام التاريخية، والتي لقّنت النصارى درساً لن ينسوه، ويكفي ذلك ما قاله المؤرخ المعاصر لها ابن الأثير في وصف بعض أحداثها : « ... فكان من يرى القتلى لا يظن أنهم أسروا أحداً، ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا أحداً، وما أصيب الإفرنج منذ خرجوا إلى الساحل سنة إحدى وتسعين وأربعمائة إلى الآن بمثل هذه الوقعة »[٣] .

٣- استعادة بيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة واستنقاذه من

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير (١٠/ ٢٨٣-٢٨٤)، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء عماد الدين بن إسماعيل (٢/ ٢١١) نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت .

(٢) انظر النجوم الزاهرة (٥/ ١٤٩) نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

(٣) الكامل (١١/ ٣٧) .

أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وتسعين سنة كما استعيدت عددٌ من المدن ، وذلك على يد القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى[١] .

٤- فتح عكا وبقية السواحل، وبذلك تم طرد النصارى من كل بلاد الشام، وذلك في سنة تسعين وستمائة على يد الملك الأشرف خليل[٢] بن قلاوون[٣] .

٢- التتار:

في الوقت الذي بدأ يضعف فيه المد الصليبي في بلاد الشام بدأت تظهر في شرق ديار الإسلام قوة عظيمة تتمتع بقدرة كبيرة على الحركة هي قوة التتار[٤] .

وأرض التتار بأطراف بلاد الصين، وهم سكان براري، ومشهورون بالشر والغدر، ولم يتقدم لهم سابقة بتملك (قبل جنكيز خان) وإنما هم بادية الصين[٥] .

وكان أول ظهور التتار بما وراء النهر سنة خمس عشرة وستمائة، فأخذوا

---

(١) انظر الكامل (١١/ ٥٤٦)، والبداية والنهاية (١٢/ ٣٢٣) .

(٢) هو : خليل بن قلاوون الصالحي، الملك الأشرف، صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور، من ملوك مصر، ولي بعد وفاة أبيه سنة (٦٨٩هـ)، وقد كان شهماً شجاعاً عالي الهمة، قتله بعض المماليك غيلة بمصر سنة (٦٩٣هـ) وكان فتح في مدة ملكه - وكانت ثلاث سنين - عكا وسائر السواحل، ولم يترك للإفرنج فيها معلماً ولا حجراً . انظر البداية والنهاية (١٣/ ٣٣٤٠-٣٣٥)، والنجوم الزاهرة (٨/ ٣) .

(٣) انظر البداية والنهاية (٣/ ٣٢٠) .

(٤) نقلاً من كتاب التاريخ الإسلامي رقم (٦) الجزء الثاني (ص٣٤٥) باختصار .

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٤٦٧، ٤٦٨) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .

بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها[١]، ثم واصلوا زحفهم حتى وصلوا إلى بغداد شهر محرم سنة ٦٥٦هـ، فحاصروها، ومما شجعهم على ذلك مكاتبة ابن العلقمي[٢] الرافضي وزير المستعصم بالله[٣] لهم وتزيينه ذلك لهم، وعندما تمت محاصرة بغداد أشار ابن العلقمي، ونصير المشركين[٤] الطوسي[٥] على

---

(١) تاريخ الخلفاء ص٤٧٠ .

(٢) هو : محمد بن محمد بن علي بن أبي طالب ابن العلقمي، البغدادي الرافضي، وزر للمستعصم أربع عشرة سنة، وكان رافضياً خبيثاً رديء الطوية على الإسلام وأهله، مالأ التتار على المسلمين، ثم حصل له بعد ذلك من الإهانة والذل على أيدي التتار حتى مات كمداً سنة ست وخمسين وستمائة . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٦١)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢١٢) .

(٣) هو : أبوأحمد، عبدالله ابن المستنصر بالله منصور ابن الظاهر محمد ابن الناصر الهاشمي، العباسي، ولد سنة تسع وستمائة، واستخلف سنة أربعين وستمائة بعد موت أبيه، وكان فاضلاً كريماً حليماً ديِّناً، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، قتله هولاكو سنة ست وخمسين وستمائة، فكان آخر خلفاء بني العباس في العراق. سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣/ ١٧٤)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٠٤) .

(٤) سماه المؤلف رحمه الله « نصير الشرك والكفر الملحد، وزير الملاحدة » . انظر إغاثة اللهفان (٢/ ٢٦٧) تحقيق محمد الفقي، نشر دار المعرفة، بيروت .

(٥) هو : محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر النصير الطوسي، فيلسوف، وزر لهولاكو فشفا نفسه من أتباع الرسول ﷺ وأهل دينه، فعرضهم على السيف حتى شفا إخوانه من الملاحدة واشتفى هو، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم . مات في بغداد سنة اثنتين وسبعين وستمائة . انظر إغاثة اللهفان (٢/ ٢٦٧)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٦٧)، والأعلام لخير الدين الزركلي (٧/ ٣٠) ط. الخامسة ١٩٨٠م، نشر دار العلم للملايين، بيروت .

هولاكو بقتل الخليفة وحسّنوا له ذلك، فقتله ومن معه، وبذلك تم القضاء على الخلافة العباسية في بغداد، ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً، ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير(١) والقنى(٢) والمقابر كأنهم الموتى إذا نُبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده، ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي ــ قبّحه الله ولعنه ــ أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد، ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمَهم وعَلَمَهم بها وعليها، فلم يقدره الله تعالى على ذلك، بل أزال نعمته عنه، وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده(٣).

ويذكر المؤرخون في سبب ممالأة الوزير ابن العلقمي للتتار أنه وقعت فتنة عظيمة ببغداد سنة (٦٥٥هـ) بين الرافضة وأهل السنة، فنُهبَ الكرخُ ودور الرافضة، فحنق الوزير ابن العلقمي، ونوى الشر في الباطن، وكان يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان، إلى أن لم يُبْق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار، وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهَّل عليهم ذلك، وحكى لهم

---

(١) المطامير: هي الحفر، تحفر تحت الأرض. المصباح المنير ص(٣٧٨).

(٢) القنى: جمع قناة، وهي المحفورة بالأرض. المرجع السابق ص(٥١٧).

(٣) البداية والنهاية (١٣/ ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣) بتصرف. وانظر ذيل مرآة الزمان لأبي الفتح اليونيني (١/ ٨٥-٨٩) نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٤هـ، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء (٣/ ١٩٣-١٩٤).

حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر بدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين، والله غالب على أمره، وقد ردَّ كيده في نحره[(١)] .

- **التتار وغزو الشام:**

واصل التتار زحفهم حتى وصلوا إلى حلب في شهر صفر سنة ٦٥٨هـ، فحاصروها سبعة أيام، ثم استولوا عليها بالأمان، فغدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ونهبوا الأموال، وسبوا النساء والأطفال، وجرى عليهم قريب مما جرى على أهل بغداد، ثم أرسل هولاكو وهو نازل على حلب جيشاً مع أمير من كبار دولته يقال له «كتبغانوين» فوردوا دمشق في آخر صفر فأخذوها سريعاً من غير ممانعة ولا مدافع، وسلموها إلى أمير منهم يقال له «ابل سيان»، وكان معظماً لدين النصارى، فصارت لهم دولة وصولة، فأظهروا شعائر دينهم وتعمدوا إهانة المسلمين .

ولما بلغ الملك المظفر قطز[(٢)] «سلطان مصر» ما كان من أمر التتار بالشام

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٢) .

(٢) هو : سيف الدين قطز بن عبدالله المعزي، أخص مماليك المعز التركماني، ثم صار نائب السلطنة لولده المنصور، ولما سمع بأمر التتار خاف أن تختلف الكلمة لصغر المنصور فعزله، وبويع بالسلطنة سنة سبع وخمسين وستمائة، وكان فارساً شجاعاً، ديناً، هزم التتار، وطهر الشام منهم يوم عين جالوت . قتله بعض الأمراء وهو راجع إلى مصر سنة ثمان وخمسين وستمائة . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٠٠)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٢٥) .

وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام، بادرهم قبل أن يبادروه، فخرج في عسكره وقد اجتمعت الكلمة عليه، حتى انتهى إلى الشام، واستيقظ له عسكر المغول وعليهم « كتبغانوين » فساروا إليه، وسار المظفر إليهم فكان اجتماعهم على « عين جالوت »[١] يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، فاقتتلوا قتالاً عظيماً، فكانت النصرة - ولله الحمد - للإسلام وأهله، فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة، وقتل أمير المغول « كتبغانوين » وجماعة من بيته، وكبت الله النصارى واليهود والمنافقين والرافضة .

ولما كسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراءهم ودخل دمشق في أبهة عظيمة، وفرح به الناس فرحاً شديداً، ودعوا له دعاءً كثيراً، ثم بعد ذلك استرد حلب[٢]، وبذلك أصبحت الشام تابعة لدولة المماليك التي تتخذ من القاهرة عاصمة لها .

وفي سنة (٧٠٢هـ) وصل التتار إلى الشام، فعاثوا فساداً بحمص وبعلبك، والتقوا مع الجيوش المصرية والشامية بقيادة السلطان الناصر محمد بن قلاوون في معركة تعرف باسم « شقحب » في الطرف الشمالي من مرج الصُّفَّر - ولا يزال الاسم معروفاً إلى الآن[٣] - وكتب الله فيها النصر للمسلمين، وقُتل التتار مقتلة عظيمة، وقد كان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذه المعركة

---

(١) عين جالوت : بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس، من أعمال فلسطين. معجم البلدان (٤/ ١٧٧) .

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٢١٨-٢٢٢) بتصرف .

(٣) انظر التاريخ الإسلامي (٧/ ٥٨) .

موقف مشهور تبيَّن فيه ما يتمتع به من شجاعة وقوة وعلم وحب للجهاد[(١)] .

وبعد أن اختلط التتار بالمسلمين أسلم كثير منهم، وممن أسلم بعضُ أبناء جنكيز خان[(٢)]، وهولاكو[(٣)] .

الحالة السياسية في عصر المؤلف:

عاش ابن القيم رحمه الله في الفترة من عام ٦٩١هـ إلى ٧٥١هـ، ويظهر أنه قضى معظم حياته في الشام، وقد ارتحل عنها للحج مرات كثيرة، وجاور بمكة فترة من الزمن، كما انتقل إلى القاهرة في بعض الأحيان، وقد كانت الشام في ذلك العصر المعروف بعصر سلاطين المماليك البحرية[(٤)] (٦٥٦هـ - ٧٩٢هـ) تابعة لمصر، ويحكمها نائب من قبل السلطان بالقاهرة يعرف بنائب الشام[(٥)] .

وقد شهدت حياة ابن القيم حكم عدد من سلاطين المماليك البحرية، أولهم الأشرف خليل بن قلاوون، وآخرهم الناصر حسن بن الناصر محمد[(٦)] .

---

(١) انظر البداية والنهاية (١٤/ ٢٣-٢٦، ٨٩)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٤٨٤ .

(٢) مثل بركة خان . انظر البداية والنهاية (١٣/ ٢٣٨) .

(٣) مثل قازان . انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٤٨٣ .

(٤) سُموا بذلك نسبة إلى بحر النيل، وهم مماليك السلطان نجم الدين أيوب، وقد كثر عددهم، فبنى له قلعة في جزيرة الروضة وسط النيل، وقد حكموا من سنة ٦٤٨هـ إلى ٧٩٢هـ . انظر : حسن المحاضرة (٢/ ٣٤) تحقيق محمد إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٨٧هـ . والتاريخ الإسلامي (٧/ ٣٦) .

(٥) نقلاً من كتاب: ابن قيم الجوزية، جهوده في الدرس اللغوي للدكتور طاهر حمودة ص١١ . بتصرف . نشر دار الجامعات المصرية سنة ١٣٩٦هـ، الإسكندرية .

(٦) هو : الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، أبو المحاسن، من ملوك الدولة

وتميزت تلك الفترة بنوع من الاستقرار النسبي ؛ لأن معظمها كان في حكم الناصر محمد بن قلاوون[1]، وهو من أشهر السلاطين وأطولهم مدة في الحكم .

* * *

= القلاوونية بمصر والشام، بويع بمصر صغيراً بعد مقتل أخيه حاجي المظفر سنة ٧٤٨ هـ، واستمر إلى سنة ٧٥٢هـ، ثم خلعه بعض أمراء الجند وولوا أخاه صالحاً ثم خلعوه سنة ٧٥٥هـ، وأعادوا الناصر حسن إلى الحكم، واستمر إلى سنة ٧٦٢هـ حيث قبض عليه مملوكه (يلبغا) فكان هذا آخر العهد به . البداية والنهاية (١٤/ ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٥١، ٢٧٨) والنجوم الزاهرة (١٠/ ١٨٧، ٣١٨) .

(١) هو : الناصر بن محمد بن قلاوون الصالحي، أبوالفتوح، من كبار ملوك الدولة القلاوونية، ولد بالقاهرة سنة ٦٨٤هـ، له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال، مات بالقاهرة سنة ٧٤١هـ، وكانت مدة ملكه قرابة ٤٣ عاماً . البداية والنهاية (١٣/ ٣١٦)، والنجوم الزاهرة (٨/ ٤١) .

الحالة الاجتماعية

بتتبُّع الفترة التي عاشها الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله يظهر أن الناس ما زالوا يعانون من حالة الخوف الشديد وغلاء الأسعار، ففي سنة ٦٩٩هـ تواترت الأخبار بقصد التتار بقيادة قازان بلاد الشام، وخاف الناس خوفاً شديداً على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وقد هرب جماعةٌ من أعيان دمشق وغيرهم إلى مصر، وعاث اللصوص في ظاهر البلد، فكسروا أبواب البساتين واقتلعوا من الأبواب والشبابيك شيئاً كثيراً، وغلت الأسعار جداً [١] .

وكان هذا من جهة الكرج والأرمن من النصارى، الذين هم مع التتار ــ قبَّحهم الله ــ، وسبى التتار من أهل دمشق خلقاً كثيراً، وفُرِضت أموالٌ كثيرةٌ على البلد موزعة على أهل الأسواق، ولزم الناس منازلهم لئلا يُسَخَّروا في طم الخندق، وكانت الطرقات لا يُرى بها أحدٌ إلا القليل، والجامع لا يُصلي فيه أحدٌ إلا اليسير، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه الصف الأول، ومن خرج من منزله في ضرورة يخرج بثياب زيهم، ثم يعود سريعاً، ويظن أنه لا يعود إلى أهله، والمصادرات والتراسيم والعقوبات عمّالة في أكابر أهل البلد ليلاً ونهاراً [٢] .

وفي سنة (٧٠٠هـ) وردت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام، فانزعج الناس لذلك، وطاشت عقولهم وألبابهم، وشرع الناس في الهرب إلى مصر وغيرها، وغلت الدواب، وبيعت الأمتعة بأرخص الأثمان، وغلت الأسعار بدمشق جداً، ثم جاءت الأخبار بأن ملك التتار قد رجع عامه ذلك ؛ لضعف جيشه

---

(١) انظر البداية والنهاية (١٤/ ٦-٧) .

(٢) نقلاً من البداية والنهاية (١٤/ ٦-٩) بتصرف .

وقلة عددهم، فطابت النفوس لذلك وسكن الناس، وعادوا إلى منازلهم [١] .

وفي سنة (٧٠٢هـ) قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام، فانزعج الناس لذلك واشتدَّ خوفهم جداً، وشرع الناس في الهرب إلى مصر وغيرها، وتأخر مجيء العساكر المصرية عن إبانها فاشتدَّ لذلك الخوف، وعندما اجتمعت الجيوش الشامية المصرية والتقت مع التتار في وقعة « شقحب » في الطرف الشمالي من « مرج الصُّفّر » وبدأت الأخبار ترد بهزيمة التتار، وتتزايد قليلاً قليلاً، حتى اتضحت جملة، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف وكثرة التتار لا يصدِّقون حتى جاء كتاب السلطان بذلك[٢] .

وفي سنة (٧٠٩هـ) كثر الخوف في دمشق، وانتقل الناس من ظاهرها إلى داخلها، وسبب ذلك أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ركب من الكرك قاصداً دمشق بطلب عودة الملك إليه، ولم يسكن الناس إلا عندما عاد السلطان إلى الكرك[٣] .

وفي سنة (٧١٢هـ) حصل للناس خوفٌ شديد بسبب أن التتار قد تحركوا للمجيء إلى الشام، فانزعج الناس من ذلك، وخافوا وتحول كثير منهم إلى البلد، وازدحموا في الأبواب، وكثرت الأراجيف، ثم بعد ذلك رجع التتار عن ذلك، وكان سبب رجوعهم قلة العلف، وغلاء الأسعار، وموت كثير منهم، فسكنت النفوس، وعمَّت البشائر[٤] .

---

(١) نقلاً من البداية والنهاية (١٤/ ١٤-١٦) بتصرف .

(٢) نقلاً من البداية والنهاية (١٤/ ٢٢-٢٥) بتصرف .

(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٥١) .

(٤) البداية والنهاية (١٤/ ٦٦) .

وفي سنة (٧٤٧هـ) انزعج الناس بسبب الخلاف الحاصل بين نائبي السلطان في دمشق وصفد، كما انزعجوا بسبب خشيتهم من قدوم الجيش المصري لحربهم[١].

ويظهر مما سبق أنه لم يكن مصدر خوف الناس وانزعاجهم من التتار فقط، بل قد يكون أحياناً بسبب الخلاف بين الحكام المسلمين، مما جعل حياة الناس في هذه الفترة غير مستقرة، ومعلومٌ أن فقدان الناس للأمن ينتج عنه عدم قدرتهم على الكسب والعمل الذي يكون سبباً في قلة الإنتاج وغلاء الأسعار، وشظف العيش، وأحياناً يؤدي إلى الجوع، وهذا ما حصل في دمشق عدة مرات[٢].

ولما كان حكم سلاطين المماليك يعتمد على المماليك، فقد حرص كل سلطان على إرضاء أمرائهم، ليضمن تأييدهم له، وذلك يتمثل بإغداق الأموال عليهم، وهذا يستلزم ـ غالباً ـ فرض ضرائب يدفعها الشعب[٣].

كما كان بعض السلاطين يلجأ إلى السماح لأنواع من الأعمال غير المشروعة، ويضرب عليهم الرسوم، كحانات الخمور، والذي لا يلبث أن يلغى[٤] وذلك في سبيل الحصول على الأموال.

كما أن السلطان يقطع كبار الأمراء الإقطاعات الواسعة، وكثيراً ما كانوا

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٢١٨-٢١٩).

(٢) كما في سنة ٧٠٠هـ، ٧٢٤هـ، ٧٤٣هـ، ٧٣٨هـ. انظر البداية والنهاية (١٣/ ٣٤٣، ٣٤٨) و (١٤/ ١٦، ١١٤، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٢٨، ٣٤٨) (١٤/ ٦٢، ٦٧، ٨٢، ١١١، ٢٧٥).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٥٠، ٧٠، ٨٢، ٢٤٠).

يهملونها .

ويستأثر بعض الولاة لنفسه طائفة كبيرة من بيت المال وأموال المسلمين[١] .

كما كانت بعض الأمور المخالفة للشرع موجودة في ذلك المجتمع، كأكل الحشيشة[٢]، والرشوة[٣]، والمحلل والمحلل له ـ أو التيس المستعار[٤] ـ، واللهو والطرب، وهذا لم تسلم منه أشرف الأماكن، قال ابن القيم رحمه الله : « ومن أعظم المنكرات تمكينهم ـ أي أصحاب اللهو والطرب ـ من إقامة هذا الشعار الملعون، هو وأهله في المسجد الأقصى عشية عرفة، ويقيمونه ـ أيضاً ـ في مسجد الخيف أيام منى، وقد أخرجناهم منه بالضرب والنفي مراراً، ورأيتهم يقيمونه بالمسجد الحرام نفسه، والناس في الطواف، فاستدعيت حزب الله وفرقنا شملهم، ورأيتهم يقيمونه بعرفات، والناس في الدعاء، والتضرع، والابتهال والضجيج إلى الله، وهم في هذا السماع الملعون باليراع والدف والغناء، فإقرار هذه الطائفة على ذلك فسقٌ يقدح في عدالة من أقرهم ومنصبه الديني »[٥] .

ولم يقف العلماء موقف المتفرج من هذه المنكرات وغيرها، بل بيَّنوا حكمها باللسان والقلم، وغيَّروها باليد إذا لزم الأمر، وقدروا على ذلك، ومن ذلك ما قام به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وأصحابه من تكسير آنية الخمور

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٥٩) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٣٣، ١١٣) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٦٦) .

(٤) انظر : إغاثة اللهفان (١/ ٢٦٨-٢٦٩) .

(٥) إغاثة اللهفان (١/ ٢٣١) .

وإراقتها، وتعزير جماعة من أهل الحانات المتخذة لها[١] .

واستتابته ـ رحمه الله ـ لمن كان يقول كلام الفحش، ويأكل ما يغيّر العقل من الحشيشة وما لا يجوز من المحرمات وغيرها[٢] .

وأمره أصحابه ومعهم حجّارون بقطع صخرة بنهر قلوط تُزار ويُنذر لها[٣] .

ومناظرته الأحمدية[٤] من الصوفية، وبيانه لبطلان ما هم عليه من الأحوال الشيطانية التي يتعاطونها، مما كان سبباً في اتفاق الحال على أن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه . وقد صنف الشيخ ابن تيمية جزءاً[٥] في طريقة الأحمدية بيَّنَ فيه أحوالهم ومسالكهم وتخيُّلاتهم، وما في طريقتهم من مقبول ومردود بالكتاب، وأظهر الله السنة على يديه، وأخمد بدعتهم[٦] .

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١١) .

(٢) انظر البداية والنهاية (١٤/ ٣٣-٣٤) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٣٤) .

(٤) الأحمدية ـ إحدى الطرق الصوفية ـ تنسب إلى الشيخ أحمد بن أبي الحسن، المعروف بابن الرفاعي، وتُسمى أيضاً الرفاعية، كما تُسمى البطائحية لسكناه أم عبيدة من قرى البطائح، وهي بين البصرة وواسط، ولأتباعه حيل شيطانية كدخول النار، وقد ناظرهم شيخ الإسلام ابن تيمية وبين بطلان ما هم عليه. انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٤٤٦) جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم. ط. الأولى ١٣٩٨هـ، والبداية النهاية (١٢/ ٣١٢) و (١٤/ ٣٦) .

(٥) وقد طبع هذا الجزء بعنوان مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية بتعليق عبدالرحمن دمشقية . ونشر دار طيبة بالرياض ط١. سنة ١٤٠٨هـ، وهذا الجزء موجود في فتاوى ابن تيمية (١١/ ٤٤٦-٤٧٥) .

(٦) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٣٦).

ومن ذلك ـ أيضاً ـ تسببه رحمه الله في إصدار السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمراً بأن لا يُولَّى أحدٌ بمال ولا برشوة، فإن ذلك يفضي إلى ولاية من لا يستحق الولاية، وإلى ولاية غير الأهل(١).

ومن ذلك سعي العلماء في تبطيل الوقيد ليلة النصف من شعبان(٢).

* * *

(١) انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٦٦).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٣٤، ٤٦، ٢٣٥، ٢٤٠).

الحالة العلميــــة

تبيَّن مما سبقت الإشارة إليه في الحالتين: السياسية والاجتماعية عدم الاستقرار والأمن، إلا أن ذلك لم يمنع العلماء من القيام بواجبهم في نشر العلم، وتعليمه للناس، والرد على أهل الباطل، وبيان زيفهم، وتفنيد شبهاتهم، فهذه الفترة تُعد من أغنى مراحل التدوين، وبرز فيها كثير من العلماء الأفذاذ[١] .

وهذا على الرغم مما تعرضت له مساجد دمشق ودور العلم فيها من نهب وتخريب وإحراق على يد التتار[٢] .

ولعلَّ سبب هذه النهضة العلمية المباركة هو تمكُّن الدين من نفوس سلاطين المماليك والناس عامة، ويبدو هذا في كثرة المنشآت الدينية التي ظهرت في تلك المرحلة من مساجد، ومدارس، وأربطة، وحلقات علمية، تقوم على تدريس العلوم الشرعية، وتوفير الخدمات لطلبتها[٣] .

وقد كان للحروب التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين والتتار ومساندة الرافضة وغيرهم من الفرق الضالة لهم دورٌ في إحياء الحماسة لدى المسلمين للدفاع عن دينهم بمختلف أنواع الوسائل، ومنها تأليف الكتب في بيان بطلان العقائد والمذاهب الباطلة، وكشف زيفها .

وقد كان بدمشق في الفترة التي عاشها ابن القيم رحمه الله مدارس كثيرة، من أشهرها :

---

(١) سأذكر بعض أسماء هؤلاء العلماء في مبحث شيوخ المؤلف وتلاميذه إن شاء الله .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٨-٩) .

(٣) انظر : التاريخ الإسلامي (٧/ ١٦) .

١- **الظاهرية** : وتنسب إلى مؤسسها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس المتوفى سنة ٦٧٦هـ، وهناك مدرسة أخرى باسم « الظاهرية البرانية »[١] .

٢- **الجوزية** : وتنسب إلى واقفها محيي الدين يوسف بن عبدالرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، الذي قتل مع الخليفة والفقهاء ببغداد سنة ٦٥٦ هـ على أيدي التتار[٢]، وتقع هذه المدرسة في سوق البزورية المسمى قديماً سوق القمح[٣] .

قال ابن بدران : « وقد اختلس جيرانها معظمها، وبقي منها الآن بقية، ثم صارت محكمة إلى سنة ١٣٢٧هـ وهي الآن مقفلة »[٤] .

وقال الأستاذ أحمد عبيد بعد كلام ابن بدران : « فتحتها جمعية الإسعاف الخيري، وجعلتها مدرسة لتعليم الأطفال »[٥] .

وقال الأستاذ محمد مسلم الغنيمي : « ثم إنها احترقت سنة ١٩٢٥م أثناء الثورة السورية على الفرنسيين، ثم أعيد بناؤها الآن »[٦] .

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢٧٦، ٣٣٢، ٣٣٩) .

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٢١١) .

(٣) البداية والنهاية (١٤/ ١٣٣) .

(٤) منادمة الأطلال (ص٢٢٧)، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٩هـ، نشر المكتب الإسلامي بدمشق .

(٥) مقدمة كتاب « روضة المحبين » ص٤، تقديم أحمد عبيد، طبع مطبعة السعادة بمصر، نشر المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٧٥هـ .

(٦) في كتابه « ابن قيم الجوزية » ص١٠، ط١، سنة ١٣٩٧هـ، نشر المكتب الإسلامي بدمشق .

٣- **الصدرية** : وتنسب إلى واقفها صدر الدين أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجي بن بركات بن المؤمل التنوخي، الدمشقي، المتوفى سنة ٦٥٧هـ، وقد درس بها الإمام ابن القيم سنة ٧٤٣هـ[1] .

٤- **المدرسة العادلية الكبرى** : تقع في داخل دمشق تجاه باب الظاهرية، يفصل بينهما الطريق، أول من أنشأها نورالدين محمود بن زنكي، وتوفي ولم تتم، وبنى بعضها الملك العادل سيف الدين ـ وإليه نسبت ـ ثم أتمها ولده الملك المعظم وأوقف عليها الأوقاف[2]، ودرَّس بها عدد من أعيان مشايخ الشافعية .

٥- **دار الحديث الأشرفية** : بُنيت سنة ٦٣٠هـ، وتُنسب إلى واقفها الملك الأشرف موسى ابن العادل، المتوفى سنة ٦٣٥هـ، وهو باني جامع التوبة، وجامع جراح[3] .

٦- **الإقبالية** : ويوجد بهذا الاسم مدرستان: إحداهما للشافعية، والأخرى للحنفية، وتنسبان إلى واقفهما جمال الدين، إقبال ـ خادم صلاح الدين ـ المتوفى سنة ٦٠٣هـ[4] .

٧- **الخاتونية الجوانية** : وتنسب إلى واقفتها الست خاتون عصمت بنت معين الدين، زوجة نورالدين، المتوفاة سنة ٥٨١هـ[5] .

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١٣/ ٢١٦) (١٤/ ٢٠٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٧٥) .
(٢) الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (١/ ٣٥٩) تحقيق جعفر الحسيني، نشر المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٦٨هـ .
(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٢٣، ١٣٥، ١٤٦)، والدارس في تاريخ المدارس (١/ ١٩) .
(٤) البداية والنهاية (١٣/ ٤٦)، والدارس في تاريخ المدارس (١/ ١٥٨) .
(٥) البداية والنهاية (١٣/ ٣١٧)، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (١/ ٥٠٧) .

٨- **الخاتونية البرانية** : وتنسب إلى واقفتها الست زمرد خاتون بنت جاولي ـ أخت الملك دقماق لأمه ـ المتوفاة سنة ٧٥٧هـ، وأوقفتها على الشيخ برهان الدين علي بن محمد البلخي الحنفي[١] .

٩- **الجوهرية** : وتنسب إلى واقفها أبي بكر محمد بن عياش بن أبي المكارم، التميمي، الجوهري، المتوفى سنة ٦٩٤هـ، وقفها على الحنفية بدمشق[٢] .

١٠- **القيمرية** : وتنسب إلى واقفها الأمير ناصرالدين الحسين بن العزيز بن أبي الفوارس القيمري، الكردي، المتوفى سنة ٦٦٥هـ[٣] .

وقد قمتُ بحصر أسماء مدارس دمشق التي ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية أثناء ذكره للأعلام الذين وردت أسماؤهم خلال فترة حياة ابن القيم رحمه الله، فتحصل لي ما مجموعه ثمان وثلاثون مدرسة، بالإضافة إلى المدارس التي سبق ذكرها، ولا يخفى أن ما ذكرته لا يعني حصر مدارس دمشق في ذلك العدد، وإنما يمكن أن يستدل به على ما تتمتع به الحركة العلمية من رعاية وعناية.

* * *

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٢٤٥، ٣١٨) (١٤/ ١٨)، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (١/ ٥٠٢) .

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٣٤١)، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (١/ ٤٩٨) .

(٣) البداية والنهاية (١٣/ ٢٥٠)، والدارس في تاريخ المدارس (١/ ٤٤١) .





الفصل الثاني

حياة المؤلف




المبحث الأول

اسمه ونسبه:

هو أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز[١] ابن مكي، زين الدين الزرعي[٢]، ثم الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية[٣].

---

(١) حريز ـ أوله حاء مهملة، وآخره زاي معجمة ـ هكذا ورد في أغلب مصادر ترجمته، وورد عند الشوكاني في «البدر الطالع» (٢/ ١٤٣) «جرير» أولـه جيم معجمة وآخره راء مهملة، وورد عند ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٧) «جريز» بإعجام الجيم في أوله، والزاي في آخره، وقد ذكر الدكتور بكر أبوزيد هذه الأوجه الثلاثة، ورأى أن الأقرب هو «حريز» بإهمال الحاء وإعجام الزاي.

(٢) الزُّرعي ـ بضم الزاي المشدَّدة ـ: نسبة إلى «زرع» قرية من أعمال «حوران»، وكان اسمها «زرا». قال الأستاذ أحمد عبيد: وهي التي تسمى الآن «أزرع».

انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣/ ٣٥)، ومقدمة الأستاذ أحمد عبيد لكتاب «روضة المحبين» لابن قيم الجوزية، وكتاب «ابن القيم: حياته وآثاره موارده» للدكتور بكر أبوزيد ص١٩.

(٣) مصادر ترجمته:

- ذيل طبقات الحنابلة: لابن رجب (٢/ ٤٤٧).
- ذيل العبر: للذهبي (٥/ ٢٨٢).
- البداية والنهاية: لابن كثير (١٤/ ٢٠٢).
- الوافي بالوفيات: للصفدي (٢/ ٢٧٠).
- شذرات الذهب: لابن العماد الحنبلي (٦/ ١٦٨).
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر (٤/ ٢١).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي (١/ ٦٢). =

لقبه:

لُقب بـ « ابن قيِّم الجوزية » حيث كان والده الشيخ أبوبكر بن أيوب الزرعي قيِّماً على المدرسة الجوزية بدمشق مدة من الزمن، واشتهرت ذريته من بعده بذلك[1] .

ومن أهل العلم من يسميه ـ تجوّزاً ـ بابن القيم، وذلك على سبيل الاختصار، وأما تسميته بابن الجوزي فهو غلط، ويترتب على هذه التسمية الخلط بينه وبين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي الحنبلي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ .

مولده:

ولد ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في سابع صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة[2] .

* * *

= - طبقات المفسرين : للداودي (٢/ ٩٣) .
- البدر الطالع : للشوكاني (٢/ ١٤٣) .
- النجوم الزاهرة : لابن تغري بردي (١٠/ ٢٤٩) .
- الأعلام : للزركلي (٦/ ٥٦) .

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١١٠)، والدرر الكامنة (١/ ٤٧٢) .
(٢) الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، وبغية الوعاة (١/ ٦٢)، وطبقات المفسرين (٢/ ٩٤) .

المبحث الثاني

شيوخه:

تتلمذ الإمام ابن قيم الجوزية على عدد من العلماء في عدد من العلوم، كان لهم أثر كبير في تكوين شخصيته العلمية، وسأذكر جملة من شيوخه، مع التعريف بهم، مرتباً لهم على حسب وفياتهم :

١- الشهاب العابر[١] : أبوالعباس أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالمنعم بن نعمة النابلسي الحنبلي المتوفى سنة ٦٩٧هـ[٢]، أخذ عنه بعض أحكام المرائي[٣] .

٢- أبوالفتح البعلبكي: محمد شمس الدين، أبوعبدالله بن أبي الفتح البعلبكي الحنبلي، الفقيه اللغوي النحوي، المتوفى سنة ٧٠٩هـ[٤]، أخذ عنه العربية، والفقه[٥] .

٣- أحمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن مسعود، عماد الدين الواسطي، البغدادي، ثم الدمشقي، ولد بشرق واسط سنة ٦٥٧هـ، كان شافعياً وأقام بالقاهرة مدة خالط بها طوائف من المتصوفة فتصوف، وقدم دمشق فتتلمذ لابن تيمية، وانتقل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وردَّ على المبتدعة الذين خالطهم. قال الذهبي : كان داعية إلى السنة، ومذهبه مذهب السلف الصالح في

---

(١) سُمي بذلك لأنه يُعبِّر الرؤيا . انظر : شذرات الذهب (٥/ ٤٣٧) .

(٢) شذرات الذهب (٦/ ١٦٧)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٨) .

(٣) انظر : زاد المعاد (٣/ ٣١) .

(٤) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٦) .

(٥) انظر : الوافي بالوفيات (٦/ ٢٧١) .

الصفات، يُمِرها كما جاءت . توفي بدمشق سنة ٧١١هـ[(١)] .

ولم أجد أحداً ممن ترجم للمؤلف عدَّه من شيوخه، ولكنه في هذا الكتاب ذكره بعبارة شيخنا أحمد بن إبراهيم الواسطي[(٢)] .

٤- بنت جوهر : فاطمة، أم محمد بنت الشيخ إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي، البعلي، المسندة المحدِّثة، المتوفاة سنة ٧١١هـ[(٣)] .

٥- الصفي الهندي : محمد صفي الدين بن عبدالرحيم بن محمد الأرموي الشافعي، الفقيه الأصولي، المتوفى ليلة الثلاثاء تاسع عشرين من صفر سنة ٧١٥هـ[(٤)] ، أخذ عنه التوحيد وأصول الفقه[(٥)] .

٦- الحاكم : سليمان تقي الدين، أبوالفضل بن حمزة بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، مسند الشام وكبير قضاتها، سمع من نحو مائة شيخ، وأجازه أكثر من سبعمائة شيخ، توفي ليلة الاثنين حادي عشرين ذي القعدة من سنة ٧١٥هـ[(٦)] .

---

(١) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٣٥٨-٣٦٠)، الدرر الكامنة (١/ ٩١)، وشذرات الذهب
(٦/ ٢٤)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١/ ١٣٩). ط. مطبعة الترقي بدمشق، الأعلام (١/ ٨٦-٨٧) .

(٢) انظر ص(١٠٢) .

(٣) انظر : شذرات الذهب (٦/ ٢٨)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٨) .

(٤) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٧٤-٧٥)، والدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ١٣٢).

(٥) انظر : الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠) .

(٦) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٤) و (٢/ ٤٤٨)، شذرات الذهب (٦/ ٩٣)، البداية والنهاية (١٤/ ٧٥) .

٧- علاء الدين الكندي : علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد، ويعرف بكاتب وداعة المحدث، توفي سنة ٧١٦هـ[١] .

٨- ابن مكتوم : إسماعيل، الملقب بصدرالدين، والمكنى بأبي الفداء، ابن يوسف بن مكتوم القيسي، الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة ٧١٦هـ[٢] .

٩- ابن عبدالدائم : أبوبكر بن المسند زين الدين أحمد بن عبدالدائم بن نعمة المقدسي، مسند الوقت، المعمر، المتوفى سنة ٧١٨هـ[٣] .

١٠- المطعم : عيسى شرف الدين بن عبدالرحمن، المطعم في الأشجار، ثم السمسار في العقار، مسند الوقت، المتوفى سنة ٧١٩هـ، أخذ عنه الحديث[٤] .

١١- والده «قيِّم الجوزية» : أبوبكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي، المتوفى ليلة الأحد تاسع عشر ذي الحجة من سنة ٧٢٣هـ، أخذ عنه علم الفرائض[٥] .

١٢- شرف الدين بن تيمية : عبدالله، أبومحمد بن عبدالحليم بن تيمية النميري، أخو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى، توفي سنة ٧٢٧هـ،

---

(١) انظر : شذرات الذهب (٦/ ٩٣) .

(٢) انظر : شذرات الذهب (٦/ ٣٨)، العبر للذهبي (٥/ ٨٩) تحقيق فؤاد سيد . ط. حكومة الكويت سنة ١٩٦١م، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، الدرر الكامنة (٤/ ٢١) .

(٣) انظر: العبر للذهبي (٥/ ٩٨)، وشذرات الذهب (٦/ ٤٨)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٨)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، وطبقات المفسرين (٢/ ٩١)، الدرر الكامنة (٤/ ٢١) .

(٤) انظر : العبر (٥/ ١٠٨)، و شذرات الذهب (٦/ ٥٢)، و ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٨)، و الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، وطبقات المفسرين (٢/ ٩١)، و الدرر الكامنة (٤/ ٢٨٢) .

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٤/ ١١٠)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، البدر الطالع (٢/ ١٤٣) .

أخذ عنه الفقه[١] .

١٣- الزملكاني : محمد أبوالمعالي، كمال الدين بن علي بن عبدالواحد الأنصاري الشافعي ابن خطيب زَمَلكا[٢]، تولى قضاء حلب، وكان متفنناً في علوم شتى، توفي ليلة الأربعاء سادس عشر شهر رمضان من سنة ٧٢٧هـ[٣] .

١٤- شيخ الإسلام ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام النميري، المتوفى ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ .

أخذ عنه التفسير والحديث والفقه والفرائض والتوحيد وأصول الفقه، وكان من عيون أصحابه، ولازمه حتى تفقه به، وقرأ عليه قطعة من « المحرر » لجده المجد، وقرأ عليه من «المحصول» ومن كتاب «الأحكام» للسيف الآمدي، وقرأ عليه قطعة من «الأربعين» و «المحصل»، وقرأ عليه كثيراً من تصانيفه، وكانت ملازمته له منذ أن قدم ابن تيمية دمشق سنة ٧١٢هـ حتى توفي رحمه الله سنة ٧٢٨هـ[٤] .

وكان تأثير شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فيه قوياً ؛ إذ إنه كان السبب في سلامته من السير في ركاب أهل الأهواء المنحرفة، وقد عبَّر عن ذلك في

---

(١) انظر : شذرات الذهب (٦/ ٧٦)، العبر (٥/ ١٥٣)، الدرر الكامنة (٢/ ٣٧١)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، إعلام الموقعين للمؤلف (٤/ ١١٤) مراجعة طه عبدالرؤوف سعد . نشر دار الجيل، بيروت .

(٢) زَمَلكا : قرية بغوطة دمشق . معجم البلدان (٣/ ١٥٠) .

(٣) انظر : شذرات الذهب (٦/ ٧٩)، البداية والنهاية (١٤/ ١٣١-١٣٢)، الدرر الكامنة (٤/ ٧٤) .

(٤) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ١٣٥-١٤٠)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠-٢٧١) .

قصيدته النونية[١] أصدق تعبير عندما قال :

يا قوم والله العظيم نصيحة	من مشفقٍ وأخٍ لكم معوان
جرّبتُ هذا كله ووقعت في	تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضله	من ليس تجزيه يدي ولساني
حَبرٌ من أرض حرّان فيا	أهلاً بمن قد جاء من حرّان
فالله يجزيه الذي هو أهله	من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يرُم	حتى أراني مطلع الإيمان
ورأيتُ أعلام المدينة حولها	نزل الهدى وعساكر القرآن
ورأيتُ آثاراً عظيماً شأنها	محجوبة عن زمرة العميان

ولا يخفى أن ابن تيمية كان أعظم شيوخه، وأن ابن القيم أبرز تلاميذه، وتأثره به ظاهرٌ في مؤلفاته وفي سيرته .

١٥- المجد الحرّاني : إسماعيل مجدالدين بن محمد الفراء الحراني، شيخ الحنابلة بدمشق، المتوفى سنة ٧٢٩هـ، أخذ عنه الفرائض بعد أن أخذها عن والده، وأخذ عنه الفقه وأصوله[٢] .

١٦- الكحّال : أيوب، زين الدين بن نعمة النابلسي ثم الدمشقي، الكحّال، المتوفى سنة ٧٣٠هـ[٣] .

---

(١) (٢/ ٧٢-٧٣) .

(٢) انظر : العبر (٥/ ١٦١)، شذرات الذهب (٦/ ٨٩)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، الدرر الكامنة (١/ ٤٠٣) و (٤/ ٢١) .

(٣) انظر : العبر (٥/ ١٦٦)، شذرات الذهب (٦/ ٩٣)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، الدرر الكامنة (١/ ٤٦٤) .

١٧- البدر بن جماعة : بدرالدين أبوعبدالله، محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة الكناني، الحموي، الشافعي، الإمام المشهور، صاحب التصانيف الكثيرة، المتوفى ليلة الاثنين حادي عشرين جمادى الأولى من سنة ٧٣٣هـ [(١)] .

١٨- المزي : يوسف جمال الدين بن زكي الدين عبدالرحمن القضاعي، ثم الكلبي الدمشقي، الشافعي، إمام المحدثين، وخاتمة الحفاظ، المتوفى يوم السبت ثاني عشر صفر من سنة ٧٤٢هـ [(٢)] .

١٩- ابن مفلح : محمد شمس الدين، أبوعبدالله بن مفلح بن مفرج المقدسي الحنبلي، المتوفى يوم الخميس ثاني رجب من سنة ٧٦٣هـ [(٣)] .

تلاميذه:

أخذ عن ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ العلمَ خلقٌ كثير في حياة شيخه ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وبعد مماته، وانتفعوا به، وكان الفضلاء يعظّمونه ويتتلمذون له كابن عبدالهادي وغيره ـ كما قاله تلميذه ابن رجب[(٤)] ـ، وسأذكر جملة من تلاميذه، مع التعريف بكل واحد منهم مرتباً لهم على حسب

---

(١) انظر: شذرات الذهب (٦/ ١٠٥)، الدرر الكامنة (٣/ ٣٦٧)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، البداية والنهاية (١٤/ ١٦٣) .

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ١٩١-١٩٢)، شذرات الذهب (٦/ ١٣٦)، الدرر الكامنة (٢٣٣)، كتاب الروح (ص١٧)، المنار المنيف (ص٦٩)، جلاء الأفهام (ص١٢، ٣٧، ١٤٧)، حادي الأرواح (٦٧، ١٩٦) .

(٣) انظر: شذرات الذهب (٦/ ١٩٩)، البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٣، ٢٩٤)، الدرر الكامنة (٥/ ٣٠) .

(٤) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٩) .

وفياتهم، وهم :

١- ابن عبدالهادي: شمس الدين، أبوعبدالله، محمد بن أحمد بن عبدالهادي ابن قدامة المقدسي ثم الصالحي الحنبلي، المتوفى يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى من سنة ٧٤٤هـ، وكان مولده في رجب سنة خمس وسبعمائة[١] .

٢- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الذهبي، التركماني، الشافعي، الإمام، الحافظ، صاحب التصانيف الكثيرة في الحديث وغيره، توفي يوم الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق[٢] .

٣- السبكي: علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام السبكي، تقي الدين، أبوالحسن، المتوفى يوم الجمعة سادس شهر جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة[٣] .

٤- ابنه، شرف الدين ابن قيم الجوزية : عبدالله بن محمد بن قيم الجوزية، ولد سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، وتوفي يوم الأحد رابع عشر شعبان سنة ست وخمسين وسبعمائة، درَّس عوضاً عن أبيه بالصدرية، وكان مفرط الذكاء والحفظ[٤] .

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٥٠٨)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، شذرات الذهب (٦/ ١٤١)، البداية والنهاية (١٤/ ١٨٩-٢١٠)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥٢٤).

(٢) الوافي بالوفيات (٢/ ١٦٣)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٢١٦)، الدرر الكامنة (٤/ ٢٣٦)، شذرات الذهب (٦/ ١٥٣-١٥٥)، طبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٢١-٥٢٣) .

(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٢٥٢)، الدرر الكامنة (٣/ ١٣٤)، شذرات الذهب (٦/ ١٨٠)، طبقات الحافظ للسيوطي (ص٥٢٥-٥٢٦) .

(٤) البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٥، ٢٥٣)، الدرر الكامنة (٢/ ٣٩٦) .

٥- المقري: محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي، المقري، التلمساني، المتوفى سنة ٧٥٩هـ[١] .

٦- ابنه برهان الدين بن قيم الجوزية : إبراهيم بن محمد بن قيم الجوزية، أخذ عن والده وغيره، وكان بارعاً في النحو والفقه وفنون أُخر على طريقة والده ـ رحمهما الله تعالى ـ، وكان مدرساً بالصدرية والتدمرية، وولد سنة ٧١٦هـ، وتوفي يوم الجمعة سلخ شهر محرم من سنة ٧٦٧هـ[٢] .

٧- ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، عمادالدين، أبوالفداء، الإمام الحافظ المشهور، ولد سنة (٧٠٠هـ)، وتوفي في شعبان سنة ٧٧٤هـ[٣] .

٨- ابن رجب الحنبلي: عبدالرحمن زين الدين أبوالفرج بن أحمد بن عبدالرحمن الملقب برجب الحنبلي، ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ، وتوفي في شهر رجب سنة ٧٩٥هـ[٤] .

٩- النابلسي : محمد شمس الدين أبوعبدالله بن عبدالقادر بن محيي الدين

---

(١) انظر : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب لابن الخطيب حفيد المقري (٥/ ٢٥٤ وغيرها) طبع دار صادر ــ بيروت سنة ١٣٨٨هـ تحقيق إحسان عباس .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٣١٤)، شذرات الذهب (٦/ ٢٠٨)، الدرر الكامنة (١/ ٦٠) .

(٣) انظر : الدرر الكامنة (٣٧٣)، شذرات الذهب (٦/ ٢٣١)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥٣٣-٥٣٤) .

(٤) انظر : إنباء الغمر لابن حجر (١/ ٤٦٠)، الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٤٢٨)، شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩)، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٤٧-٤٥٠)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥٤٠) .

عثمان الحنبلي، المعروف بالجنة [١]، المتوفى سنة ٧٩٧هـ [٢].

١٠- الغزي : محمد بن محمد بن الخضر الغزي الشافعي، المتوفى سنة ٨٠٨هـ [٣].

وفاته [٤] :

توفي الإمام ابن قيم الجوزية بدمشق ليلة الخميس ثالث عشر رجب من سنة ٧٥١هـ، وصُلي عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي، عقيب الظهر ثم بجامع جراح، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وقد كانت جنازته حافلة جداً، شهدها القضاة والأعيان والصالحون، وتزاحم الناس على حمل نعشه، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله [٥].

ورُئيت له منامات حسنة، وكان هو ذكر قبل موته بمدة أنه رأى شيخه ابن تيمية في المنام، وأنه سأله عن منزلته، فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر.

ثم قال: وأنتَ كدتَ تلحق بنا، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة [٦]

---

(١) لقب بذلك لكثرة ما عنده من العلوم ؛ لأن الجنة فيها ما تشتهيه الأنفس . انظر : شذرات الذهب (٦/ ٣٤٩) .

(٢) انظر : شذرات الذهب (٦/ ٣٤٩) .

(٣) انظر : شذرات الذهب (٧/ ٧٩)، والبدر الطالع للشوكاني (٢/ ٢٥٤) .

(٤) قدَّمتُ مبحث (وفاته) على مبحث (ثناء العلماء عليه) لأنه من المعروف أن أغلب الثناء يأتي بعد الوفاة .

(٥) البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٤-٢٣٥)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٢) .

(٦) هو : محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة، أبوبكر، السلمي، النيسابوري، الشافعي، الإمام، الحافظ، الفقيه، ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وعني في حداثته بالحديث=

رحمه الله[١].

ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه كثير من العلماء، من تلاميذه وغيرهم:

فقال الصفدي: «اشتغل كثيراً، وناظر واجتهد، وأكبّ على الطلب، وصنَّف، وصار من الأئمة الكبار في علم التفسير، والحديث، والأصول، فقهاً، وكلاماً، والفروع والعربية، ولم يخلف الشيخ العلامة تقي الدين ابن تيمية مثله»[٢].

وقال ابن كثير: « برع في علوم متعددة، ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علماً جَمّاً، مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً، وكثرة الابتهال، وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه، ولا يستغيبه ولا يحقد على أحد، وكنت من أصحب الناس له، وأحب الناس إليه، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه...» ثم قال: «وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره

= والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان، له مؤلفات كثيرة منها: «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب»، وكتابه المسمى بـ « صحيح ابن خزيمة »، توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٣١٣).

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢٠/ ٤٥٠-٤٥١)، الدرر الكامنة (٤/ ٢٣)، شذرات الذهب (٦/ ١٧٠).

(٢) الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧١).

وأحواله»[١] .

وقال ابن رجب : « تفقه في المذهب وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفاً بالتفسير، لا يجارى فيه، وبأصول الدين وإليه فيها المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالماً بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم ودقائقهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى .

وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشغب بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله تعالى، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، لا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله، وقد امتحن وأُوذي مرات، وحُبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفرداً عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ .

وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير .. وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه[٢] .

وقال القاضي برهان الدين الزرعي : « ما تحت أديم السماء أوسع علماً (يعني في زمانه) صنَّف في أنواع العلم، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته،

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٤-٢٣٥) .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٤٨) .

ومطالعته وتصنيفه، واقتناء كتبه، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره »[١] .

وقال ابن حجر: «كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف، وغلب عليه حب ابن تيمية، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله[٢]، بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذّب كتبه ونشر علمه .

---

(١) انظر : ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٢٤٩) .

(٢) لا يصح هذا القول على إطلاقه ؛ بل انفرد ابن القيم عن شيخه ابن تيمية ـ رحمهما الله تعالى ـ في مسائل، منها : ما ذكره في زاد المعاد (١/ ١٨٧-٢٠٨) ط. الثالثة، ١٣٩٢هـ، نشر دار الفكر، بيروت عن حج الرسول ﷺ هل كان متمتعاً أم قارناً، وانتهى إلى ترجيح كونه ﷺ حجّ قارناً، وأنه ﷺ أمر من لم يسق الهدي من الصحابة أن يحل بعمرة إن كان قارناً أو مفرداً، فاستجاب له الصحابة رضي الله عنهم، ثم ذكر حكم الفسخ عند أهل العلم ، وأن ابن تيمية اختار اختصاص وجوبه في حق الصحابة، وجوازه في حق من بعدهم، ثم قال: لكن أبى ذلك البحر ابن عباس رضي الله عنهما، وجعل الوجوب للأمة إلى يوم القيامة .. وأنا إلى قولـه أميل مني إلى قول شيخنا .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره في كتاب الروح (١/ ٢١٣-٢١٥) في مسألة : هل تتلاقى أرواح الأحياء وأوراح الأموات أم لا ؟ من قول الله عـز وجل : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [سورة الزمر، آية ٤٢] وذكر أن في تفسير هذه الآية قولين، وأن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ اختار القول الثاني، ثم قال : والذي يترجح هو القول الأول .

وما ذكرته هنا من أمثلة لا تستوعب المسائل التي خالف فيها شيخه، بل هناك مسائل أخرى غيرها يجدها من يقرأ في كتبه .

وقال أيضاً ـ بعد أن ذكر كتبه ـ : وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف، وهو طويل النفس فيها، يتعانى الإيضاح جهده، فيسهب جداً ومعظمها من كلام شيخه يتصرف في ذلك، وله في ذلك ملَكَة قوية، ولا يزال يدندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها[1] .

وقال الشوكاني بعد أن ذكر كلام ابن حجر السابق : « ولـه من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان، وتحبه القلوب، وليس له على غير الدليل معول في الغالب، وقد يميل نادراً إلى المذهب الذي نشأ عليه، ولكنه لا يتجاسر على الدفع في وجوه الأدلة بالمحامل الباردة، كما يفعله غيره من المتمذهبين، بل لابد له من مستند في ذلك، وغالب أبحاثه الإنصاف والميل مع الدليل حيث مال، وعدم التعويل على القيل والقال، وإذا استوعب الكلام في بحث وطول ذيوله، أتى بما لم يأتِ به غيرُه، وساق ما ينشرح له صدور الراغبين في أخذ مذاهبهم عن الدليل .. وبالجملة فهو أحد من قام بنشر السنة، وجعلها بينه وبين الآراء المحدثة أعظم جنة، فرحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً »[2][3] .

---

(١) الدرر الكامنة (٤/ ٢١-٢٢) .

(٢) البدر الطالع (٢/ ١٤٤-١٤٥) .

(٣) قال الشيخ بكر أبوزيد بعد أن ذكر قول ابن حجر والشوكاني : فهذا من الشوكاني كالتفسير والبيان لكلمة الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ من أن انتصاره لاختيارات شيخه ومفرداته لم يكن عن تبعية مجردة وتعصب ذميم، وإنما هو عن قناعة ودرس وتفهم وتعويل على الدليل. انظر : كتاب «ابن القيم حياته، آثاره، موارده »، ص١٤٣-١٤٤، وفيه رد الشيخ بكر أبوزيد رداً علمياً محققاً على محمد زاهد الكوثري الذي زعم أن ابن القيم نسخة من شيخه ابن تيمية .

وقال ابن العماد في ترجمته له : «العلاَّمة، الفقيه الحنبلي، بل المجتهد المطلق، المفسر، النحوي، الأصولي، المتكلم، الشهير بابن قيم الجوزية»[١] .

وقال السيوطي : « صنّف وناظر، واجتهد، وصار من الأئمة الكبار، في التفسير، والحديث، والفروع، والعربية »[٢] .

وقال السخاوي : « العلاّمة الحجة، المتقدم في سعة العلم، ومعرفة الخلاف، وقوة الجنان، ورئيس أصحاب ابن تيمية الإمام، بل هو حسنة من حسناته، والمجمع عليه بين المخالف والموافق، وصاحب التصانيف السائرة، والمحاسن الجمة، انتفع به الأئمة، ودرَّس بأماكن »[٣] .

مؤلفاته:

للإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ مؤلفات كثيرة في عدد من العلوم تشهد على ما يتمتع به من طول الباع في كل علم منها، وقدرته العلمية الفذة، وقد ذكر بعض من كتبوا عنه عدداً من كتبه . لذا سأقتصر على ذكر بعض أشهر مؤلفاته مرتبة على الحروف الهجائية وهي :

١- **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطّلة والجهمية :** ذكره في كتاب الفوائد[٤] ، كما ذكره عامة من ترجموا له[٥] ، وقد طبع عدة مرات، ومنها طبعة

---

(١) انظر : شذرات الذهب (٦/ ١٦٨) .

(٢) بغية الوعاة (١/ ٦٣) .

(٣) انظر : التاج المكلل لصديق القنوجي (ص٤١٩) .

(٤) ص(٦) .

(٥) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠)، شذرات الذهب (٦/ ١٧٠)، طبقات المفسرين (٢/ ٩٣).

بتحقيق الدكتور عواد بن عبدالله المعتق سنة ١٤٠٨هـ .

٢- **أحكام أهل الذمة:** ذكره المؤلف في هذا الكتاب «كتاب شفاء العليل»[١] باسم «أحكام أهل الملل» وطبع بتحقيق صبحي الصالح سنة ١٣٨١هـ بمطبعة جامعة دمشق .

٣- **إعلام الموقعين عن رب العالمين :** ذكره ابن رجب[٢]، والداودي[٣]، وطبع عدة مرات[٤] .

٤- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان :** ذكره ابن العماد[٥]، وحاجي خليفة[٦]، والبغدادي[٧] ، وقد طبع عدة مرات[٨] .

٥- **بدائع الفوائد :** ذكره عامة من ترجموا له؛ كابن رجب[٩]، والصفدي[١٠]، والداودي[١١] ، وغيرهم، وطبع عدة مرات[١٢] .

---

(١) ص(٤٩٣) من طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(٣) طبقات المفسرين (٢/ ٦٣) .

(٤) منها : طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٤هـ، بتحقيق محيي الدين عبدالحميد .

(٥) شذرات الذهب (٦/ ١٧٠) .

(٦) كشف الظنون (١/ ١٢٩) .

(٧) هدية العارفين (٢/ ١٥٨) .

(٨) منها : طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بتحقيق الشيخ محمد الفقي .

(٩) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(١٠) الوافي بالوفيات (٤/ ٢٧١) .

(١١) طبقات المفسرين (٢/ ٩٦) .

(١٢) منها : طبعة المطبعة المنيرية بمصر بلا تاريخ .

٦- **تحفة المودود في أحكام المولود:** ذكره عدد ممن ترجموا له؛ كابن رجب[١]، وابن العماد[٢]، وغيرهما . وطبع مراراً[٣] .

٧- **تهذيب مختصر سنن أبي داود:** أشار إليه المؤلف في كتابيه: زاد المعاد[٤]، وبدائع الفوائد[٥]، وطبع مع مختصر المنذري ومعالم السنن للخطابي[٦] .

٨- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح :** ويسمى أيضاً بكتاب « صفة الجنة »، ذكره المؤلف في كتابه «الصواعق المرسلة»[٧]، وذكره ابن رجب[٨]، والداودي[٩]، وغيرهما، وطبع هذا الكتاب عدة مرات[١٠] .

٩- **الداء والدواء :** ذكره ابن رجب[١١]، والداودي[١٢]، وغيرهما، وطبع

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(٢) شذرات الذهب (٦/ ١٧٠) .

(٣) منها : طبعة بتحقيق الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، نشرتها دار البيان بدمشق سنة ١٣٩١هـ .

(٤) (١/ ٣٩) .

(٥) (٢/ ١٧٧) .

(٦) بتحقيق الشيخين أحمد شاكر ومحمد الفقي، ونشرته دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ .

(٧) (٤/ ١٣٣٢) .

(٨) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(٩) طبقات المفسرين (٢/ ٩٦) .

(١٠) منها: طبعة بمطبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٨١هـ، بتصحيح محمود حسن الربيع .

(١١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(١٢) طبقات المفسرين (٢/ ١٩٦) .

عدة مرات بهذا الاسم[١]، وباسم «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»[٢] .

١٠- **روضة المحبين:** ذكره ابن رجب[٣]، والداوودي[٤]، وغيرهما، وطبع عدة مرات[٥] .

١١- **الروح** : ذكره المؤلف في كتابه «جلاء الأفهام»[٦]، وذكره ابن حجر[٧]، والسيوطي[٨] ، وابن العماد[٩] ، وطبع عدة مرات[١٠] .

١٢- **زاد المعاد في هدي خير العباد:** ذكره ابن رجب[١١]، والصفدي[١٢]، والداوودي[١٣] ،

---

(١) منها : طبعة مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٨٧هـ بتصحيح محمود حسن الربيع.

(٢) منها: طبعة مطبعة المدني بمصر سنة ١٣٧٧هـ بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(٤) طبقات المفسرين (٢/ ٩٦) .

(٥) منها: طبعة المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦هـ.

(٦) (ص٢٨٢) .

(٧) الدرر الكامنة (٤/ ٢٣) .

(٨) بغية الوعاة (١/ ٦٣) .

(٩) شذرات الذهب (٦/ ١٧٠) .

(١٠) منها : طبعة بتحقيق الدكتور بسام العموش، نشرتها دار ابن تيمية بالرياض، سنة ١٤٠٦هـ .

(١١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(١٢) الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٢) .

(١٣) طبقات المفسرين (٢/ ٩٦) .

وغيرهم، وطبع عدة مرات[١] .

١٣- **شفاء العليل** : وهو موضوع هذه الرسالة .

١٤- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** : ذكره المؤلف في كتابه : «إغاثة اللهفان »[٢]، وذكره ابن العماد[٣]، والشوكاني[٤]، وغيرهما . وطبع القسم الموجود منه بتحقيق الدكتور علي الدخيل الله[٥] .

١٥- **طريق الهجرتين وباب السعادتين** : ذكره المؤلف في كتابه « مدارج السالكين»[٦]، وذكره ابن رجب، والداودي[٧]، وغيرهما، وطبع عدة مرات[٨].

٦٠ **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية** : ذكرها المؤلف في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية[٩]، وذكرها عدد ممن ترجموا له[١٠]، وقد طبعت عدة

---

(١) منها : طبعة مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٤٧هـ بتحقيق محمد حامد الفقي .

(٢) (٢/ ١١٤) .

(٣) شذرات الذهب (٦/ ١٩٦) .

(٤) البدر الطالع (٢/ ١٤٤) .

(٥) نشر دار العاصمة بالرياض سنة ١٤٠٨هـ ط. الأولى .

(٦) (٢/ ٥٤) .

(٧) طبقات المفسرين (٢/ ٩٦) .

(٨) منها : الطبعة التي طبعت في دولة قطر على نفقة الشيخ حمد آل ثاني، وحققها وراجعها الشيخ عبدالله الأنصاري، بلا تاريخ .

(٩) ص(٧٠) .

(١٠) انظر : الوافي بالوفيات (٧/ ٢٧١)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٩)، وطبقات المفسرين (٢/ ٩٣) .

مرات، وتسمى أيضاً بـ « القصيدة النونية » ؛ لأن قافيتها النون، نظمها لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين لها، وقد شرحها عدد من العلماء، منهم :

١- حمد بن إبراهيم بن عيسى المتوفى سنة ١٣٢٩هـ في كتابه « توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم »[١] .

٢- عبدالرحمن بن ناصر السعدي المتوفى سنة ١٣٧٦هـ في كتابه « توضيح الكافية الشافية »[٢] .

٣- محمد خليل هراس في كتابه « شرح النونية »[٣] .

١٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : وهو شرح لكتاب منازل السائرين لأبي إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي، ذكره عدد ممن ترجموا له[٤] ، وطبع عدة مرات[٥] .

١٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والإرادة : ذكره المؤلف في هذا الكتاب[٦] ، وفي كتاب « مدارج السالكين »[٧] ، وطبع

---

(١) نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٢هـ .

(٢) طبع بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٦٨هـ .

(٣) طبع في مطبعة الإمام بالقاهرة .

(٤) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٩)، وطبقات المفسرين (٢/ ٩٦)، وكشف الظنون (٢/ ١٨٢٨) .

(٥) منها : طبعة مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٧٥هـ . بتحقيق محمد حامد الفقي.

(٦) ص(٦٢٦) .

(٧) (١/ ٩١) .

عدة مرات[١] .

١٩- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : أشار إليه المؤلف في كتابه « أحكام أهل الذمة »[٢] ، وذكره حاجي خليفة[٣] ، وطبع عدة مرات[٤] .

* * *

---

(١) منها : طبعة مكتبة الأزهر سنة ١٣٥٨هـ، بتحقيق محمود حسن الربيع .

(٢) (١/ ٢٦٧) .

(٣) كشف الظنون (٢/ ٢٠٣٠) .

(٤) منها : طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٦هـ التي طبعت في مؤسسة مكة للطباعة والإعلام .



ثانياً

التعريف بالكتاب ونسخه الخطيَّة

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول : التعريف بالكتاب .

ويحتوي على ما يلي:

اسمه

صحة نسبته إلى مؤلفه

تأريخ تأليفه

منهج المؤلف فيه

مصادره

مقارنته مع بعض ما ألف في بابه

قيمته العلمية

الفصل الثاني : التعريف بنسخه الخطية

عدد النسخ.

التعريف بها وأماكن وجودها

نماذج مصورة منها






الفصل الأول

التعريف بالكتاب

ويحتوي على ما يلي:

- اسمه
- صحة نسبته إلى مؤلفه
- تأريخ تأليفه
- منهج المؤلف فيه
- مصادره
- مقارنته مع بعض ما ألف في بابه
- قيمته العلمية




اسمه

« شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل »

بهذا الاسم سمّاه المؤلف ـ رحمه الله ـ في مقدمته .

وهذا نص صريح في اسمه، حيث قال : « وسميته : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » .

وممن ذكره بهذا الاسم حاجي خليفة[١]، والبغدادي[٢]، وذكره ابن حجر[٣]، والشوكاني[٤]، وصديق حسن خان[٥]، باسم : « القضاء والقدر »[٦]، ولعلّ ذلك منهم على سبيل الاختصار لاسم الكتاب.

وذكره بالاسمين معاً : حاجي خليفة[٧]، والبغدادي[٨]، وورد في النسخة الخطية التركية باسم « شفاء الغليل ... إلخ » بالغين المعجمة، وبهذا الاسم ذكره الأستاذ محمد عزت الحسيني في مقدمته لكتاب الفروسية للمؤلف[٩] .

---

(١) كشف الظنون (٢/ ١٠٥١) .

(٢) هدية العارفين (٢/ ١٥٨) .

(٣) الدرر الكامنة (٤/ ٢٣) .

(٤) البدر الطالع (٢/ ١٤٤) .

(٥) التاج المكلل (ص٤١٩) .

(٦) كشف الظنون (٢/ ١٠٥١، ١٤٥٠) .

(٧) انظر : مقدمته لكتاب الفروسية ص(٥) .

(٨) هدية العارفين (٢/ ١٥٨) .

(٩) (ص٥) .

وبالرجوع إلى كتب اللغة لمعرفة معنى كلمة « العليل » و « الغليل » تبيَّن أن كلمة « العليل » بالمهملة يُراد بها : المريض، وكلمة « الغليل » بالمعجمة يُراد بها الظمآن[١] .

وبهذا يتضح أن كلمة العليل ـ بالمهملة ـ هي المناسبة للشفاء .. ومما يقوي ذلك أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ استعمل كلمة الشفاء مع العليل، والإرواء مع الغليل في موضعين من كتابه هذا، فقال : هذه الأقوال التي لا تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً[٢] .

صحة نسبته إلى مؤلفه :

لا شك في نسبة هذا الكتاب إلى الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ ومما يؤكد القطع بنسبته إليه ما يلي :

١- أن جميع الكتب التي ذكرت هذا الكتاب نسبته إلى المؤلف، ولم أقف على أحد نسبه إلى غيره أو شكك في نسبته إليه .

٢- أن المؤلف ذكره في كتابه « إغاثة اللهفان »[٣]، ووعد في «تهذيب السنن»[٤] بتأليف كتاب في أدلة إثبات القدر والرد على القدرية، وهذا ينطبق على هذا الكتاب .

٣- أن المؤلف ذكر في كتابه هذا عدداً من كتبه، منها :

---

(١) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي (١٣٣٨) مادة « مرض » ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٧٦) مادة « غلل » .

(٢) انظر : (ص٨٤٩، ٨٩٤) .

(٣) (١/ ٥٦) .

(٤) (٧/ ٨٠) .

- مفتاح دار السعادة[١] .

- أحكام أهل الملل[٢] .

٤- أن أسلوب هذا الكتاب يتطابق تماماً مع أسلوب المؤلف في بقية كتبه .

٥- نقله في عدة مواضع من كتابه هذا عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ جرياً على عادته في أكثر كتبه .

تاريخ تأليفه:

لم تتضمن النسخ الخطية لهذا الكتاب ذكراً لتاريخ تأليفه، كما أن الذين ذكروه لم يشيروا إلى ذلك، ولكن يتبيَّن من خلال ما سبقت الإشارة إليه في مبحث «صحة نسبة الكتاب لمؤلفه» ما يلي :

ا- أنه ألّفه بعد كتبه التالية :

أ- تهذيب سنن أبي داود: الذي فرغ من تأليفه في آخر شوال سنة ٧٣٢هـ[٣]، حيث قال في التهذيب (٧/ ٨٠) : « وقد نظرت في أدلة إثبات القدر والرد على القدرية والمجوسية، فإذا هي تقارب خمسمائة دليل، وإن قدر الله تعالى أفردت لها مصنفاً مستقلاً، وبالله عز وجل التوفيق » .

وهذا الكلام لا ينطبق على شيء من كتبه المعروفة إلا شفاء العليل .

ب- مفتاح دار السعادة : حيث قال في كتابه هذا ص(٦٢٦) في معرض رده على من قال باستواء الأفعال بالنسبة إلى الله عز وجل وأنها لا تنقسم في نفسها

---

(١) (ص٧٧٩) .

(٢) (ص٤٩٣) من طبعة دار الكتب العلمية، بيروت .

(٣) انظر : تهذيب سنن أبي داود (٨/ ١٢١) المطبوع مع مختصر المنذري .

إلى حسن وقبيح : « ولعمر الله إنه لمن أبطل الأقوال وأشدها منافاة للعقل والشرع ولفطرة الله التي فطر عليها خلقه، وقد بيَّنا بطلانه من أكثر من خمسين وجهاً في كتاب المفتاح » . وانظر كتاب مفتاح دار السعادة (٢/ ٣٤-١٦٥) .

ج- **أحكام أهل الملل** : حيث قال في كتابه هذا[1] بعد أن ذكر بعض مسائل أحكام أطفال الكفار : « وليس المقصود ذكر هذه المسائل وما يصير به الطفل مسلماً ؛ فإنا قد استوفيناها في كتابنا في أحكام أهل الملل » .

٢- وقبل كتبه التالية :

أ- **إغاثة اللهفان:** حيث قال فيه ـ عند الكلام على معنى قول الله عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾[2] ـ : « ولا يصح أن تفسر الإرادة هاهنا بالإرادة الدينية، وهي الأمر والمحبة، فإنه سبحانه قد أراد ذلك لهم أمراً ومحبةً، ولم يرده منهم كوناً، فأراد الطهارة لهم وأمرهم بها، ولم يرد وقوعها منهم ؛ لما له في ذلك من الحكمة التي فواتها أكره إليه من فوات الطهارة منهم، وقد أشبعنا الكلام في ذلك في كتابنا الكبير في القدر »[3] .

ب- **الصواعق المرسلة** : حيث قال في ص(٥٨٥-٥٨٧) من كتابه هذا ـ بعد أن ذكر إنكار القدرية للمرتبة الثالثة من مراتب الهداية « هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعل » وتأوّلهم للآيات الدالة على هذه المرتبة على غير تأويلها : « وهذا من جناية القدرية على القرآن ومعناه، نظير جناية إخوانهم من الجهمية على نصوص الصفات وتحريفها عن مواضعها، وفتحوا للزنادقة

---

(١) (ص٤٩٣) من طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) سورة المائدة، آية : ٤١ .

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٥٦).

والملاحدة جنايتهم على نصوص المعاد وتأويلها بتأويلات إن لم تكن أقوى من تأويلاتهم لم تكن دونها، وفتحوا للقرامطة والباطنية تأويل نصوص الأمر والنهي بنحو تأويلاتهم، فتأويل التحريف الذي سلكته هذه الطوائف أصل فساد الدنيا والدين وخراب العالم، وسنفرد ـ إن شاء الله ـ كتاباً نذكر فيه جناية المتأولين على الدنيا والدين » . وهذا الكلام لا ينطبق إلا على كتابه الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة . وانظر منه (١/ ٣٤٨-٥٢٠) .

ويستنتج من قول المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدمة كتابه هذا ص(١٣٤) : «فيا أيها المتأمل له الواقف عليه، لك غُنْمه، وعلى مؤلفه غُرْمه، ولك فائدته وعليه عائدته، فلا تعجل بإنكار ما لم يتقدم لك أسباب معرفته، ولا يحملنّك شنآن مؤلفه على أن تحرم ما فيه من الفوائد، التي لعلك لا تظفر بها في كتاب، ولعل أكثر من تعظمه ماتوا بحسرتها »، إن تأليفه لهذا الكتاب كان في وقت علو شأنه وذيوع صيته، له تلامذة وأصحاب، وله مناوؤن وأعداء، كما أن مادة الكتاب تشعر بذلك[١] .

منهج المؤلف في هذا الكتاب:

سار المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب وفق المنهج التالي :

١- الاعتماد على الكتاب والسنة ثم تقديم الراجح من أقوال الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على من سواهم : وهذا هو منهجه في جميع كتبه، ومنها هذا الكتاب، وهو ظاهر جداً بحيث لا يحتاج إلى ذكر مثال له، وهو منهج أئمة السلف قديماً وحديثاً .

٢- الدقة في النقل : وتتمثل في التزامه بنسبة الأقوال إلى قائليها، وأمثلتها في

---

(١) انظر : كتاب ابن القيم من آثاره العلمية (ص١٢٦-١٢٧) لأحمد ماهر البقري .

هذا الكتاب كثيرة جداً، منها : ما ورد في ص(٦١٣) عندما أشار إلى كلام الجويني في « النظامية » قال : ونحن نذكر كلامه بلفظه، ثم ذكره .

٣- السعة والشمول : فهو عندما يناقش أي مسألة يستقصي جميع ما يتعلق بها، وهذا شأنه في كتبه، ولذا ترى كثيراً ممن ترجموا له يذكرون عنه ذلك، ومنهم حاجي خليفة الذي قال عندما ذكر كتابه هذا : « بسط الكلام فيه كل البسط كما هو دأبه »[(١)] .

ولا غرو في ذلك ؛ فهو قد حاز علوماً شتى، حتى إن القارئ عندما يقرأ كلاماً له حول مسألة لغوية مثلاً يتبادر إلى ذهنه لأول وهلة أن هذا العلم هو ميدانه، ثم ما يلبث أن يزداد إعجاباً بهذا العَلَم الشامخ عندما يقرأ له في فن آخر، لذا فلا عجب عندما توصف مؤلفاته بالسعة والشمول، وهذه ميزة طيبة محمودة لصاحبها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده .

ومن أمثلة ذلك في هذا الكتاب : ما ذكره المؤلف في الباب السابع عشر، فقد ذكر الكسب والجبر، ومعناهما لغة واصطلاحاً، وذكر عدداً من أقوال أهل اللغة، وذكر شواهد لهذه الأقوال من الشعر، كما ذكر أقوال المفسرين وغيرهم، مع مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة وترجيح ما يراه راجحاً، مما يجعل طالب العلم يلم بأطراف الموضوع من كل جوانبه.

٤- قبول الحق بغضّ النظر عن قائله : وهذا منهج يتميز به السلف الصالح، حيث إن الحق هو طلبتهم وإليه يسعون، ولذلك نرى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يقرر هذا المنهج في مواضع عدة من كتابه هذا، منها :

---

(١) كشف الظنون (٢/ ١٠٥١) .

ما ورد في ص(٤٦٠-٤٦١) عندما ذكر أقوال الجبرية والقدرية في أعمال العباد، قال : « وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب ، وبعضهم أقرب إلى الصواب، وبعضهم أقرب إلى الخطأ ..» ثم قال : « وأهل السنة وحزب الرسول وعسكر الإيمان لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وكل حق مع طائفة من الطوائف منهم يوافقونهم فيه، وهم بُرآء من باطلهم». وانظر أيضاً ص(٥٩١) .

وما ورد في ص(٥٩٩) عندما ذكر قول القدرية في الآيات الواردة في الطبع قال : « ولعمر الله إن الذي قاله هؤلاء حقه أكثر من باطله، وصحيحه أكثر من سقيمه ... » .

٥- إعادة ذكر بعض المسائل في أكثر من موضع حسب دعاء الحاجة إلى ذلك، وهذا يتمثل في أمرين :

أحدهما : أن يذكر الكلام في كتاب واحد من كتبه، ومثاله في هذا الكتاب ما ورد في ص(٥٤١-٥٤٢) عند هداية الحمام، فقد أعاده مرة أخرى في ص(٥٦٠).

الثاني : أن يذكر الكلام على مسألة معينة في عدد من كتبه، ومثاله ما ورد في هذا الكتاب ص(٨٢٣-٨٢٤) حول مسألة طلاق الغضبان، فقد ذكرها في كتابه « إغاثة اللهفان » في طلاق الغضبان (ص٢٧وما بعدها)، وفي كتاب « إعلام الموقعين » (٣/ ٥٢-٥٣)، وفي كتاب « زاد المعاد » (٤/ ٤١-٤٢)، وكذلك مسألة طلاق السكران، ذكرها في هذا الكتاب في ص(٨٢٢-٨٢٣)، وفي كتاب « إعلام الموقعين » (٤/ ٤٨-٤٩)، وفي كتاب « زاد المعاد » (٤٠/ ٤١) .

ولعل له في ذلك مقاصد يمكن التماس بعضها فيما يلي :

أ- إن قسماً كبيراً من مؤلفاته يوصف بأنه موسوعي، بمعنى أنه يبحث

موضوعات عدة في كتاب واحد ؛ لذا فلا غرابة أن يحصل تكرار لما يرد في هذه الكتب مع كتبه الأخرى التي خصصها لبحث موضوع معين .

ب- أن تكون الإعادة اختصاراً لما أطاله في موضع آخر، أو لها ارتباط بكلا الموضعين .

٦- **الاستطراد** : وسأذكر أمثلة منه في « تقويم الكتاب » .

٧- **المناقشة والاختيار** : فهو عندما يذكر الاستدلالات يشبعها بحثاً ودراسة وتحليلاً، ومما ساعده على ذلك سعة اطلاعه، وما وهبه الله من جودة في الفهم وقوة في الإدراك، لذا لم يكن يذكر شيئاً في استدلالات الناس على المسائل دون تمحيصه ودراسته، وقبول الحق منه ورد باطله، وترجيح ما يراه راجحاً، ومن أمثلة ذلك في هذا الكتاب ما ورد في ص(٨٢٤) عندما ذكر مسألة طلاق الغضبان . وص(٦٣١) فقد خطّأ أبا إسحاق الزجّاج في تعريفه « للغين » وجعله « كالرين » وص(٥٠٠-٥٠١) فقد ذكر أقوال العلماء في مفسر الضمير في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1] ثم قال : « وعندي في هذه الأقوال شيء ...» ثم أخذ يناقش تلك الأقوال، واختار ما رآه راجحاً .

ومنه ما ورد في البابين التاسع عشر، والعشرين من المناظرات التي عقدها المؤلف بين سني وقدري، وبين سني وجبري .

٨- **عذوبة اللفظ وقوة البيان** : لقد أوتي ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ قدرة فائقة على صياغة كلامه بأسلوب عذب خالٍ من التكلّف والتصنّع، وهذا ما عبّر عنه الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : « وله من حسن التصرف، مع

(١) سورة الحجر، آية : ١٢ .

العذوبة الزائدة وحسن السياق، ما لا يقدر عليه غالب المصنفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان، وتحبه القلوب »[١] .

ويتميز أسلوبه بعدة أمور منها :

أ- الاقتباس من القرآن الكريم : وهو كثير ومن أمثلته في هذا الكتاب ما ورد في ص(١٠٩) حينما قال في خطبة الكتاب : « ثم استوى على العرش المجيد بذاته، منفرداً بتدبير خلقه بالسعادة والشقاوة، والعطاء والمنع، والإحياء والإماتة، والخفض والرفع، والإيجاد والإفناء، والنقض والإبرام ، ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[٢] .

* وما ورد في ص(١١٢) قال : «وجعل أهل ذكره أهل مجالسته، وأهل شكره أهل زيادته، وأهل طاعته أهل كرامته، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته، إن تابوا فهو حبيبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٣] .

* وانظر أيضاً ص(١١٥، ١١٦، ١٢٥، ٦٩١) .

* ومن السنة النبوية المطهرة : ومن أمثلته ما ورد في ص(١١٠-١١١) حيث قال في خطبة الكتاب : «والحمد لله ذي الإفضال والإنعام ..» إلى أن قال : «**فهو الحي القيوم الذي لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عملُ الليل قبل النهار، وعملُ النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** » .

---

(١) البدر الطالع (٢/ ١٤٤) .

(٢) اقتباس من الآية ٢٩ من سورة الرحمن .

(٣) اقتباس من الآية : ٢٢٢ من سورة البقرة .

* وهذا الكلام مقتبس من الحديث الذي رواه أبوموسى الأشعري ﷺ ، وانظر تخريجه في ص(١١١-١١٢) ، وانظر أيضاً ص(١١٣، ١٢٥) .

* ومن الشعر : ومن أمثلته ما ورد في ص (٢٢٤) حيث قال : فإثبات القدر من تمام حجته البالغة عليهم، وأن الأمر كله لله « **وأن كل شيء ما خلا الله باطل** »، فما بين القوسين من بيت للبيد . وانظر تخريجه في ص(٢٢٤-٢٢٥) .

ب- **التمثيل:** أحياناً يريد المؤلف أن يقرِّب صورة أمرٍ ما لفهم القارئ، فيضرب له مثلاً، كما ورد في ص(٨٢١-٨٢٢) عندما قال : فالربُّ تعالى أعطى عبده مشيئة وقدرة وإرادة، وعرَّفه ما ينفعه وما يضره، وأمره أن يجري مشيئته وإرادته وقدرته في الطريق التي يصل بها إلى غاية صلاحه، فإجراؤها في طريق هلاكه بمنزلة من أعطى عبده فرساً وأوقفه على طريق نجاة وهلكة، وقال: أجرها في هذا الطريق ... وإذا أردت فهم هذا على الحقيقة فتأمل حال من عرضت له صورة بارعة الجمال فدعاه حسنها إلى محبتها، فنهاه عقلُه وذكّره ما في ذلك من التلف والعطب، وأراه مصارع العشاق عن يمينه وعن شماله ومن بينه ومن خلفه، فعاد يعاود النظر مرة بعد مرة، ويحُثُّ نفسه على التعلق وقوة الإرادة، ويحرص على أسباب المحبة، ويدني الوقود من النار، حتى إذا اشتعلت وشبَّ ضرامها ورمت بشررها، وقد أحاطت به ؛ طلب الخلاص، قال له القلب : هيهات ولات حين مناص، وأنشده :

تولَّع بالعشق حتى عشق ... فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق

فالمؤلف في هذا النص ضرب الأمثلة واستشهد بالشعر .

ت- **الاستشهاد بالشعر** : منها ما سبقت الإشارة إليه آنفاً، ولمعرفة مزيد من

الأمثلة انظر فهرس الشعر .

ث- السجع : يميل ابن القيم - رحمه الله تعالى - إلى السجع في كثير من كتبه، وهو سجع غير متكلف، ولا مقصود بذاته، بحيث يؤثر على المعنى المراد التعبير عنه، والسجع يعطي الكلام وقعاً عذباً على النفس، وكأن الكلمات أسلمت زمامها لابن القيم وانقادت، فهو يختار منها ما يشاء دون عناء، وأول ما تراه من السجع في هذا الكتاب هو عنوانه : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل .

ثم في مقدمته حيث يقول : الحمد لله ذي الإفضال والإنعام، والمنن الجسام، والأيادي العظام، ذي الجلال والإكرام، الملك القدوس السلام ...» إلخ، وأمثلته في هذا الكتاب كثيرة .

ج- حسن التصوير : ومن أمثلته في هذا الكتاب قوله في ص(٨٩٣) : «وما لم يلزم من إثبات ذلك من الباطل الذي تتخيله خفافيش العقول فنحن له منكرون»، ويتضح هذا التصوير البليغ إذا عرفنا أن الخفافيش توصف بضعف البصر والدماغ، وصغر عيونها .

وفي ص(٨٣٤) حيث صوّر من سوّى بين حركة السارق والمجاهد، وحركة المكتوف، فقال : « فمن سوّى بين الحركتين، فقد خلع رِبْقَةَ العقل والفِطرةِ والشِّرعَةِ من عنقه » .

وفي ص(٧١٣-٧١٤) عندما أشار إلى ما يجول في نفوس كثير من الناس حول كيفية اجتماع القضاء والقدر والأمر والنهي، والعدل والعقاب على المقضي المقدر، حيث قال : «سلك كل طائفة في هذا المقام وادياً وطريقاً، فسلكت الجبرية وادي الجبر... وسلكت القدرية وادي العدل والحكمة، ووقفت

طائفة أخرى في وادي الحيرة بين القدر والأمر ... » .

وفي ص(٨٣٣) حيث قال : « قال السني : هذا أَحَدُ سهمٍ في كنانتك، وهو بحمد الله سهم لا ريش له ولا نصل، مع عوجه وعدم استقامته».

ح- **دقة الوصف وجماله لما يصفه من المشاهد** : وهذا ظاهر جداً في الباب الرابع عشر ص(٥٢٢ وما بعدها) عندما تكلم عن هداية النحل والنمل والهدهد والحمام وغيرها، فقد وصف أحوالها وصفاً دقيقاً، بأسلوب جميل أخَّاذ .

مصادره :

إنَّ المطَّلع على كتب الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ يرى أنه رجع إلى كتب كثيرة في مختلف الفنون، ولا غرابة في ذلك ؛ حيث كان لديه مكتبة كبيرة، فقد قال تلميذه ابن رجب : «... واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره »[١] .

وقال تلميذه ابن كثير : « واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشر معشاره من كتب السلف والخلف »[٢] .

وقال ابن حجر : « وكان مغرىً بجمع الكتب، فحصَّل منها ما لا يحصى، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم »[٣] .

وقد نقل في كتابه هذا عن مصادر كثيرة ـ بعد كتاب الله عز وجل ـ بعضها ذكر القول منسوباً إلى قائله دون تحديد اسم الكتاب، والبعض الآخر صرح فيه

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٩) .
(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٢٠٢) .
(٣) الدرر الكامنة (٤/ ٢٢) .

باسم الكتاب، والمصادر التي نقل عنها في القسم الذي أحققه هي[1] :

١- الإشارات لابن سينا . ص(٢١٣) .

٢- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص(٦٣٥، ٧٩٩) .

٣- تجريد مقالات الأشعري لابن فورك ص(٧٧٦) .

٤- التحصيل لمحمود بن أبي بكر الأرموي ص(٨٣٥) .

٥- تفسير أسباط بن نصر ص(١٩٠) .

٦- تفسير ابن جرير الطبري ص(٤٩٤، ٤٩٥) .

٧- تفسير ابن مردويه ص(٢٨٢) .

٨- تفسير الأشجعي ص(٢٨٤) .

٩- تفسير البغوي « معالم التنزيل » ص(٣٣٢، ٣٤٤).

١٠- تفسير الثعلبي « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » ص(٣٣٢) .

١١- تفسير الضحاك ص(٢٨٤) .

١٢- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص(٣٦١، ٩٠٥) .

١٣- تفسير الواحدي « البسيط » ص(٥٠٥، ٧٥١) .

١٤- التمهيد لابن عبدالبر . ص(١٧١ وما بعدها) .

١٥- تهذيب الآثار للطحاوي ص(٥٣٣) .

١٦- تهذيب اللغة للأزهري ص(٤٩٧، ٦٢٥، ٦٣٦) .

١٧- جامع الترمذي ص(٦٨، ٦٨٢، ٧٠٣، ٧٥٨ وغيرها) .

١٨- الحيدة لعبدالعزيزالكناني ص(٨٨٥) .

١٩- الحيوان للجاحظ ص(٥٤٦) .

---

(١) مرتبة على الحروف الهجائية .

٢٠- خلق أفعال العباد للبخاري ص(٦٩٧، ٧٨٧) .
٢١- زاد المسير لابن الجوزي ص(٣٣٣، ٣٤٤، ٩٠٥) .
٢٢- الزهد للإمام أحمد ص(٥٣٣، ٧٣٠) .
٢٣- سنن ابن ماجه ص(٣٨) .
٢٤- سنن أبي داود ص(١٣٩ وغيرها) .
٢٥- سنن النسائي ص(١٦٥ وغيرها) .
٢٦- السنة للطبراني ص(٢٧٨) .
٢٧- شرح الإرشاد لأبي القاسم الأنصاري ص(٦٠٦، ٧٦٢، ٧٧٢) .
٢٨- شرح منازل السائرين لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي ص(٢١٨) .
٢٩- الصحاح للجوهري ص(٤٨١، ٧٩٧، ٨٠٠) .
٣٠- صحيح البخاري (ص١٤٥ وغيرها) .
٣١- صحيح ابن حبان ص(٤٧٨) .
٣٢- صحيح مسلم ص(١٣٧ وغيرها) .
٣٣- القدر لابن وهب ص(١٤٦، ١٩٣ وغيرها) .
٣٤- القدر لأبي داود ص(٢٥٠) .
٣٥- الكشاف للزمخشري ص(٣٤٤، ٥٣٩) .
٣٦- مجاز القرآن لأبي عبيدة ص(٦٢٧، ٦٣٠) .
٣٧- مفتاح دار السعادة لابن القيم ص(٧٧٩) .
٣٨- المجالسة لأحمد بن مروان المالكي ص(٦٥٩) .
٣٩- مختصر الإرشاد للأسفرائيني ص(٧٦٢) .
٤٠- المستدرك للحاكم ص(١٥٥ وغيرها) .
٤١- مسند الإمام أحمد ص(١٥٢ وغيرها) .

٤٢- مسند إسحاق بن راهويه ص(١٧٩ وما بعدها) .

٤٣- مسند الطيالسي ص(١٤٧ وغيرها) .

٤٤- مسند محمد بن نصر المروزي ص(١٨٤ وما بعدها) .

٤٥- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ص(٣٣١ وغيرها) .

٤٦- معاني القرآن للفراء ص(٣٦١ وغيرها) .

٤٧- المعجم الكبير للطبراني ص(٢٧٨) .

٤٨- مقالات الإسلاميين للأشعري ص(٧٧٦ وغيرها) .

٤٩- منازل السائرين للهروي ص(٢١٦) .

٥٠- النظامية للجويني ص(٧٦٣، ٨٣٩) .

٥١- موطأ الإمام مالك ص(١٧٠) .

٥٢- النقض لعثمان الدارمي (الرد على المريسي) ص(٢٧٨) .

بعض المؤلفات في الرد على القدرية:

لما ظهرت بدعة القول في القدر تصدَّى لها الصحابة وعلماء التابعين ومن بعدهم بطلانها، وبيَّنُوا فسادها بالقول والكتابة، وسأذكر فيما يلي بعض أسماء المؤلفات في الرد على القدرية، مشيراً إلى ما وصل إلينا منها:

١- رسالة أبي الأسود الدؤلي: المتوفى سنة ٦٩هـ [(١)] رحمه الله تعالى.

٢- رسالة يحيى بن يعمر: المتوفى سنة ٨٩هـ [(٢)] رحمه الله .

٣- رسالة الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب: المتوفى سنة ١٠٠هـ تقريباً [(٣)] . رحمه الله تعالى .

---

(١) انظر : تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، المجلد الأول (٤/ ٤) .

(٢) انظر : تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، المجلد الأول (٤/ ٤، ١٦) .

(٣) انظر : تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، المجلد (٤/ ٤، ١٦) .

٤- رسالة الخليفة عمر بن عبدالعزيز: المتوفى سنة ١٠١هـ رحمه الله تعالى[١] .

٥- رسالة عيسى بن عمر الثقفي : المتوفى سنة ١٤٩هـ . رحمه الله .

٦- رسالة الرد على القدرية للإمام أبي حنيفة: المتوفى سنة ١٥٠هـ رحمه الله تعالى[٢] .

٧- رسالة الرد على القدرية للإمام مالك بن أنس : المتوفى سنة ١٧٩هـ رحمه الله تعالى[٣] .

٨- كتاب القدر لابن وهب القرشي : المتوفى سنة ١٩٧هـ . رحمه الله تعالى، وقد طُبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور عبدالعزيز العثيم .

٩- كتاب القدر لأبي داود، سليمان بن الأشعث، صاحب السنن : المتوفى سنة ٢٧٥هـ رحمه الله تعالى.

وهذا الكتاب ذكره المؤلف ـ ابن القيم في هذا الكتاب ونقل عنه كما في ص(١٢٩، ١٣٩، ١٤٤، ٤٤٦) ـ، وذكره أيضاً المزي، والذهبي[٤]، وابن رجب الحنبلي[٥]، وابن حجر العسقلاني[٦]، كما ذكره أيضاً المزي في تهذيب الكمال

---

(١) رواها أبونعيم الأصبهاني بسنده في كتابه « حلية الأولياء » (٥/ ٣٤٦-٣٥٣) .

(٢) انظر : الفهرست لابن النديم ص(٢٩٩) .

(٣) انظر : ترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ٢٠٤) ، سير أعلام النبلاء (٨٨) ، وقد صححا إسناد هذه الرسالة .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٠٦) .

(٥) انظر : جامع العلوم والحكم ص(٥٢) . نشر دار المعرفة، بيروت .

(٦) انظر : فتح الباري (١١/ ٤٨٣) .

في المقدمة[١] عند ذكره لعلامات من أخرج لهم أصحاب الكتب الستة، وفي تراجم بعض الرجال الذين روى عنهم أبوداود في كتاب القدر، وتابعه في ذلك ابن حجر في كتابيه « تهذيب التهذيب » ، و « تقريب التهذيب » ، وقد بحثتُ عن نسخ خطية لهذا الكتاب لحاجتي إلى توثيق بعض النصوص التي نقلها المؤلف عنه ولم أعثر على شيء، وكنت أثناء بحثي عن نسخة له في مكتبة الحرم المكي وجدت فيها ما يشر إلى وجود نسخة منه فطلبت صورة منها، واطلعت عليها، فوجدت أنها من مصورات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وأساسها محفوظ لدى ندوة العلماء للكنهو في الهند ـ مكتبة سيد كليم أحمد، وكتب على الصفحة الأولى منها : كتاب القدر وما رود في ذلك من الآثار للإمام أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب السنن والمسائل والمراسيل والتاريخ وغيرها، مات سنة ٢٧٥هـ، وبعد قراءتي لها تبين لي أنها نسخة لكتاب القدر لابن وهب، وليست كتاب القدر لأبي داود، وإنما أخطأ الناسخ في نسبتها لأبي داود، ولعل السبب في هذا الخطأ هو كون كل أحاديثها يبدأ إسنادها برواية أبي بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني .

١٠- كتاب القدر لأبي بكر جعفر الفريابي: المتوفى سنة ٣٠١هـ رحمه الله تعالـى ، وقد حقَّق هذا الكتاب حمدي الذهبي ، وحصل به على درجة الماجستير من قسم السنة في كليـة أصول الدين بالرياض ـ جامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية.

---

(١) انظر : تهذيب الكمال (١/ ١٤٩) و (١١/ ٣٦١) .

١١- كتاب القدر لأبي أحمد بن إسحاق الصِّبْغي: المتوفى سنة ٤٣٢هـ رحمه الله تعالى[(١)] .

١٢- كتاب القدر لأبي بكر عبدالعزيز بن جعفر، غلام الخلال : المتوفى سنة ٣٦٣هـ، ذكره القاضي أبويعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي في كتاب العدة في أصول الفقه، ونقل عنه[(٢)] .

١٣- كتاب الرد على القدرية لعبدالله بن أبي زيد، عبدالرحمن القيرواني : المتوفى سنة ٣٨٦هـ رحمه الله تعالى[(٣)] .

١٤- كتاب القدر لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني: صاحب كتاب الحلية، المتوفى سنة ٤٣٠هـ رحمه الله تعالى[(٤)] .

١٥- كتاب القدر لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي : صاحب السنن، المتوفى سنة ٤٥٨هـ رحمه الله تعالى .

وقد كان تحقيق هذا الكتاب هو موضوع رسالتي التي حصلت بها على درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض .

١٦- كتاب القدر لأبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني : المتوفى سنة ٤٨٩هـ رحمه الله تعالى[(٥)] .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٨٥) .

(٢) انظر كتاب العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى (١/ ٢١٦) تحقيق د. أحمد المباركي . ط. الأولى ١٤٠٠هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت .

(٣) انظر كتاب العدة في أصول الفقه (١٧/ ١١) .

(٤) انظر : كتاب العدة في أصول الفقه (١٩/ ٣٠٧) .

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٧)، والأنساب للسمعاني حفيد أبي المظفر (٧/ ١٣٩).

١٧- كتاب القدر لابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة، صاحب المغني، المتوفى سنة ٦٢٠هـ[(١)] .

هذه بعض أسماء الكتب التي أُلفت في موضوع القدر استقلالاً، ومن العلماء من أفرد للقدر كتاباً أو باباً ضمن مؤلفه، وذلك من طريق الرواية فقط، كما فعل أئمة الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهما .

ومنهم من ذكر القدر موضوعاً ضمن كتاب اشتمل على موضوعات عدة في العقيدة، وتوسع فيه بحيث ذكر الأحاديث والآثار، وأتبعهما بشيء من الشرح والإيضاح، وذلك كما فعل الآجري في « الشريعة »، واللالكائي في « السنة » .

مقارنة هذا الكتاب مع بعض ما ألف في بابه :

أشرتُ فيما سبق أن مما وصل إلينا من الكتب التي ألفت حول موضوع القدر الكتب الآتية :

١. كتاب القدر لابن وهب القرشي .
٢. كتاب القدر للفريابي .
٣. كتاب القدر للبيهقي .

وسأبيِّن فيما يلي منهج كل مؤلف في كتابه بعد ذكر تعريف مختصر عن تلك الكتب، ثم أذكر بعد ذلك مقارنة مختصرة لها مع كتاب « شفاء العليل » .

١- كتاب القدر لابن وهب القرشي :

طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور عبدالعزيز العثيم كما أشرت إلى ذلك فيما سبق، وتبلغ عدد صفحاته مائة وأربعاً وعشرين صفحة من القطع الصغير، وعدد صفحات نسخته الخطية إحدى عشرة صفحة .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٨) .

وهو كتاب صغير الحجم، سرد فيه مؤلفه جملةً من الأحاديث والآثار الواردة في القدر بسنده دون شرح لها، أو بيان لدلالاتها ومعانيها، ولم يسلك فيه منهجاً معيناً في الترتيب، كالترتيب على المسانيد، أو على الأبواب ونحوها، وقد قام محققه ـ جزاه الله خيراً ـ بتبويب الكتاب .

٢- كتاب القدر للفريابي :

ويبلغ عدد أوراقه خمساً وعشرين ورقة، وقد تم تحقيقه ـ كما أشرت إلى ذلك فيما سبق ـ وسلك فيه مؤلفه مسلك ابن وهب نفسه من حيث سرد الأحاديث والآثار بسنده من دون شرح لها أو تعليق عليها، إلا أنه توسَّع فيه أكثر من ابن وهب في ذكر الأحاديث والآثار، وقد نقل عنه تلميذه أبوبكر الآجري في مبحث الرد على القدرية من كتابه «الشريعة» كثيراً من هذه الأحاديث والآثار .

٣- كتاب القدر للبيهقي :

وعدد أوراقه مائة وتسع ورقات، وتوسع فيه مؤلفه أكثر من سابقيه، وجمع فيه بين الرواية للأحاديث والآثار بسنده، والتعليق عليها وشرح غوامضها، مستعيناً ببعض النقول عن بعض العلماء، ويتميز عن سابقيه بأن مؤلفه قسمه ثلاثين باباً، مبتدئاً بذكر مقدمة موجزة، أوضح فيها منهجه في كتابه هذا، بالاعتماد على كتاب الله عـز وجل، ثم سنة رسوله ﷺ ثم أقاويل صحابته والتابعين وأئمة المسلمين رضي الله عنهم ؛ لذا فهو في كل باب يذكر الآيات القرآنية الدالَّة على موضوعه، ثم يتبعها بالأحاديث النبوية، ثم الآثار مع إيضاح ما يحتاج إلى بيان وشرح وتعليق[1] .

---

(١) ولقد يسر الله سبحانه وتعالى إلى القيام بتحقيقه وترتيب أوراقه، وكان موضوع رسالتي لنيل درجة الماجستير.

مقارنة هذه الكتب مع كتاب المؤلف رحمه الله تعالى:

تبيَّن مما سبق أن هذه الكتب الثلاثة تشترك في روايتها للأحاديث النبوية والآثار بالسند، إلا أن البيهقي زاد على الكتابين الآخرين بكثرة الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث وترتيب كتابه على ثلاثين باباً، وذكر بعض أقوال العلماء والتعليق عليها .

وأما الإمام ابن قيم الجوزية، وإن كان يشترك مع البيهقي في الاستدلال بالآيات والإكثار من رواية الأحاديث وتقسيم الكتاب أبواباً إلا أن كتابه يختلف عن تلك الكتب كلها، بأمور تجعله فرداً في بابه ؛ لأن تلك الكتب تعد في مجملها سرداً للأحاديث الواردة في القدر دون الدخول في مناقشة تفصيلية للمخالفين من القدرية والجبرية والرجوع إلى مراجعهم وذكر أدلتهم، وأقوال أئمتهم، ومناقشتها والرد عليها، وبيان مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع مفصلاً ومدعوماً بالأدلة النقلية والعقلية، والإكثار من الآثار الواردة عن السلف في ذلك، وأما ابن القيم الجوزية فقد جمع ذلك، كما احتوى كتابه على ذكر مناظرات بين جبري وسني، وقدري وسني، اشتملت على مناقشة لآراء الجبرية والقدرية وبيان ما فيها من باطل، بأسلوب علمي خال من التعصب والمكابرة وغمط الحق .

قيمته العلمية:

يصعب على أي باحث أن يقوّم ما كتبه غيره، وبخاصة إذا كان مما كتبه علم من أعلام العلماء الشامخة كابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى، لذا لم أضمن خطة هذا البحث التي قدمتها لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة هذا المبحث، إلا أنها أضيفت من مجلس الكلية، فأصبح لزاماً عليَّ أن أكتب ما توصلت إليه في ذلك مراعياً الإنصاف، فأقول وبالله التوفيق: تميز هذا الكتاب بعدة أمور ؛ منها :

١- كونه من أهم المراجع - إن لم يكن أهمها - في موضوعه، وأشملها، وأحسنها ترتيباً وتبويباً، ولعل ذلك ظاهر في تلقي العلماء له بالقبول، ومما يؤيد ذلك نفاد طبعاته الكثيرة برغم ما فيها من نقص وأخطاء مطبعية .

٢- ظهور شخصية المؤلف رحمه الله تعالى في الكتاب كله، وذلك في مناقشته للأدلة، وترجيح الراجح منها، مع بيان الدليل والتعليل .

٣- إن المؤلف رحمه الله تعالى ذكر في هذا الكتاب قواعد عامة من مناهج السلف الصالح، ينبغي على كل طالب علم ينشد الحق أن يلتزم بها، فهي تمثل علاجاً ناجعاً لكثير من انحرافات الفرق المختلفة، ومنها : قاعدة في كيفية التعامل مع أحاديث الرسول ﷺ، حيث قال ، بعد أن ذكر اتفاق أحاديث رسول الله ﷺ وتصديق بعضها بعضاً : « وما يُؤتى أحدٌ إلا من غلط في الفهم، أو غلط في الرواية، ومتى صحت الرواية وفهمت كما ينبغي تبين أن الأمر كله من مشكاة واحدة صادقة متضمنة لنفس الحق » . (ص) .

وقاعدة فيما يجب على متأول النصوص، فقال - بعد أن ذكر أن تأويل التحريف هو أصل فساد الدنيا والدين وخراب العالم - : « فالمتأوِّل عليه أن يبيِّن صلاحية اللفظ للمعنى الذي يذكره أولاً، واستعمال المتكلم به في ذلك المعنى في أكثر المواضع، حتى إذا استعمله فيما يحتمل غيره، حُمِلَ علىما عُهِدَ منه استعماله فيه، وعليه أن يقيم دليلاً سالماً عن المعارض على الموجب لصرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه واستعارته، وإلا كان ذلك مجرد دعوى منه فلا تُقبل » . ص: .

وقاعدة في الصفات، حيث نقل عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى قوله : « لا نزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين » . ثم قال : « والمقصود أنا

لا نجحد محبته سبحانه لما يحبه، وكراهته لما يكرهه، لتسمية النفاة ذلك ملاءمة ومنافرة، وينبغي التفطن لهذا الموضع، فإنه من أعظم أصول الضلال». (ص) .

٤- دقة المؤلف وحرصه على الاستدلال بالأحاديث الصحيحة، وبيان ما في بعضها من ضعف، وذلك ظاهر جداً في هذا الكتاب، فهو يعزو الأحاديث إلى من خرجها، ويذكر ما قاله العلماء في بعضها من تصحيح وتضعيف .

٥- سعة الكتاب وشموله وإعطاء الموضوع ما يستحقه .

٦- دقة النقل، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في منهج المؤلف .

٧- تحلي المؤلف بالإنصاف والموضوعية، فهو يقبل الحق ممن جاء به .

إلا أن هذا الكتاب ـ مع جلالة قدر مؤلفه ـ لا يخلو من بعض المآخذ، منها :

١- إن المؤلف اعتمد في نقله لكثير من أقوال المفسرين وعلماء اللغة على كتاب البسيط للواحدي، ولم يشر إلى ذلك، وهذا تبيَّن لي بعد مقابتلي لتلك الأقوال مع ما نقله الواحدي في تفسيره البسيط .

٢- نقله بعض النصوص دون نسبتها إلى قائليها، ومن ذلك ما نقله عن أبي إسحاق الزجّاج رحمه الله تعالى في ص( )، وذلك على خلاف عادته حيث نقل عنه في مواضع كثيرة من هذا الكتاب، كلها ينسبها، ومن ذلك ما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ص(٦٣٣، ٧٦٣ وما بعدها) ولعل ذلك يحمل على أنه تلقاه عنه مشافهة . ومن ذلك أيضاً ما نقله عن الجاحظ كما في ص(٣٩٠، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٠، وما بعدها) .

٤- الاستطراد : وذلك يظهر جلياً في الباب الرابع عشر في الهدى والضلال ومراتبهما، والمقدور منهما للخلق وغير المقدور لهم، عندما تحدث عن مرتبة

الهدى العام من مراتب الهدي الأربع، وهي هداية كل نفس إلى مصالحها، ومعاشها وما يقيمها، تكلم عن النحل والنمل، والهدهد، والحمام، والديك، والمكّاء، والثعلب، والذئب، والقرد، والبقرة، وغيرها . واستغرق هذا حوالي أربعاً وأربعين صفحة من ص(إلى   )، وكان يكفي فيه بعض الأمثلة، بدلاً من الاستطراد والتوسع في وصف حالة تلك الحيوانات .

وقد أدرك المؤلف رحمه الله تعالى هذا عندما قال بعد نهاية كلامه: « فلنرجع إلى ما ساقنا إلى هذا الموضع، وهو الكلام على الهداية العامة » .

ولعل المؤلف رحمه الله تعالى قصد من استطراده هذا أن يكون مكان استراحة يجدد فيها القارئ نشاطه، ويطرد عنه السآمة والملل، ولا سيما أنه كتب هذا الكلام بأسلوبه الأدبي الجميل .





الفصل الثاني

التعريف بنسخه الخطية

- عدد النسخ
- التعريف بها وأماكن وجودها
- نماذج مصورة منها






التعريف بنسخ الكتاب

طبع هذا الكتاب أول مرة بالمطبعة الحسينية بمصر سنة ١٣٢٣هـ بعناية محمد مصطفى النعساني[١]، وذكر أنه طبع النصف الأول منه على مخطوطتين إحداهما نسخة دار الكتب المصرية، والأخرى من العراق، والنصف الثاني على نسخة دار الكتب المصرية فقط، كما طبع الكتاب بعد ذلك عدة طبعات؛ إحداها طبعة دار الكتب العلمية في بيروت[٢]، وقد أشير في تلك الطبعات إلى أن هاتين النسختين الخطيتين ينقص منهما الباب الثالث والعشرون، أو الثاني والعشرون على الأرجح، ورجا مصحح الكتاب أن يوفق في العثور على نسخة خطية كاملة تتلافى هذا النقص .

وطبعة دار الكتب العمية أحسن من سابقتها، حيث إنه تم فيها عزو الآيات القرآنية إلى سورها ووضع علامات الترقيم، إلا أنها كعمل سائر البشر، فيها جوانب نقص كثيرة؛ منها :

١- أنها طبعة فيها عيوب كثيرة، ولا تفي بالغرض المطلوب، وذلك بإقرار من قام بمراجعتها؛ حيث قال[٣] : ولقد اجتهدت في نفي العيوب لكن بعض مواضع الاضطراب فضلاً عن الباب الناقص لابد فيه من تحقيق جديد .

---

(١) هو : محمد بن مصطفى بن رسلان النعساني، الحلبي، أبوفراس، بدر الدين : كاتب، أديب، له شعر، ولد في حلب سنة ١٢٩٨هـ . وتوفي بها سنة ١٣٦٢هـ . له عدة مؤلفات منها : شرح أسماء أهل بدر وأُحد، ونهاية الأرب في شرح معلقات العرب، وشرح شواهد المفصل للزمخشري، وغيرها . الأعلام (٧/ ١٠٢) .

(٢) بعناية الحساني عبدالله .

(٣) انظر : ص(٥٠٩) من طبعة دار الكتب العلمية .

٢- أنها ناقصة نحو ورقتين من خطبة الكتاب، وهذا لم يشر إليه من نشرها أول مرة ومن جاؤوا بعده .

٣- أنه بمقابلتي لها على نسخ الكتاب الخطية، اتضح لي أن مراجعها ـ جزاه الله خيراً ـ لم يقم بأي عمل سوى تخريج الآيات، ووضع علامات الترقيم، وبعض الاجتهادات الشخصية في تصحيح النص، والتي تفتقر إلى المنهج العلمي السليم، لذا لم يخلُ هذا العمل من أخطاءكثيرة في عزو الآيات إلى سورها، وفي الأحاديث وغيرها .

٤- أنه لم يتم تخريج الأحاديث والآثار وأبيات الشعر الواردة فيها .

٥- أنها كثيرة الأخطاء وغير محققة، ولم يتم توثيق نصوصها توثيقاً علمياً .

وفي عام ١٤١٢هـ طبع الكتاب طبعة جديدة[1] بعناية مصطفى أبوالنصر الشلبي، الذي ذكر أنه علق عليه وخرج نصوصه، ورجا كذلك أن يهيَّأ له الحصول على المخطوطات الأصلية لهذا الكتاب ليستطيع خدمته على الوجه الأكمل .

وهذه الطبعة تميَّزت عن ما سبقها بأنها وردت فيها الآيات القرآنية مصورة عن المصحف مباشرة ومعزوة إلى سورها، وببعض التخريجات والتعليقات . إلا أن عليها بعض المآخذ، أجملها فيما يلي :

١- أنها لم تأتِ بشيء جديد مما رجا الأولون تحقيقه من وجود نسخة خطية كاملة تتلافى نقص هذا الكتاب .

٢- أنها تشترك مع الطبعات السابقة في كثرة الأخطاء، حتى إنني قابلتها مع

---

(١) نشر مكتبة السوادي بجدة .

طبعة دار الكتب العلمية، فتبين لي أنها مطابقة لها مطابقة حرفية، حتى إن الأخطاء المطبعية وردت كما هي دون تصحيح، ومن أمثلة ذلك ما ورد في أول الباب الرابع عشر حيث سقط من طبعة دار الكتب العلمية نحو سطر، وتابعتها هذه الطبعة على ذلك، ولم يكتف معلقها بذلك بل علق عليه في الهامش بما يفيد بأن المؤلف لم يذكر سوى ثلاث مراتب بالرغم من أن المرتبة الرابعة وردت في طبعة المطبعة الحسينية .

٣- ومن أمثلة أخطاء عزو الآيات القرآنية ما ورد في (١/ ٣١٠) حيث تم عزو قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ إلى سورة الأنعام الآية (٣)، والصحيح أنها آية ٣٩ من سورة الأعراف .

- ومن أمثلة أخطاء التخريج والترقيم في هذه الطبعة ما ورد في (١/ ١٩٩) منها حيث ذكر حديث رسول الله ﷺ في تكلم البقرة، والذئب، وقوله ﷺ في آخر الحديث : « **إني أؤمن بهذا، أنا وأبوبكر وعمر** » وقول الراوي : وما هما ثَمَّ - بالثاء المثلثة أي : ليسا حاضرَين - حيث حُرفت « ثَـمَّ » إلى « تم » ووضعت خارج القوس .

٤- كما أن النقول والأقوال لم توثق من مصادرها، بالرغم من كون كثير منها من الكتب المطبوعة المتداولة، انظر على سبيل المثال (١/ ١٦٢) حيث ذكر المؤلف قول الجوهري في الصحاح ولم يوثقه .

٥- أنها قسمت جزئين : الجزء الأول، والجزء الثاني، والمعروف أن الكتاب مجلد واحد وليس له أجزاء .

وقد كنت أثناء عملي في رسالة الماجستير، التي كانت تحقيقاً لكتاب القدر

للإمام البيهقي رحمه الله تعالى، أحتاج كثيراً إلى الرجوع إلى كتاب شفاء العليل، وبعد أن أنهيتُ رسالة الماجستير عزمتُ على التقدم بهذا الكتاب لنيل درجة الدكتوراة، وكان الأمر يتطلب أن أعثر على نسخة خطية كاملة لهذا الكتاب تسد النقص الذي أشير إليه، فقمت بزيارة أغلب المكتبات الموجودة في المملكة، والتي توجد بها مخطوطات، واستعرضتُ فهارس المخطوطات الأصلية والمصورة بتلك المكتبات، ولم أعثر على أية نسخة لديهم .

كما استعرضتُ فهارس مخطوطات المكتبات العربية والإسلامية والدولية، ولم أجد شيئاً ما عدا فهرس دار الكتب المصرية، حيث ورد فيه ذكر لنسخة خطية واحدة، وفهرس مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، حيث ذكرت فيه نسخة أخرى، وهما اللتان طبع الكتاب عليهما، كما راجعت كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان وذيله، فلم أجد لهذا الكتاب ذكراً فيهما .

واتصلت هاتفياً بالدكتور فؤاد سزكين في ألمانيا ـ حيث إنه من المختصين في المخطوطات ـ وسألته عما يعرفه عن نسخ هذا الكتاب الخطية، فاستمهلني مدة للبحث، ثم اتصلت به بعد ذلك، فلم يذكر لي سوى نسخة دار الكتب المصرية .

كما سألتُ عدداً من العلماء الذين لهم اهتمام بالمخطوطات، منهم فضيلة الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله تعالى .

ولم أكتفِ بذلك بل واصلت البحث والتنقيب، ونظراً إلى أنني سبق أن زرت تركيا أثناء عملي في تحقيق كتاب القدر للبيهقي وزرت كثيراً من مكتباتها التي تعد من أغنى مكتبات العالم بالمخطوطات العربية، وغالب فهارسها باللغة التركية، فقد خطر ببالي أنه ربما توجد نسخ لهذا الكتاب في تلك المكتبات، التي تحوي كنوزاً من التراث الإسلامي، وهذا الاحتمال وإن كان ليس له ما يسنده

في بادئ الأمر إلا أنني قررت القيام بالسفر لعلي أن أوفق في الحصول على نسخة كاملة لهذا الكتاب غير مذكورة في فهارس المخطوطات، ومما قوى عزمي على ذلك أن جميع نسخ هذا الكتاب الموجودة ناقصة، لذا فأي جهد يبذل للعثور على نسخة كاملة ـ وإن كان الاحتمال ضعيفاً ـ أمرٌ مهمٌ جداً ويستحق الاهتمام به مهما كلف من مشقة مادية وحسية، ولهذا سافرت وأخذت أنقّب في المكتبات هناك مستعيناً بمن يترجم لي من اللغة التركية إلى العربية، فبحثت في عدد من مكتبات استانبول، فلم أعثر على شيء، فواصلت البحث في عدد من المدن التركية التي توجد فيها مخطوطات، إلى أن تمكنت بتوفيق الله عز وجل من العثور على نسخة خطية كاملة لهذا الكتاب في مكتبة جامع يوسف آغا بمدينة قونية، وذلك بعد جهد جهيد ووقت طويل، إلا أن ذلك كله يهون في سبيل الحصول على هذه النسخة، خاصة أنها النسخة الوحيدة الكاملة .

وبذلك يكون اجتمع لدي ثلاث نسخ خطية لهذا الكتاب، ولم يتوقف بحثي عن النسخ عند هذا الحد، بل واصلت البحث ولكن لم أعثر على شيء .

وصف النسخ الخطية:

تبين مما سبق أن لهذا الكتاب ثلاث نسخ خطية، وسأذكر فيما يلي وصفاً مختصراً لتلك النسخ، بادئاً بالنسختين اللتين طبع عليهما الكتاب، ثم أذكر بعد ذلك وصف النسخة الثالثة التي عثرت عليها :

١- نسخة دار الكتب المصرية : وهي محفوظة تحت رقم (٣٢٣) علم الكلام، وكانت من ضمن مخطوطات مكتبة الكتبخانة الخديوية المصرية تحت رقم خاص (٣٢٣) ورقم عام (١٩٢٤٥) وتقع هذه النسخة في مجلد واحد، وعدد أوراقها

(٢٦٦ورقة)، وفي كل صفحة (٢٥) سطراً، مخروم منها نحو ورقتين من الخطبة، وكُتِبت بقلم عادي، وكُتب على صفحتها الأولى وقفية نصها : «وقف هذا الكتاب فقير عفو الله ومغفرته أحمد الفوبي[1] على طلبة العلم الشريف ينتفعون بذلك الانتفاع الشرعي على الوجه الشرعي .. ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، حرر في أواسط[2] ... ست وأربعين ...» .

ولم يكتب على هذه النسخة تاريخ نسخها، ولا اسم ناسخها، ويقع هذا القسم الذي بين يديك في مائة وثمان وستين ورقة وصفحة واحدة .

٢- نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد : وهي محفوظة تحت رقم (٧١٥٥) وتقع في مجلد واحد، وعدد أوراقها (٢١٠) ورقة، ومقاس الورقة ٢٣×١٤ سم، وفي كل صفحة (١٩) سطراً، وهي مخرومة الأول، وأول الموجود منها : الباب الثاني، ووسطها أيضاً فيه سقط يعادل حوالي (٢٩) ورقة من النسخة التركية، ويلحظ أن هذا السقط لا يبدأ في نهاية صفحة، بل كتب ما قبله متصلاً بما بعده بحيث يظهر للمتصفح لأول وهلة بأنه كلام متصل، كما أن آخر هذه النسخة مخروم، وينتهي في النوع الخامس عشر، وهذا الخرم يقع في القسم الثاني من هذا الكتاب، ويقع هذا القسم الذي بين يديك في مائة وسبع وخمسين ورقة .

وكُتِبَ على الصفحة الأولى منها ما يلي :

« كتاب شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل » لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ . وهو مجلد أوله: الحمد لله ذي الإفضال والإنعام.. إلخ . ويسمى أيضاً كتاب القدر، بسط

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) لم أستطع قراءته .

الكلام فيه كل البسط كما هو دأبه، ورتبه على ثلاثين باباً، نُقلَ من كتاب كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون لكاتب جلبي[(١)]، عليهما الرحمة .

قلت : وقد نقل الوالد[(٢)] عليه الرحمة في كتابه « النزهة »[(٣)] ما قاله في النظامية[(٤)] في هذا الكتاب في الباب (١٧)، وكُتب تحت هذا الكلام : الفقير نعمان الآلوسي زاده[(٥)] .

---

(١) هو: مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي، المعروف بالحاج خليفة، مؤرخ بحاثة، تركي الأصل، ولد بالقسطنطينية سنة ١٠١٧هـ، وتوفي بها سنة ١٠٦٧هـ، له مؤلفات أشهرها كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . الأعلام (٧/ ٢٣٦) .

(٢) هو: محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبوالثناء، مفسر، محدث، أديب، ولد في بغداد سنة (١٢١٧هـ) تقلد الإفتاء سنة (١٢٤٨هـ) وعزل فانقطع للعلم، له مؤلفات، أشهرها كتاب روح المعاني، في التفسير، ومات ببغداد سنة (١٢٧٠هـ) . الأعلام (٧/ ١٧٦) .

(٣) هذا الكتاب أحد مؤلفات الشيخ محمود الآلوسي ذكره عمر رضا كحالة في المستدرك على معجم المؤلفين ص٧٧٦ نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت . ولم أعثر عليه مطبوعاً ولا مخطوطاً .

(٤) يشير إلى كتاب العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية للإمام الجويني، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق د. أحمد حجازي السقا سنة ١٣٩٨هـ، ونشرته مكتبة الكليات الأزهرية. وهو من مراجع المؤلف في هذا الكتاب .

(٥) هو: نعمان بن محمود بن عبدالله، أبوالبركات، خير الدين، الآلوسي، واعظ فقيه، باحث، من أعلام الأسرة الآلوسية في العراق، ولد في بغداد سنة ١٢٥٢هـ ونشأ بها، وولي القضاء في بلاد متعددة، منها الحلة ، وترك المناصب، وزار مصر في طريقه إلى الحج سنة ١٢٩٥هـ، وقصد الأستانة سنة ١٣٠٠هـ فمكث سنتين وعاد يحمل لقب رئيس المدرسين، فعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي ببغداد سنة ١٣١٧هـ . له =

وفي موضع آخر من تلك الورقة كتب ما يلي :

« الحمد لله سبحانه والشكر له، ولد الولد المبارك إسماعيل في يوم السبت الساعة العاشرة بعد العصر الثالث من شعبان المبارك سنة ١٣٠٨هـ، المصادف اليوم الثاني من آذار سنة ١٣٠١م، حفظه الله تعالى وإخوته وأراني أولاده، وجعل الجميع من العلماء العاملين بحرمة[1] سيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين » .

كما كتب في أعلى الصفحة الثانية ما يلي :

« وقف المدرسة المرجانية[2] »، وفي الجانب الآخر : « ك شفاء العليل في القدر لابن القيم »، وفي أسفل الصفحة ختم كتب فيه « المكتبة النعمانية » .

وكاتب هذه النسخة هو الشيخ نعمان الآلوسي كما نص على ذلك في

= مؤلفات منها: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ـ ابن تيمية وابن حجر ـ، والجواب الفسيح لما لفَّقه عبدالمسيح . الأعلام (٨/ ٤٢) .

(١) هذا الكلام لا تعلُّق له بالكتاب، ولكن كاتب النسخة أراد أن يُؤرِّخ لمولد ولده، وقد اشتمل كلامه على توسل بدعيٍّ، وهو قوله : بحرمة سيد المرسلين، فإن هذا من جنس التوسل بالجاه، ولم يجعل الله سبحانه جاه رسوله ولا حرمته وسيلة لأحد في الدعاء .

(٢) المرجانية : من مدارس بغداد القديمة، تقع في جامع مرجان الذي بناه أمين الدين مرجان ابن عبدالله بن عبدالرحمن، من موالي السلطان أويس بن حسن الأيلخاني، أحد أمراء التتار سنة ٧٥٨هـ، وجعل فيه مدرسة، وفي سنة ١٣٦٥هـ هدم قسم كبير من هذه المدرسة والجامع، وموقعه الآن على شارع الرشيد ببغداد. نقلاً من تعليق الدكتور عبدالله الجبوري على كتاب المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر للشيخ محمود شكري الآلوسي (ص١١٢)، نشر دار العلوم بالرياض سنة ١٤٠٢هـ .

الصفحة الأولى، كما أن خطها يتطابق مع خطه المثبت صورة منه في كتاب الأعلام بجوار ترجمته، وهو خط واضح، وهذا مما يزيدها أهمية، حيث إن الشيخ نعمان الآلوسي من الأشخاص الذين عرف عنهم سعة العلم .

ولم يذكر في هذه النسخة الأصل الذي نقلت عنه ولا تأريخ نسخها، وإن كان يتبين مما ذكره كاتبها في تاريخ ولادة ابنه أنه كتبها في سنة ١٣٠٨هـ تقريباً أو قبلها .

٣- نسخة مكتبة يوسف آغا في مدينة قونية بتركيا، المحفوظة تحت رقم (٥٤٤٠) وعدد أوراقها (٣٢١) ورقة، (٦٤٢) صفحة، ومقاس الصفحة ١٨سم × ١١,٥ سم في ٢٣ سطراً، وعليها وقف من يوسف آغا بشرط أن لا تخرج من خزانته، وتأريخ هذا الوقف في سنة ١٢٠٩هـ، ويقع هذا القسم الذي بين يديك في مائة وثمان وثمانين ورقة .

وخطها نسخ واضح وجميل، وكتبت فواصل المقدمة بالمداد الأحمر، وكذا سرد الأبواب الذي ورد في المقدمة، وعناوين الأبواب والفصول، ورؤوس الموضوعات، ويظهر أن هذه النسخة منقولة عن نسخة المؤلف رحمه الله تعالى، حيث ورد تعليق في ق (٢٥٩) نصه: « قال في أصل المصنف بعد (لا يثاب ولا يعاقب) بياض » . وانظر المطبوعة ص٤١١ .

كما يظهر أن هذه النسخة مقابلة على نسخة المؤلف، حيث يشير الناسخ إلى ذلك عند إضافة بعض السقط بكلمة (أصل) . وانظر ق (٢٨٦) .

كما أن عليها تعليقات وتصحيحات، كما في ق (٣٠٣) حيث قال المصحح: « لعله المروزي، وفي الأصل المروذي بالذال المعجمة وتشديد الراء » .

وهذه النسخة الوحيدة الكاملة من بين نسخ هذا الكتاب، حيث إنها تشتمل

على المقدمة التي كتبها المؤلف رحمه الله تعالى كاملة، وعلى ما سقط من الباب الثاني والعشرين في النسختين الأخريين والتي طبع الكتاب في جميع طبعاته عليهما ـ على حد معرفتي ـ وأشير في تلك الطبعات إلى نقصان الباب الثاني والعشرين، وهذه النسخة على حسب ما توفر لدي من معلومات لم يطلع عليها أحد ممن طبع الكتاب .

ومن هنا تبرز أهميتها حيث إن هذا الكتاب سيطبع ـ بعد اكتمال تحقيقه ـ بإذن الله لأول مرة كاملاً دون نقص، وهذا من فضل الله ومنِّه .

***

كتاب شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل

لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

المتوفى سنة ٧٥١ وهو مجلد أوله الحمد لله ذي الأفضال

والإنعام الذي بسط الكلام فيه على المباحث كما

هو دأبه ورتبه على ثلاثين بابا نقل

من كتاب كشف الظنون

عن أسامي الكتب والفنون

وقد نقل الوالد عليه الرحمة في كتابه النزهة

ما قاله في النظائر في هذا الكتاب في الباب ١٧

الفقير نعمان آلوسي زاده

الورقة الأولى من النسخة العراقية

الورقة الأخيرة من الباب العشرين في النسخة العراقية

والايمان [illegible] قطب رحا التوحيد [illegible] ومبدا [illegible]
فهو احد اركان الايمان وقاعدة اساس الاحسان
التي ترجع اليها ويدور في جميع تصاريفه عليها فالعدل
والحكمة مظهر الحمد والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة
فلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير فالقدر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين الا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين **فصل** وقد سار
في هذا الباب كل واد واخذوا في كل طريق وتولجوا كل مضيق
وركبوا كل صعب وذلول [illegible] الوصول الى معرفته [illegible]
وتكلم فيه الامم قديما وحديثا وساروا [illegible]
وخاضت فيه الفرق على تباينها واختلافها [illegible]
على تنوع اصنافها [illegible] الا وهو يحدث نفسه [illegible]
ويطلب الوصول [illegible] الى حقيقة العرفان [illegible] اما
مع نفسه او مناظرا [illegible] وكل [illegible]
لا يعتقد الصواب في سواه [illegible]
بالتوجه عن طريق الصواب [illegible] الحق [illegible]
[illegible] غير طايل [illegible]
[illegible] الاراء والمذاهب [illegible] العلم [illegible]
لعني من جوع وقدم [illegible] الظن [illegible]
والعقل [illegible] حيران [illegible]
فهو طول عمره ظمآن [illegible] الى الصواب من [illegible]
[illegible] الهدى [illegible] الى يوم الوعيد [illegible]
[illegible] بانواع الباطل واصناف [illegible] الكفر [illegible]

الورقة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية

الورقة الأخيرة من الباب العشرين من النسخة المصرية

الورقة الأولى من النسخة التركية

الورقة الأخيرة من الباب العشرين في النسخة التركية

الكتاب المحقّق

المقدمة






(*) الحمدُ لله ذي الإفضال والإنعام[١]، والمِنَنِ الجسام، والأيادي العظام، ذي الجلال والإكرام، الملك القدوس السلام، الذي قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام، فقدَّر أرزاقهم وآجالهم، وكتب آثارهم وأعمالهم، وقسَّم بينهم معاشهم وأموالهم، وعرشه على الماء قبل خلق الليالي والأيام، فأبرم القضية، وقدَّر البرية، وقال للقلم: اكتب فجرى بما هو كائن في هذا الملأ على تعاقب السنين والأعوام، ثم خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش المجيد بذاته، منفرداً بتدبير خلقه بالسعادة والشقاوة، والعطاء والمنع، والإحياء والإماتة، والخفض والرفع، والإيجاد والإفناء، والنقض والإبرام، ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[٢]، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلِّطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين على الدوام، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن[٣] الحاجات، ويرى دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصمَّاء في الليلة المدلهمة الشديدة الظلام، لا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يقع حادث إلا بمشيئته، ولا يخلو مقدور عن حكمته، فله الحكمة الباهرة،

(*) بداية سقط م، ع، د، س .

(١) هذه العبارة غير موجودة في النسختين الخطيتين: م، ع . حيث إنها من ضمن الصفحات الساقطة، وموجودة في المطبوعتين د، س، ويظهر أن من قام بطبع الكتاب أول مرة أضافها من كشف الظنون (٢/ ١٠٥١) حيث ورد فيه أن أول هذا الكتاب: الحمد لله ذي الإفضال والإنعام .

(٢) اقتباس من الآية ٢٩ من سورة الرحمن .

(٣) تفنن: أي تنوع . انظر: لسان العرب (٥/ ٣٤٧٥) مادة: فنن . تأليف جمال الدين محمد بن منظور . نشر دار صادر ـ بيروت ـ سنة ١٣٧٥هـ .

والآيات الظاهرة، والحجة البالغة، والنعمة السابغة على جميع الأنام، وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأوسع كل مخلوق فضلاً وجوداً وحلماً، وقهر كل شيء عزة وحكماً، فعنت الوجوه لجلال وجهه، وعجزت العقول عن معرفة كُنْهِهِ، وقامت البراهين على استحالة مثله وشبهه، « **فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء** »[1]، ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى / وهو مستوٍ على عرشه، مستولٍ على خلقه، يسمع ويرى، كلَّم موسى تكليماً، وتجلَّى للجبل فجعله دكاً هشيماً، فهو الحي القيوم الذي « **لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام،**

٢أ

---

(١) قوله: « فهو الأول الذي ليس قبله شيء .. إلى قوله: والباطن الذي ليس دونه شيء » مقتبس من الحديث الذي رواه أبوهريرة ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضاجعنا أن نقول: « **اللهم ربَّ السماوات ورب الأرض** .. وفيه :.. **اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنا الدَّيْنَ وأغننا من الفقر** » .
وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ قال: أتت فاطمة رضي الله عنها النبي ﷺ تسأله خادماً، فقال لها: « **قولي اللهم رب السماوات ..** » الحديث أخرجه مسلم في (٤/ ٢٠٨٤): الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٠هـ. وأبوداود في (١٣/ ٣٩٢) كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم . المطبوع مع شرحه عون المعبود . تحقيق: محمد عثمان، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة . والترمذي (٥/ ٤٤٠)، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه. وقال: حديث حسن صحيح . تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦هـ، نشر دار الكتب العلمية ببروت . وابن ماجة (٢/ ١٢٥٩-١٢٦٠) كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، وفي (٢/ ١٢٧٤-١٢٧٥) =

يخفض القسط ويرفعه، يُرفَع إليه عملُ الليل قبل النهار، وعملُ النهار قبل الليل، حجابُه النور لو كشفه (لأحرقت)[1] سُبُحاتُ[2] وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه »[3]، فهو أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، وأعظم رقيب، وأرأف

= باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، نشر دار إحياء التراث، بيروت سنة ١٣٩٥هـ. والإمام أحمد (٢/ ٣٨١، ٤٠٤، ٥٣٦)، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٣هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت. وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٥١، ٢٦٢-٢٦٣)، تحقيق: مختار الندوي، نشر الدار السلفية بالهند، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ . والبخاري في الأدب المفرد ص(٤١٥)، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٩هـ، نشر المكتبة السلفية ومطبعتها بالقاهرة . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٤٦)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ، نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت. والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢٤، ٢٩٤)، تعليق: محمد زاهد الكوثري، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية - بيروت .

(١) في ت: لاحترقت، وما أثبته من صحيح مسلم .

(٢) قال النووي: السُّبُحَاتُ ـ بضم السين والباء ورفع التاء في آخره ـ : جمع سُبحة . قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدِّثين: معنى سُبُحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه . انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (٣/ ١٣-١٤) نشر دار الفكر بيروت. وانظر أيضاً: غريب الحديث (٣/ ١٧٣) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، نشر دار الكتاب العربي، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٧٤) جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ، وكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٣/ ١٥٢) تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، نشر دار الرشيد في بغداد .

(٣) قوله: **«الذي لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام ... إلى قوله: ما انتهى إليه بصره من خلقه»** . مقتبس من الحديث الذي رواه أبوموسى رضي الله عنه، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: **« إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض** =

رحيم، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وكتب الآثار، ونسخ الآجال، فأزِمَّة الأمور بيديه، ومرجعها كلها إليه، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والمستور لديه مكشوف، وكلُّ أحدٍ إليه فقير ملهوف على الدوام، فسبحان من نفذ حكمه في بريته، وعَدَل بينهم في أقضيته، وعمَّهم برحمته، وصرفهم تحت مشيئته وحكمته، وأكرمهم بتوحيده ومعرفته، وجعل أهل ذكره أهل مجالسته، وأهل شكره أهل زيادته، وأهل طاعته أهل كرامته، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته، إن تابوا فهو حبيبهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1]، وإن أصروا فهو طبيبهم، يبتليهم بأنواع المصائب ليطهرهم

= القسط ويرفعه ... » الحديث. أخرجه مسلم (١/ ١٦٠-١٦٢)، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: « **إن الله لا ينام ..** ». وفي قوله: « **حجابه النور** ». وابن ماجه (١/ ٧٠-٧١)، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، والإمام أحمد (٤/ ٣٩٥-٤٠١، ٤٠٥)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١/ ٤٩٩)، والدارمي في كتاب الرد على الجهمية ص٣٧، تحقيق: محمد الفقي، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٨هـ، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، والطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٣٠٧)، تحقيق: الدكتور محمود الطحان، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ، نشر مكتبة المعارف بالرياض، والطيالسي في مسنده (ص٦٧)، الطبعة الأولى سنة ١٣٢١هـ، نشر مطبعة مجلس دار المعارف النظامية بالهند، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤٥-٤٩، ١٧٧، ١٧٨)، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان، الطبعة الأولى، نشر مكتبة الرشد بالرياض، والآجري في الشريعة ص(٣٠٤)، تحقيق محمد الفقي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، والبغوي في شرح السنة ١/ ١٧٣، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، الطبعة الأولى، نشر المكتب الإسلامي بيروت، والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢٣٤٢٣٥).

(١) اقتباس من الآية ٢٢٢، سورة البقرة.

من الدنس والآثام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا كفو له، ولا سمي له، ولا صاحبة له، ولا ولد له، بل هو الأحد الصمد الذي تفرد بإلاهيته، وتوحد بربوبيته، وتعالى عن مشابهة خليقته، وأنَّى يشبه العبدُ المخلوقُ الملكَ القدوسَ السلامَ .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحُجة على العباد أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل، ودروس[١] من الكتب، وطموسٍ من السبل، حين انقطع خبر الوحي من السماء، وتاه الأدلاء في دياجي الظلماء، وغشيت الأرض ظلمات الكفر و الشرك والعناد، واستولى عليها أئمة الكفر وعساكر الفساد، واستند كل / قوم إلى ظلمات آرائهم، ٢ب وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم، فسُبُل الهدى عافية آثارها، منحط منارها، والضلالة قد تصرّمت نارها، وتطاير في الآفاق شرارها، وظهر في أقطار الأرض شعارها، وقد استحق الناس أن يحل بساحتهم العذاب، **« وقد نظر الجبار إليهم فمَقَتَهم عربَهم وعجمَهم إلا بقايا من أهل الكتاب »**[٢]،

---

(١) قال ابن فارس: الدال والراء والسين أصلٌ واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء . معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٦٧) مادة « درس » . تحقيق: عبدالسلام هارون، نشر دار الكتب العلمية، إيران .

(٢) هذه العبارة اقتباس من حديث طويل رواه عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ذات يوم في خطبته: **« ألاَ إنَّ ربي، أو إن ربي، أمرني أن أعلمكم ما جهلتم.. »** وفيه وأن: **« الله نظر إلى أهل الأرض فمَقَتَهُم .. »** إلخ، والحديث رواه مسلم (٤/ ٢١٩٧-٢١٩٨)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي =

فأطلع الله شمس الرسالة في حنادس[1] تلك الظُلَم، وأنعمَ بها على أهل الأرض، وكانت تلك النعمة عليهم أجَلَّ النعم، فبعث رسولَه ﷺ للإيمان منادياً، وإلى الجنة داعياً، وبكل عرف آمراً، وعن كل منكر ناهياً، فاستنقذ به الخليقة من تلك الظلمات، ونوَّر بصائرهم بالآيات المبينات، وجلا عن قلوبهم صدى تلك الشكوك والشبهات، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صُمَّاً، وقلوباً غلفاً، فبلَّغ رسالات ربه، وأدَّى أمانته، ونصح أمته، ولم يدع باباً من الهدى إلا فتحه، ولا مشكلاً من الدين إلا أوضحه، ولا خيراً إلا دل الأمَّة عليه، ولا شراً إلا حذرهم منه، لئلاَّ يصلوا إليه، فأغنى الله به عن تكلف المتنطعين[2]، وآراء المتهوِّكين[3]، ومعقولات المتفلسفين[4]، وخيالات

= يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار . والإمام أحمد (٤/ ١٦٢) . وأبوداود الطيالسي في مسنده (ص١٤٥) .

وقد ذكر المؤلف رحمه الله طرفاً من هذا الحديث في (ص٧٨٣) .

(١) حَنادِس: جمع حِنْدس بالكسر الليل المظلم . والحنادس: ثلاث ليال بعد الظُلَم . القاموس المحيط ص(٦٩٥) مادة « حدس » . الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت .

(٢) المتنطعون: هم المتعمِّقون المغالون. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/ ٧٤) مادة : « نطع » . تحقيق: محمود الطناحي، نشر المكتبة الإسلامية .

(٣) المتهوكون: التهوّك كالتهوّر، وهو الوقوع في الأمر بغير رويَّة، والمتهوِّك: الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحيُّر . النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٨٢) .

(٤) المتفلسفون: هم المنسوبون إلى الفلسفة، وهي كلمة تتكون من جزئين هما: «فيلو» و« سوفيا »، ومعنى فيلو في اليونانية: محب، و« سوفيا »: الحكمة. فـ « الفيلسوف » هو « محب الحكمة »، وهم يقولون: إن العالم القديم، وعلَّته مؤثرة بالإيجاب، وليست فاعلة بالاختيار، وأكثرهم ينكرون علم الله تعالى . الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨) =

المتصوفين[١]، وجدل المتكلمين، وأقيسة المتكلفين[٢]، فاكتفى بما جاء به العارفون، واستوحش من كثير منه الجاهلون، وعدلوا عنه إلى ما يناسب أعينهم الرمد، وبصائرهم العمي، وظنوا أنهم بذلك يهتدون، ﴿ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٣]، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٤].

أما بعد: فإن القدرَ بحرٌ محيطٌ لا ساحلَ له، ولا خروج عنه لأحد من العالمين، والشرع فيه سفينة النجاة، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها فهو من المغرقين، وهو قدرة الله الذي هو على كل شيء قدير، وكل مخلوق فمنه ابتدأ

= تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر دار المعرفة بيروت، وإغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٢٥٦). واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخرالدين الرازي ص(٩١) مراجعة علي سامي النشّار . نشر دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٢هـ .

(١) **المتصوفون:** سُمُّوا بذلك، على أرجح الأقوال، نسبة إلى لبس الصوف . وأول ما ظهرت الصوفية من « البصرة »، وكان في البصرة من المبالغة بالزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار، وقد انتسب إلى الصوفية طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم . مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ١٨، ٧٠٦).

(٢) **المتكلف:** هو المتعرض لما لا يعنيه، والتكلف: البحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها . النهاية لابن الأثير (٤/ ١٩٦-١٩٧) .

(٣) اقتباس من الآيتين ٤٩، ٥٠ سورة الزمر .

(٤) اقتباس من الآية ٥١، سورة العنكبوت .

٣أ وإليه يصير(*)، والإيمان به قطب رحا التوحيد ونظامه، ومبدأ / [الدين](١) المبين [وختامه](٢)، فهو أحد أركان الإيمان وقاعدة أساس الإحسان، والحكمة آخيته التي يرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها، [فالقدر(٣) مظهر] الملك، والحكمة مظهر الحمد، والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة وكمال [التقدير](٤)، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فبالقَدَر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٥) .

* * *

(*) نهاية سقط م، د، س .

(١) في ت: الإيمان .

(٢) في ت: وتمامه .

(٣) في م، د، س: فالعدل قوام .

(٤) في م، د، س: النعمة .

(٥) اقتباس من الآية ٥٤، سورة الأعراف .

فصل

وقد سلك [الناس][(١)] في هذا الباب في كل واد، وأخذوا في كل طريق، وتولجوا [كل][(٢)] مضيق، وركبوا كل صعب وذلول، وقصدوا الوصول إلى معرفته [من كل سبيل][(٣)]، والوقوف على حقيقته، وتكلمت فيه [الأمم][(٤)] قديماً وحديثاً، [وساروا فيه بطيأ وقاصداً وحثيثاً][(٥)]، وخاضت فيه الفرق على تباينها واختلافها، [وصنفت][(٦)] فيه [الطوائف على تنوع أصنافها][(٧)]، فلا أحد إلا وهو يحدث نفسه بهذا الشأن، ويطلب الوصول إلى حقيقة العرفان، فتراه إما [ناظراً][(٨)] مع نفسه، أو مناظراً لبني جنسه، وكلٌّ قد اختار لنفسه [مذهباً][(٩)] لا يعتقد الصواب في سواه، ولا يرتضي إلا إيَّاه، وكلهم إلا من [اهتدى][(١٠)] بالوحي عن طريق الصواب [مصدود][(١١)]، وباب الهدى في وجهه مسدود، [وقد قمش][(١٢)] علماً

(١) ف م، د، س: جماهير العقلاء .

(٢) في ت: في كل .

(٣) ساقطة من: م، د، س .

(٤) في ت: الأئمة .

(٥) في م، د، س: وساروا للوصول إلى مغزاه سيراً حثيثاً .

(٦) في م، د، س: وصنف .

(٧) في د، س: المصنفون الكتب على تنوع أصنافها .

(٨) في م، د، س: متردداً فيه .

(٩) في م، د، س: قولاً .

(١٠) في م، د، س: تمسك .

(١١) في د، س: مردود .

(١٢) في: د، س: تحسى، والقَمْش: جمع قُماش وهو ما على وجه الأرض من فتات الأشياء. وتقمّش: أكل ما وجد وإن كان دوناً. القاموس المحيط مادة « قمش» ص(٧٧٨) .

غير طائل، وارتوى من ماءٍ آجن[1]، قد طاف على أبواب [المذاهب][2]، ففاز بأخسِّ الآراء والمطالب، فرح بما عنده من العلم الذي لا يُسمن ولا يغني من جوع، وقدَّم آراء من أحسن به الظن على الوحي المنزل [المشروع][3] والنص المرفوع، حيران يأتم بكل حيران، يحسب كل [سراب ماء][4] فهو طول عمره ظمآن، يُنادَى إلى الصواب من مكان بعيد، [ويُدْعَى][5] إلى الهدى فلا يستجيب إلى يوم الوعيد، قد فرح بما عنده من [الضلال، وقنع][6] بأنواع الباطل وأصناف المحال، منعه [الكفر][7] الذي [في صدره وليس هو ببالغه][8] عن الانقياد ٣ب للهداة/ المهتدين][9]، ولسان حاله أو قاله يقول: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[10] .

* * *

(١) الآجن: الماء المتغير الطعم واللون . انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢٦) .

(٢) في م، د، س: الأفكار .

(٣) ساقطة من ت .

(٤) في ت: سراب شراباً .

(٥) في د، س: أقبل .

(٦) في ت: الخبال، وسنع .

(٧) هكذا في جميع النسخ الخطية، والمطبوعة، والصواب « الكبر » حيث إن معنى هذه العبارة مقتبس من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾سورة غافر، آية ٥٦.

(٨) في م، د، س: الذي اعتقده هدى وما هو ببالغه .

(٩) في د، س: عن الهداة المهتدين .

(١٠) اقتباس من سورة الأنعام، آية ٥٣ .

فصل

ولما كان الكلام في هذا الباب نفياً وإثباتاً [مداره][١] على الخبر عن أسماء الله وصفاته وأفعاله وخلقه وأمره؛ [كان أسعد][٢] الناس بالصواب فيه من تلقى ذلك من مشكاة الوحي المبين، ورغب بعقله وفطرته وإيمانه عن آراء [المتهوكين][٣]، وتشكيكات [المتكلمين][٤]، وتكلّفات المتنطعين، واستمطر دِيَم الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين، فإن كلماته الجوامع النوافع في هذا الباب وفي غيره كفَتْ وشفَتْ، وجمعت وفرقَت[٥]، وأوضحت وبيَّنت، وحلَّت محل التفسير والبيان لما تضمنه القرآن .

ثم تلاه أصحابه من بعده على نهجه المستقيم، وطريقه القويم، فجاءت كلماتهم كافية شافية مختصرة نافعة، لقرب العهد، ومباشرة التلقي من تلك المشكاة التي هي مظهر كل نور، ومنبع كل خير، وأساس كل هدى .

ثم سلك [على آثارهم][٦] التابعون لهم بإحسان، فاقتفوا طريقهم، وركبوا منهاجهم، واهتدوا بهداهم، ودعوا إلى ما دعوا إليه، ومضوا على ما كانوا عليه.

---

(١) في م، د، س: موقوفاً .

(٢) في د: فاسعد . وفي س: وأسعد .

(٣) هكذا وردت في النسختين الخطيتين م، ت، ووردت في النسخ المطبوعة: المتهوكين ولعله هو الأقرب بالنظر إلى معنى الكلمة . وانظر (ص١١٤)، فقد سبقت بلفظ المتهوكين .

(٤) في د، س: المشككين .

(٥) قال ابن فارس: الفاء والراء والقاف أصل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين، ومن ذلك الفَرْق: فرق الشعر . معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٣) مادة « فَرَق » .

(٦) في م، د، س: آثارهم .

ثم نبغ[١] في عهدهم وأواخر عهد الصحابة[٢] مجوس[٣] هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر، وأنَّ الأمرَ أُنُفٌ[٤]، فمن شاءَ هدى نفسَه، ومن شاء أضلها، ومن شاء بخسها حظها وأهملها، ومن شاء وفقها للخير وكملها، كل ذلك

---

(١) كتب في هامش (ت) نبغ: ظهر . وانظر النهاية لابن الأثير (٥/ ١٠) .

(٢) في د، س: القدرية مجوس .. إلخ .

(٣) المراد بمجوس هذه الأمة: القدرية، وأصل تسميتهم بذلك ما ورد في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**». وأخرجه أبوداود (١٢/ ٤٥٢) كتاب السنة، باب في القدر، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥) نشر دار الكتاب العربي، بيروت، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٤٩) تحقيق: الشيخ محمد ناصرالدين الألباني، ط. الأولى سنة ١٤٠٠هـ نشر المكتب الإسلامي، واللالكائي في السنة (٤/ ٦٣٩) تحقيق: أحمد حمدان، نشر دار طيبة بالرياض، والآجري في الشريعة (ص١٩٠)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٢٠٣) الطبعة الأولى سنة ١٣٤٤هـ نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية في الهند، وفي كتاب القدر ص(٢٤٠)، وهذا الحديث حسَّنه الألباني لأن له طرقاً يقوي بعضها بعضاً . انظر تعليقه على السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٤٩)، وعلى مشكاة المصابيح (١/ ٣٨) المطبوع بتحقيقه، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت . وصحيح الجامع الصغير وزيادته (٤/ ١١٥٠) له، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٢هـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت. قال الخطابي: «إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين، وهما: النور والظلمة . يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثانوية . وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله عز وجل، والشرَّ إلى غيره، والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته» . انظر: معالم السنن المطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري (٧/ ٥٦-٥٨) تحقيق: أحمد شاكر ومحمد الفقي، نشر دار المعرفة، بيروت .

(٤) أُنُفٌ: أي مُستأنفٌ، استئنافاً من غير أن يكون سَبَقَ به سَابِقُ قَضَاءٍ وتقدير . النهاية (١/ ٧٥) .

مردود إلى مشيئة العبد، ومقتطع من مشيئة العزيز الحميد .

فأثبتوا في ملكه ما لا يشاء، وفي مشيئته ما لا يكون .

ثم جاء[1] خَلَفُ هذا السلفِ فقرَّرُوا [ما أسَّسَه][2] أولئك من نفي القدر، وسمَّوه عدلاً، وزادوا عليه نفي صفاته سبحانه وحقائق [أسمائه][3]، وسمَّوه توحيداً، فالعدل عندهم إخراج أفعال الملائكة والإنس والجن وحركاتهم وأقوالهم وإراداتهم [عن][4] قدرته ومشيئته / وخلقه[5] . ٤أ

والتوحيد عند متأخريهم: تعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله، وأنه لا

---

(١) كُتِبَ في هامش (ت) تعليق نصه: « ضم نافي القدر نفي الصفات إلى نفي القدر » .

(٢) في م: ما أسسته .

(٣) في ت: إيمانه .

(٤) في م، د، س: من .

(٥) الذين أشار إليهم المؤلف هنا هم المعتزلة، فإن أصولهم الخمسة هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال القاضي عبدالجبار: « اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم، وقيامهم، وقعودهم، حادثة من جهتهم، وأن الله جل وعز أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وأن من قال: إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه » . المغني في أبواب التوحيد والعدل (٨/ ٣) تحقيق: توفيق الطويل، وسعد زايد، الطبعة الأولى، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر سلسلة تراثنا .

وقال أيضاً في شرح الأصول الخمسة: فصل في خلق الأفعال؛ والغرض به الكلام في أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدِثون لها . وقال أيضاً: فصل في أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مريداً للمعاصي . وذكر فيه أن أفعال العباد المتعلقة بالقبيح لا يريدها ولا يشاؤها. انظر: شرح الأصول الخمسة ص(٣٢٣، ٤٣١، ٤٥٩) للقاضي عبدالجبار، تحقيق: الدكتور عبدالكريم عثمان . ط الأولى ١٣٨٤هـ نشر مكتبة وهبة، القاهرة .

سمع له، ولا بصر، ولا قدرة، ولا حياة، ولا إرادة تقوم به[١]، ولا كلام، ما تكلم ولا يتكلم، ولا أمر ولا يأمر، ولا قال ولا يقول، إنْ ذلك إلا أصوات وحروف مخلوقة في الهواء، أو في محل مخلوق[٢]، ولا استوى على عرشه فوق سماواته، ولا تُرفع إليه الأيدي، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا ينزل الأمر والوحي من عنده[٣]، وليس فوق العرش إلهٌ يُعبد، ولا ربٌّ يُصَلَّى له ويُسجَد، ما فوقه إلا العدم المحض، والنفي الصرف، فهذا [توحيدهم][٤]، وذلك عدلهم .

* * *

(١) هذا قول المعتزلة في نفي الصفات ويسمونه توحيداً . انظر: شرح الأصول الخمسة من (١٥١ وما بعدها) .

(٢) هذا قول المعتزلة في نفي صفة الكلام وقولهم بخلق القرآن . انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل (جزء خلق القرآن) (٧/ ٣ وما بعدها) .

(٣) هذا من قول المعتزلة في نفي الصفات الذي يسمونه التوحيد . انظر: شرح الأصول الخمسة ص(٢٢٦) .

(٤) في ت: توحيد .

فصل

ثم نبغت طائفةٌ أخرى من القدرية، فنفت فعل العبد وقدرته واختياره، وزعمت أن حركته الاختيارية ـ ولا اختيار ـ كحركة الأشجار عند هبوب الرياح، [وكحركات][1] الأمواج، وأنه على الطاعة والمعصية مجبور، وأنه غير ميسر لما خُلق له، بل هو عليه مقسور ومجبور .

ثم تلاهم أتباعهم على آثارهم مقتدين، ولمنهاجهم مقتفين، فقرروا هذا المذهب وانتموا إليه وحقّقوه، وزادوا عليه أن تكاليف الرب تعالى لعباده كلها تكليف ما لا يُطاق، وأنها في الحقيقة كتكليف المقعد أن يرقى إلى السبع الطباق، فالتكليف بالإيمان وشرائعه، تكليف بما ليس من فعل العبد، ولا هو له بمقدور، وإنما هو تكليف بفعل من هو متفرد بالخلق، وهو على كل شيء قدير، فكلّف عباده بأفعاله، وليسوا عليها قادرين، ثم عاقبهم عليها، وليسوا في الحقيقة فاعلين[2] .

ثم تلاهم على آثارهم محقّقوهم من العُباد، فقالوا: ليس في الكون معصية البتة، إذ الفاعل مطيع للإرادة، موافق للمراد كما قيل:

---

(١) في ت: وحركات .

(٢) وهؤلاء هم الجهمية . انظر: الملل والنحل (١/ ٨٧) .

وهذا لازم قول الأشاعرة، وإن كانوا قالوا بالكسب، لكنه لفظ لا محصل له كما سيأتي في ص(٧٥٩ وما بعدها) . وقد صرَّح الرازي بالجبر في المطالب العالية من العلم الإلهي (٩/ ١٤) تحقيق: د. أحمد حجازي السقا. ط. الأولى ١٤٠٧هـ نشر دار الكتاب العربي، بيروت. وأشار الإيجي في المواقف ص(١٥٠-١٥١) إلى أن نزاعهم (الأشاعرة) مع الجهمية قد يكون في التسمية فقط .

أصبحتُ منفعلاً لما يختاره منّي ففعلي كله طاعات[1]

٤ب ولاموا بعض هؤلاء على فعله، فقال: إنْ كنت عصيتُ أمرَه فقد أطعتُ/ إرادته، ومطيع الإرادة غير ملوم، وهو في الحقيقة غير مذموم.

وقرّر محقّقوهم من المتكلمين هذا المذهب: بأن الإرادة والمشيئة والمحبة في حق الرب سبحانه [شيء][2] واحد، فمحبته هي [نفس مشيئته][3]، وكل ما في الكون فقد أراده وشاءه، وكل ما شاءه فقد أحبَّه[4].

وأخبرني شيخ الإسلام[5] قدَّس الله روحه أنه لام بعضَ هذه الطائفة على محبة ما يبغضه الله ورسوله، فقال له الملوم: المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب، وجميع ما في الكون مراده، فأي شيء أبغض منه؟!.

قال الشيخ: فقلت له: إذا كان قد سخط على أقوام ولعنهم وغضب عليهم وذمَّهم، فواليتهم أنت وأحببتهم وأحببت أفعالهم ورضيتها تكون موالياً أو معادياً؟. قال: فبهت الجبري ولم ينطق بكلمة.

وزعمت هذه الفرقة أنهم بذلك للسنة ناصرون، وللقدر مثبتون، ولأقوال

---

(١) ذكر المؤلف رحمه الله تعالى هذا البيت مرة أخرى في ص(٢١٣)، وقد ذكره الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ص(٩٠) تحقيق: زهير الشاويش، ط.الرابعة ١٤٠٨هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت. وفي الفتاوى (٢٥٧/٨) ونسبه إلى ابن إسرائيل. كما ذكره في منهاج السنة النبوية (٢٥/٣) تحقيق: د.محمد رشاد سالم ط.(١) ١٤٠٦هـ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) في م، د، س: هي.

(٣) في ت: هي نفس من مشيئته.

(٤) هؤلاء هم الجبرية ومنهم غلاة الصوفية.

(٥) يعني ابن تيمية رحمه الله تعالى، سبقت ترجمته عند الكلام عن شيوخ المؤلف.

أهل البدع مبطلون .

هذا، وقد طوَوا بساط التكليف، وطففوا في الميزان غاية التطفيف، وحملوا ذنوبهم على الأقدار، وبرؤوا أنفسهم في الحقيقة من فعل الذنوب والأوزار، وقالوا: إنهم في الحقيقة فعل الخلاَّق العليم، وإذا سمع المنزِّه لربه هذا قال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾[١] « **فالشر ليس إليك، والخير كله في يديك** »[٢].

لقد ظنَّت هذ الطائفة بالله أسوأ الظن، ونسبته إلى أقبح الظلم، وقالوا: إن

---

(١) اقتباس من الآية ١٦ سورة النور .

(٢) هذه العبارة مقتبسة من حديث طويل رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه إذا قام إلى الصلاة قال: « **وجهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ..** » الحديث، وفيه: « **والشر ليس إليك، والخير كله في يديك** ». أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤-٥٣٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، وأبوداود في (٢/ ٣٦٤-٤٦٧)، كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء . والترمذي (١٢/ ٣٠٥-٣٠٧) أبواب الدعاء، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، والنسائي (٢/ ١٣٠) كتاب الافتتاح، باب الذكر والدعاء بين التكبير والقراءة . نشر دار الكتاب العربي، بيروت . والإمام أحمد، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح . انظر المسند بتحقيقه (٢/ ١٣٤-١٣٥)، نشر دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٢هـ، وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٢٣٥-٢٣٦)، تحقيق د. محمد الأعظمي ط. الثانية ١٤٠١هـ، وأبوعوانة في مسنده (٢/ ١١٠-١١٣). نشر دائرة المعارف العثمانية بالهند، سنة ١٣٦٢هـ، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٥/ ٧١-٧٢)، والبيهقي في سننه (٢/ ٣٢) كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة بعد التكبير، وفي كتاب الدعوات الكبير ص(٥٤) تحقيق بدر البدر، ط الأولى ١٤٠٩هـ نشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت . وفي القدر ص(٢٣٢)، وأبوداود الطيالسي في مسنده ص(٢٢) .

أوامر الرب ونواهيه، كتكليف العبد أن يرقى فوق السماوات، أو كتكليف الميت إحياء الأموات، والله يعذب عباده أشد العذاب على فعل ما لا يقدرون على تركه، وعلى ترك ما لا يقدرون على فعله، بل يعاقبهم على نفس فعله الذي هو لهم غير مقدور، وليس أحد [منهم][1] ميسر له، بل هو عليه مقهور.

ونرى العارف[2] منهم ينشد مترنماً، ومن ربه متشكياً ومتظلماً:

ألقاه في اليَمِّ مكتوفاً وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماءِ[3]

٥أ وليس عند القوم في نفس الأمر سبب، ولا غاية، ولا حكمة ولا قوة / في الأجسام ولا طبيعة ولا غريزة، فليس في الماء قوة التبريد، ولا في النار قوة التسخين، ولا في الأغذية قوة الغذاء، ولا في الأدوية قوة الدواء، ولا في العين قوة الإبصار، ولا في الأذن قوة السماع، ولا في الأنف قوة الشم، ولا في الحيوان قوة فاعلة [ولا][4] جاذبة، ولا ممسكة ولا دافعة، والرب تعالى لم يفعل شيئاً بشيء، ولا شيئاً لشيء، فليس في أفعاله باء تسبيب، ولا لام تعليل، وما ورد من

---

(١) ساقطة من م، د، س.

(٢) العارف لقب من الألقاب التي يستعملها الصوفية. وقد عرَّفه ابن عربي بأنه من أشهده الرب عليه فظهرت الأحوال نفسه والمعرفة حاله. انظر اصطلاحات ابن عربي المطبوع بذيل كتاب التعريفات للجرجاني (ص٢٩٦) طبعة عام ١٩٨٥م، نشر مكتبة لبنان، بيروت.

(٣) هذا البيت للحلاج، وقبله بيت آخر:

ما يفعل العبد والأقدار جاريةٌ ... عليه في كل حال أيها الرائي

وراجع ديوانه.

(٤) في ت: ولا في.

ذلك فمحمول على [باء][1] المصاحبة، ولام العاقبة[2] .

وزادوا على ذلك أن الأفعال لا تنقسم في [أنفسها][3] إلى حسن وقبيح، ولا فرق في نفس الأمر بين الصدق والكذب، والبر والفجور، والعدل والظلم، والسجود للرحمن والسجود للشيطان، والإحسان إلى الخلق والإساءة إليهم، ومسبَّة الخالق تعالى والثناء عليه، وإنما نعلم الحسن من ذلك من القبيح بمجرد الأمر والنهي، ولذلك يجوز النهي عن كل ما أمر به، والأمر بكل ما نهى عنه، ولو كان فعل ذلك لكان هذا قبيحاً وهذا حسناً[4] .

وزاد بعض محققيهم على هذا أن الأجسام كلها متماثلة، فلا فرق في الحقيقة بين جسم النار وجسم الماء، ولا بين جسم الذهب وجسم الخشب، ولا بين المسك والرجيع .

وإنما تفترق بصفاتها وأعراضها مع تماثلها في الحد والحقيقة[5]، وزادوا على ذلك بأن قالوا: الأعراض كلها لا تبقى زمانين، ولا تستقر وقتين[6]، فإذا جمعت بين قولهم بعدم بقاء الأعراض، وقولهم بتماثل الأجسام، وتساوي الأفعال، وأن العبد لا فعل له البتة، وأنه لا سبب في الوجود ولا غريزة ولا طبيعة، وقولهم: إن الرب تعالى ليس له فعل يقوم به، وفعله [عين][7] مفعوله، وقولهم: إنه ليس

---

(١) في م: ياء .

(٢) انظر: التمهيد للباقلاني ص(٥٠، ٥١)، تحقيق عمادالدين حيدر. ط. الأولى ١٤٠٧هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت .

(٣) في م، د، س: نفسها .

(٤) انظر: التمهيد للباقلاني ص(١٤٥ وما بعدها) .

(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص٢١٩-٢٢٠) .

(٦) انظر: التمهيد للباقلاني (ص٣٨) .

(٧) في د، س: غير .

بمباين لخلقه، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه. وقولهم: إنه لا يتكلم [ولا تكلم](١)، ولا قال ولا يقول، ولا سمع أحدٌ خطابَه ٥ب ولا يسمعه، ولا يراه / المؤمنون يوم القيامة جهرةً بأبصارهم من فوقهم(٢)؛ أنتجت لك هذه الأصول عقلاً يعارض السمع، ويناقض الوحي، وقد أوصاك الأشياخ عند [التعارض](٣) بتقديم هذا المعقول على ما جاء به الرسول ﷺ.

فلو أنّي بُليتُ بهاشمي ... خؤولته بنو عبدالمدان(٤)
لَهَانَ عليَّ ما ألقى ولكن ... تعالوا فانظروا بمن ابتلاني(٥)

***

(١) في م، د، س: ولا يكلم.
(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص٢٣٢ وما بعدها).
(٣) في د: التعاريض.
(٤) المدان ـ كسحاب ـ صنم، وبه سمي عبدالمدان، وهو أبوقبيلة من بني الحارث بن كعب، موطنهم في نجران، أرسل الرسول ﷺ إليهم سرية بقيادة خالد بن الوليد سنة عشر من الهجرة فأسلموا. لسان العرب (١٣/ ٤٠٣)، وتاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي (٩/ ٣٤٣-٣٤٤) مادة «مدن» نشر دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي، طبع في مطابع دار صادر، بيروت سنة ١٣٨٦هـ والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٦٩) نشر دار صادر، بيروت، ومعجم قبائل العرب لعمر كحالة (٢/ ٧٣٤) ط. الخامسة ١٤٠٥هـ نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ومعجم البلدان (٢/ ٧٠٣) و(٤/ ٧٥٦).
(٥) لم أقف على اسم قائل هذين البيتين، وقد ذكرهما الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٨/ ٣٧٣) نشر دار الكتاب العربي، بيروت، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٠) في ترجمة داود بن علي (إمام أهل الظاهر) أنه تمثل بهما عندما تخلف عن مجلسه محمد بن جرير الطبري وعقد لنفسه مجلساً. إلا أن صدر البيت الثاني ورد عند الخطيب هكذا: صبرت على أذيته ولكن..، وعند الذهبي هكذا: صبرتُ على أذاه لي ولكن..

فصل

ولما كانت معرفة الصواب في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل واقعة في مرتبة الحاجة، بل في مرتبة الضرورة، اجتهدت في جمع هذا الكتاب وتهذيبه وتحريره وتقريبه، فجاء فرداً في معناه، بديعاً في مغزاه، وسميته:

«**شفاء العليل**[١] **في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**»، وجعلته أبواباً:

الباب الأول: في تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض.

الباب الثاني: في تقدير الرب تعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم[٢] قبل خلقهم، وهو تقدير ثان بعد الأول.

الباب الثالث: في ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبي ﷺ لآدم.

الباب الرابع: في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه.

الباب الخامس: في ذكر التقدير الرابع ليلة القدر.

الباب السادس: في ذكر التقدير الخامس اليومي.

الباب السابع: في أن سبق المقادير [بالسعادة والشقاوة][٣] لا يقتضي ترك الأعمال بل يوجب الاجتهاد والحرص لأنه تقدير بالأسباب.

الباب الثامن: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[٤].

---

(١) في ت: الغليل. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عند الكلام عن اسم الكتاب.

(٢) في د: زيادة «وأعمالهم».

(٣) في ت: بالشقاوة والسعادة.

(٤) سورة الأنبياء، آية ١٠١.

١٦أ الباب التاسع: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ﴾[١] . /

الباب العاشر: في مراتب القضاء والقدر التي من استكمل معرفتها والإيمان بها فقد آمن [بالقضاء][٢] والقدر، وذكر المرتبة الأولى .

الباب الحادي عشر: في ذكر المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر، وهي مرتبة الكتابة .

الباب الثاني عشر: في ذكر المرتبة الثالثة وهي مرتبة المشيئة .

الباب الثالث عشر: في ذكر المرتبة الرابعة وهي مرتبة خلق الأعمال .

الباب الرابع عشر: في الهدى والضلال ومراتبهما .

الباب الخامس عشر: في الطبع والختم والقفل والغل والسد والغشاوة ونحوها وأنه مفعول للرب .

الباب السادس عشر: في تفرد الرب بالخلق [للذوات][٣] والصفات والأفعال.

الباب السابع عشر: في الكسب والجبر ومعناهما لغة واصطلاحاً، وإطلاقهما نفياً وإثباتاً .

الباب الثامن عشر: في فَعَل وأفْعَلَ في القضاء والقدر، والكسب، وذكر الفعل [والانفعال][٤] .

---

(١) سورة القمر، آية ٤٩ .

(٢) ساقطة من م، د، س .

(٣) في د، س: للذات .

(٤) في ت: والأفعال .

الباب التاسع عشر: في ذكر مناظرة بين جبري وسني .

الباب العشرون: في [ذكر][1] مناظرة بين قدري وسني .

الباب الحادي والعشرون: في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر ودخوله في المقضي .

الباب الثاني والعشرون: في طرق إثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره، وإثبات الغايات المطلوبة، والعواقب الحميدة، التي فعل وأمر لأجلها، وهو من أجلِّ أبواب الكتاب .

الباب الثالث والعشرون: في استيفاء شُبَه نفاة الحكمة وذكر الأجوبة المفصلة عنها .

الباب الرابع / والعشرون: في معنى قول السلف [من أصول الإيمان][2] : الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره . ٦ب

الباب الخامس والعشرون: في بيان بطلان قول من قال: إن الرب تعالى مريد للشر [وفاعل له][3] ، وامتناع إطلاق ذلك نفياً وإثباتاً .

الباب السادس والعشرون: فيما دلَّ عليه قولـه ﷺ: « **أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك** »[4] من تحقيق القدر

---

(١) ساقطة من د، س .

(٢) ما بين القوسين ساقط من: م، ت، س في هذا الموضع، وموجود في صلب الكتاب .

(٣) في ت: وفاعله .

(٤) هذا الحديث رواه أبوهريرة عن عائشة رضي الله عنهما أنها قالت: فقدتُ رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: « **اللهم أعوذ برضاك ...** » إلخ. وأخرجه مسلم =

وإثباته، وأسرار هذا الدعاء .

الباب السابع والعشرون: في دخول الإيمان بالقضاء والقدر والعدل

= (١/ ٣٥٢)، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، وأبوداود (٣/ ١٣٢) كتاب الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود . والترمذي (١٣/ ٢٨) أبواب الدعوات . والنسائي (١/ ١٠٢-١٠٣) كتاب الطهارة باب ترك الوضوء من مس الرجل امرأته من غير شهوة، و(٢/ ٢٢٢-٢٢٣) كتاب الافتتاح باب نوع آخر من الدعاء في السجود. وابن ماجة (٢/ ١٢٦٢-١٢٦٣) كتاب الدعاء، باب ما تعوذ منه الرسول ﷺ. والإمام أحمد (٦/ ٢٠١)، وأبوعوانة في مسنده (٢/ ٢٠٥). والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١١٦). والإمام مالك في موطئه (ص١١٤)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء، تصحيح وترقيم محمد عبدالباقي، طبعة دار الشعب مصر . وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٥/ ٥٨٥) . قال ابن عبدالبر في تجريد التمهيد (ص٢٢٤) نشر دار الكتب العلمية، بيروت: «هذا الحديث مرسل في الموطأ عند جماعة الرواة، ولم يختلفوا عن مالك في ذلك، وهو يستند من حديث الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة رضي الله عنهما من طرق صحاح ثابتة، ورواه أيضاً علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول في وتره .. ثم ذكر الحديث. وأخرجه أبوداود (٤/ ٣٠٢-٣٠٣) كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، والترمذي (١٣/ ٧٢) أبواب الدعوات، باب في دعاء الوتر، وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث حماد بن سلمة . والنسائي (٣/ ٢٤٨-٣٤٩) كتاب قيام الليل، باب الدعاء في الوتر . وفي الكبرى، كتاب النعوت، كما في تحفة الأشراف للمزي (٧/ ٤٢٠)، تحقيق عبدالصمد شرف الدين، ط. الأولى نشر الدار القيمة بالهند، وابن ماجه (١/ ٣٧٣) كتاب إقامة الصلاة والسنن فيها، باب ما جاء في القنوت في الوتر، والإمام أحمد، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر المسند بتحقيقه (٢/ ١٠٩، ١٩٧)، ورواه أبويعلى في مسنده (١/ ٢٣٨). تحقيق حسين أسد، ط. الأولى ١٤٠٤هـ، نشر دار المأمون للتراث بدمشق .

والتوحيد والحكمة تحت قولـه: « **ماضٍ فيَّ حُكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك** »[١]، وما تضمنه الحديث من قواعد الدين .

---

(١) «**ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك ..**» هذه العبارة جزء من حديث رواه عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه وأوله: « **ما أصاب مسلماً قط هَمٌّ أو حزن فقال: ..** » وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٥٣)، والإمام أحمد في المسند، وقال أحمد شاكر: وإسناده صحيح . انظر: المسند بتحقيقه (٥/ ٢٦٦-٢٦٨) و(٦/ ١٥٣)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٥٣)، والبيهقي في القدر (ص٢٠٩). والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٠٩-٢١٠) تحقيق حمدي السلفي، ط. الأولى، نشر وزارة الأوقاف العراقية، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٩)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه، وتعقبه الذهبي فقال: وأبوسلمة لا يُدرى من هو ؟ ولا رواية له في الكتب الستة . قال الألباني: هو سالم منه، فقد ثبت سماعه منه بشهادة جماعة من الأئمة منهم: سفيان الثوري، وشريك القاضي، وابن معين، والبخاري، وأبوحاتم . انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ١٤٠) ط. الثانية سنة ١٤٠٤هـ، نشر المكتب الإسلامي بيروت. وانظر أيضاً التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٩٩) تحقيق محمد زايد، نشر دار الوعي بحلب . وهذا ما رجَّحه أيضاً الشيخ أحمد شاكر . انظر: المسند بتحقيقه (٥/ ٢٥٥)، وأبوسلمة الجهني هو: موسى بن عبدالله الجهني، ثقة من رجال مسلم وليس كما قال الذهبي وهذا ما رجحه الشيخ أحمد شاكر وجزم به الألباني . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٦) ط. الثالثة ١٤٠٢هـ، نشر دار الكتاب العربي ببيروت . وقال: رواه أحمد وأبويعلى والبزار .. والطبراني ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان . وقد صحح هذا الحديث المؤلف رحمه الله كما في الباب السابع والعشرين من هذا الكتاب، كما أن الألباني ذكر له طريقاً آخر وشاهداً، ثم قال: وجملة القول: إن الحديث صحيح من رواية ابن مسعود وحده، فكيف إذا انضم إليه حديث أبي موسى رضي الله عنهما . الأحاديث الصحيحة (٢/ ١٤٢) .

الباب الثامن والعشرون: في أحكام الرضا بالقضاء، واختلاف الناس في ذلك، وتحقيق القول فيه .

الباب التاسع والعشرون: في انقسام القضاء والقدر، والإرادة، والكتابة، والحكم، والأمر، والإذن، والجعل، والكلمات، والبعث، والإرسال، والتحريم، والعطاء، والمنع، إلى كوني [يتعلق بخلقه، وديني][1] يتعلق بأمره، وما في تحقيق ذلك من إزالة اللبس والإشكال .

الباب الموفي ثلاثين: في الفطرة الأولى التي فطر الله عباده عليها، وبيان أنها لا تنافي القضاء [والقدر][2] بل توافقه وتجامعه .

وهذا حين الشروع في المقصود، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، هو [المانّ][3] به، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله.

فيا أيها المتأمل له الواقف عليه، لك غُنْمُه، وعلى مؤلفه غُرْمُه، ولك فائدته، وعليه عائدته، فلا تعجل بإنكار ما لم يتقدم لك أسباب معرفته، ولا يحملنَّك شنآن مؤلفه وأصحابه على أن تُحرم ما فيه من الفوائد التي لعلك لا تظفر بها في كتاب، ولعل أكثر من تعظمه ماتوا بحسرتها، ولم يَصِلوا إلى معرفتها، / والله يقسم فضله بين خلقه بعلمه وحكمته وهو العليم الحكيم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ٧أ

* * *

(١) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٢) في م، د، س: والعدل .

(٣) في ت: المنان .



في تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض







عن عبدالله[١] بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب**[٢] **الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**»[٣]. رواه مسلم[٤] في الصحيح[٥].

---

(١) هو: عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعَيْد ـ بالتصغير ـ بن سعد بن سهم السهمي، أبومحمد، وقيل: أبوعبدالرحمن، أحد السابقين المكثرين، من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة سنة ثلاث وستين على الأصح، بالطائف على الأرجح، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٤٣٦) لابن حجر العسقلاني تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ط الثانية ١٣٩٥هـ نشر دار المعرفة، بيروت، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٣٧-٣٣٨) لابن حجر العسقلاني، ط. الأولى سنة ١٣٢٥هـ نشر دائرة المعارف النظامية بالهند، وأسد الغابة (٣/ ٢٤٥-٢٤٧) لعز الدين بن الأثير، نشر دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠٩هـ.

(٢) قوله: «**كتب الله مقادير الخلائق**» قال النووي: قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له. شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٠٣).

(٣) قوله: «**وعرشه على الماء**» أي قبل خلق السماوات والأرض، والله أعلم. شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٠٣).

(٤) هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري، ثقة حافظ إمام مصنف، علامة بالفقه، مات سنة إحدى وستين ومائتين، وله سبع وخمسون سنة، روى عنه الترمذي حديثاً واحداً. تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٥)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٢٦-١٢٨).

(٥) انظر: صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٤) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، من طريق عبدالله بن وهب عن أبي هانئ الخولاني عن أبي عبدالرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو العاص ... به، ورواه ابن وهب في كتاب القدر ص(١٠١) تحقيق الدكتور عبدالعزيز العثيم، ط.الأولى ١٤-٦هـ، نشر دار السلطان، ومن طريقه الفريابي في القدر ص(١٨٨)، تحقيق جمال الذهبي، رسالة نال بها الماجستير من كلية أصول الدين =

وفيه دليلٌ على أنَّ خلق العرش سابق على خلق القلم، وهذا أصح القولين[1]؛

= بالرياض، والآجري في الشريعة ص١٧٦، واللالكائي في السنة (٤/ ٥٧٩)، ورواه مسلم أيضاً من طريق حيوة بن شريح، ونافع بن زيد عن أبي هانئ الخولاني ... به، ولكن دون قوله: « **وعرشه على الماء** »، ورواه الترمذي في جامعه (١/ ٣٢١) كتاب القدر دون الزيادة المذكورة، وبلفظ: « **قدر الله** » من طريق حيوة بن شريح عن أبي هانئ الخولاني .. وقال: حديث حسن صحيح غريب . وبمثله رواه البيهقي في كتاب الاعتقاد ص١٣٦، تحقيق أحمد الكاتب، ط الأولى ١٤٠١هـ نشر دار الآفاق الجديدة بيروت، والدارمي في كتاب الرد على الجهمية ص٧٩ مختصراً. ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٩) من طريق حيوة بن شريح وابن لهيعة عن أبي هانئ الخولاني .. به. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح . انظر المسند بتحقيقه (١٠/ ٨٥) وبمثله رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص٤٧٧، ورواه عثمان بن سعيد الدارمي - في كتاب الرد على الجهمية ص٧٧ من طريق الليث بن سعد عن أبي هانئ الخولاني .. به، ورواه أيضاً في كتابه الرد على بشر المريسي ص١٩٩، تصحيح محمد الفقي، مصورة عن الطبعة الأولى التي طبعت في سنة ١٣٥٨هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت .

(١) وهو قول الجمهور، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير، وابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية، والقول الثاني: إن خلق القلم سابق على خلق العرش، وهذا هو الذي يفهم في الظاهر من كتب من صنف في الأوائل، كابن أبي عروبة الحراني وأبي القاسم الطبراني، وقد اختاره ابن جرير الطبري، ابن الجوزي وغيرهما، ورجحه الألباني . قال ابن كثير: وحمل الجمهور حديث عبادة بن الصامت « **أول ما خلق الله القلم ..** » على أنه أول المخلوقات من هذا العالم . انظر: بغية المرتاد لابن تيمية ص(٢٨٥-٢٩٤) تحقيق د. موسى الدويش، ط الأولى ١٤٠٨هـ نشر مكتبة العلوم والحكم، والرد على الجهمية للدارمي ص١٥، ١٦، والأسماء والصفات للبيهقي ص(٤٨٠-٤٨١). وتاريخ ابن جرير الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك (١/ ٣٢-٣٦) تحقيق محمد إبراهيم ط. الرابعة، نشر دار المعارف بمصر، والبداية والنهاية لابن كثير (١/ ٨-٩)، وشرح =

لما روى أبوداود[1] في سننه عن أبي [حفص][2] الشامي[3] قال: قال عبادة[4] ابن الصامت [لابنه][5]: يا بُنيّ، إنك لن تجد طعمَ الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يك ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال[6] : ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ». يا بُني، سمعت رسول الله ﷺ

= الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص(٢٩٥)، تخريج الشيخ محمد ناصرالدين الألباني، ط. الأولى ١٣٩٢هـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت، وسلسلة الأحايث الصحيحة للألباني: (١/ ٣٩-٤٠) .

(١) هو: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي، السجستاني، أبوداود. ثقة حافظ، مصنف السنن وغيرها، من كبار العلماء، من الحادية عشرة، مات سنة خمس وسبعين بعد المائتين . روى له الترمذي والنسائي . تقريب التهذيب (١/ ٣٢١) وتهذيب التهذيب (٤/ ١٦٩-١٧٣) .

(٢) هكذا في م، ت: وفي النسخ المطبوعة حفصه: قال: ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢/ ١٩٤) أبوحفصة، ويقال أبوحفص .

(٣) أبوحفص الشامي: هو حُبيش ـ بموحدة ومعجمة مصغراً ـ ابن شريح الحبشي، تابعي مقبول، من الثالثة، ووهم من ذكره في الصحابة . تقريب التهذيب (١/ ١٥٢)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٩٤) .

(٤) هو: عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبوالوليد المدني، أحد النقباء، بدري مشهور، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وله اثنتان وسبعون، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية، وروى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٩٥)، وتهذيب التهذيب (٥/ ١١١-١١٢)، والاستيعاب لابن عبدالبر (٢/ ٤٤٩-٤٥٠) مصورة عن ط. الأولى سنة ١٣٢٩هـ نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(٥) ما بين القوسين ساقط من م، ت: وما أثبت من سنن أبي داود .

(٦) في م، ت: فقال: وما أثبت من سنن أبي داود .

يقول: « من مات على غير هذا فليس مني »[١] .

وكتابة القلم للقدر كان في الساعة التي خُلِقَ فيها؛ لما رواه الإمام أحمد[٢] في مسنده من حديث عبادة[٣] [بن الوليد][٤] قال: حدثني أبي[٥] قال: دخلت على

---

(١) انظر: سنن أبي داود (١٢/ ٤٦٧) كتاب السنة، باب في القدر، ومن طريقه رواه البيهقي في كتاب السنن (١٠/ ٢٠٤) كتاب الشهادات، باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء، وفي كتاب القدر ص(٧)، ورواه أبونعيم في الحلية (٥/ ٢٤٨) نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ورواه الطيالسي في مسنده ص(٧٩) بنحوه، ورواه بنحوه اللالكائي في السنة (٢/ ٢١٨) من طريق أبي داود الطيالسي عن عبدالواحد بن سليم .. به . ورواه أيضاً (٣/ ٦١٥) بنحوه من طريق علي بن الجعد عن عبدالواحد بن سليم .. به . ومن طريق علي بن الجعد أيضاً رواه البيهقي في كتاب القدر ص(٢٨٣)، ورواه الترمذي في جامعه (٨/ ٣١٩-٣٢٠) بنحوه، أبواب القدر، وقال: حديث غريب من هذا الوجه، ورواه أيضاً (١٢/ ٢١٦-٢١٧) بنحوه، أبواب التفسير، وقال: حديث حسن غريب. قال الألباني: ولا تناقض بين القولين، فالاستغراب إنما هو بالنظر في هذا الوجه، وعلته عبدالواحد بن سليم وهو ضعيف، والتحسين باعتبار أنه لم ينفرد به . ثم ذكر طرقه، وقال: فالحديث صحيح بلا ريب . انظر: تخريج الألباني لأحاديث مشكاة المصابيح (١/ ٣٤) .

(٢) هو: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المروزي، نزيل بغداد، أبوعبدالله، أحد الأئمة، ثقة حافظ، فقيه حجة، وهو رأس الطبقة العاشرة، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٢٤)، وتهذيب التهذيب (١/ ٧٢-٧٦) .

(٣) هو: عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري، ويقال له: عبدالله، ثقة من الرابعة. روى له الستة إلا الترمذي . تقريب التهذيب (١/ ٣٩٦)، وتهذيب التهذيب (٥/ ١١٤).

(٤) في د، س: ابن الصامت .

(٥) هو: الوليد بن عبادة بن الصامت، الأنصاري، المدني، أبوعبادة، ولد في عهد النبي ﷺ، وهو ثقة، من كبار الثانية، مات بعد السبعين. روى له الستة إلا أبا داود . تقريب التهذيب (٢/ ٣٣٣)، وتهذيب التهذيب (١١/ ١٣٧) .

عبادة وهو مريض أتخايل[1] فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي. فقال: أجلسوني . فلما أجلسوه قال: يا بُني، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن [بالقدر][2] خيره وشره . قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن أول ما خلق الله تعالى القلم، ثم قال: اكتب . فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**». يا بُني: إنْ / مِتُّ ولست على ذلك دخلت النار[3]. ٧ب

وهذا الذي كتبه القلم هو القدر؛ لما رواه ابن وهب[4]: أخبرني عمر بن محمد[5]، أن سليمان بن مهران[6] حدَّثه قال: قال عبادة بن الصامت: ادعوا لي ابني

---

(١) أتخايل أي: أظن . انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ٩٣) .

(٢) في ت: بالقضاء والقدر .

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد (٥/ ٣١٧) وحسَّنه الألباني كما في تعليقه على شرح الطحاوية ص٢٩٤، ورواه الفريابي في كتاب القدر ص١٧٨-١٨٠ بنحوه، ومن طريقه رواه الآجري في الشريعة ص٨٣-٨٤، ١٧٧-١٧٨، ١٨٧)، وأخرج الجزء المرفوع منه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٨-٥٠) بعدة طرق. وقال الألباني: حديث صحيح . وأخرج نحوه الطبري في تاريخه (١/ ٣٢) .

(٤) هو: عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي، مولاهم، أبومحمد المصري الفقيه، مؤلف كتاب القدر، ثقة حافظ عابد، من الطبقة التاسعة، مات سنة سبع وتسعين ومائة وله اثنتان وسبعون سنة، وروى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٦٠) . وانظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٧١-٧٤) .

(٥) هو: عمر بن محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب المدني، نزيل عسقلان، ثقة من الطبقة السادسة، مات قبل الخمسين ومائة، روى له الستة إلا الترمذي . تقريب التهذيب (٢/ ٦٢) . وانظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٤٩٥) .

(٦) هو: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبومحمد الكوفي الأعمش، ثقة حافظ عارف=

ـ وهو يموت ـ لعلي أخبره بما سمعت من رسول الله ﷺ [سمعت رسول الله ﷺ][1] يقول: « **إن أول شيء خلقه الله من خلقه القلم، فقال له: اكتب، فقال: يا رب ماذا أكتب ؟ قال: القدر** » . قال رسول الله ﷺ : « **فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار** »[2] .

وعن عبدالله[3] بن عباس قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي: « **يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألتَ فسلْ الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام وجُفّت الصحف** ». رواه الترمذي[4].

= بالقراءة ورع، لكنه يدلس، من الطبقة الخامسة، ولد أول سنة إحدى وستين، ومات سنة سبع أو ثمان وأربعين ومائة. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٣٣١). وانظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٢٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٦) .

(١) ما بين القوسين ساقط من م، د، س .

(٢) انظر كتاب القدر لابن وهب ص١٢١، وسنده منقطع حيث لم يذكر الراوي بين سليمان ابن مهران الأعمش وعبادة .

(٣) هو: عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمى بالبحر، والحبر لسعة علمه، وقال عمر: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد، مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المكثرين من الصحابة للرواية، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٢٥)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٦-٢٧٩)، والاستيعاب (٢/ ٣٥٠)، وأسد الغابة (٣/ ١٨٦-١٩٠) .

(٤) هو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، أبوعيسى، =

وقال: حديث حسن صحيح[1] .

= صاحب الجامع، أحد الأئمة، ثقة حافظ، من الثانية عشرة، مات سنة تسع وسبعين ومائتين . تقريب التهذيب (٢/ ١٩٨)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٧-٣٨٩) .

(١) انظر: جامع الترمذي (٩/ ٣١٩) أبواب صفة القيامة من طريق ابن المبارك عن الليث بن سعد عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس ... به . ورواه أيضاً (٩/ ٣١٩) من طريق أبي الوليد عن الليث ... به وقال: حديث حسن صحيح . وقال الألباني: وهو كما قال . انظر تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٣٨)، ورواه الإمام أحمد في مسنده من طريق الليث .. به وقال أحمد شاكر: وإسناده صحيح . انظر: المسند بتحقيقه (٤/ ٢٣٣) . ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٣٨، ١٣٩) معلقاً وصححه الألباني، وانظر حاشية مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٥٩) وصحيح الجامع الصغير وزيادته (٦/ ٣٠١). ورواه أبويعلى في مسنده (٤/ ٤٣٠)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٥١٤) تحقيق د. عبدالعلي حامد، الطبعة الأولى سنة، ١٤٠٦هـ نشر الدار السلفية بالهند، وفي كتاب الاعتقاد ص(١٣٩-١٤٠)، وفي كتاب القدر ص(١٦٤)، وفي الأسماء والصفات ص(٩٧)، ورواه الإمام أحمد من طريق قيس بن الحجاج عن ابن عباس، وقال أحمد شاكر: وإسناده صحيح. انظر المسند بتحقيقه (٤/ ٢٦٩)، ورواه الإمام أحمد ـ أيضاً ـ في المسند عن شيخه عبدالله بن يزيد المقرئ بثلاثة أسانيد أحدها متصل، والآخران منقطعان، ودخل حديث بعضهم في بعض، فقال عبدالله بن يزيد: ولا أحفظ حديث بعضهم من بعض؛ أما المتصل فهو ما رواه عبدالله بن يزيد المقرئ عن عبدالله بن لهيعة، ونافع بن يزيد عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس، وقال أحمد شاكر عن هذا الإسناد: إسناد صحيح متصل، وأما الآخران فمنقطعان؛ لأن الحجاج بن الفرافصة الباهلي متأخر إنما يروي عن التابعين ولم يدرك ابن عباس، وكذلك همام بن يحيى بن دينار البصري يروي عن التابعين، ولم يدرك ابن عباس. اهـ . انظر: المسند بتحقيقه (٤/ ٢٨٦-٢٨٨)، ورواه ابن وهب في القدر ص(١٢٩) عن ابن لهيعة والليث بن سعد عن القيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني ... به . ومن طريق ابن وهب رواه اللالكائي في السنة (٤/ ٦١٤)، ورواه أيضاً (٤/ ٦١٣) بمثل طريق =

وعن أبي هريرة[1] قال: قلت: يا رسول الله، إني رجلٌ شاب، وأنا أخاف على نفسي العَنَتَ[2] ولا أجد ما أتزوج به النساء، فسكت عني، ثم قلت مثل

= الإمام أحمد المتصل، ورواه الفريابي في القدر ص(٢٢٨، ٢٣٤) بعدة طرق، والآجري في الشريعة ص(١٩٨) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن حنش الصنعاني ... به . وقال الألباني: وإسناده صحيح . انظر تخريجه للسنة لابن أبي عاصم (١/ ١٣٨)، وروي من طريق أخرى عن ابن عباس: رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٤١-٥٤٢). ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٢٣، ١٧٨، ٢٢٣)، وأبونعيم في الحلية (١/ ٣١٤) والقاضي محمد بن سلامة القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٤٣٤) تحقيق حمدي السلفي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ نشر مؤسسة الرسالة، بيروت . والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٥٣)، وقال: رُوي هذا الكلام عن ابن عباس من غير طريق، أسانيدها لينة، وبعضها أصلح من بعض . تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي، ط الأولى ١٤٠٤هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، وقال ابن منده وغيره: قد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وعبيدالله بن عبدالله، وعمرو مولى غفرة، وابن أبي مليكة وغيرهم، وأصح الطرق كلها: طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي . انظر جامع العلوم والحكم ص(١٧٤)، وقال ابن رجب بعد إشارته إلى طرق حديث ابن عباس: وبعضها أصلح من بعض، وبكل حال فطريق حنش التي أخرجها الترمذي حسنة جيدة (جامع العلوم والحكم ص ١٧٤، نشر دار المعرفة، بيروت) .

(١) هو: عبدالرحمن بن صخر الدوسي، اختلف في اسمه واسم أبيه، حافظ الصحابة، مات سنة سبع، وقيل: ثمان . وقيل: تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٤٨٤)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٢٦٢-٢٦٧)، وأسد الغابة (٥/ ٣١٨-٣٢١)، والإصابة لابن حجر (٤/ ٢٠٢-٢١١)، مصورة عن الطبعة الأولى التي طبعت سنة ١٣٢٨هـ نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(٢) العَنَت: يطلق على الإثم والفجور والأمر الشاق والمكروه، والمراد به هنا الزنا . فتح الباري (٩/ ١١٩) . وانظر: النهاية (٣/ ٣٠٦) .

ذلك، فسكت عني، [ثم قلت مثل ذلك، فسكت عني][١]، ثم قلت مثل ذلك فقال النبي ﷺ: « **يا أبا هريرة، جفَّ القلم بما أنت لاق، فاختص على ذلك أو ذر** ». رواه البخاري[٢] في صحيحه [فقال][٣]: [وقال][٤] أَصْبَغ[٥]، وحدثنا ابن وهب عن يونس[٦] عن الزهري[٧] عن أبي سلمة بن

(١) ما بين القوسين ساقط من م، ت، وما أثبت من صحيح البخاري .

(٢) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبوعبدالله البخاري، جبل الحفظ، ثقة الحديث، من الحادية عشرة، مات سنة ست وخمسين ومائتين في شوال، وله اثنتان وستون سنة، روى له الترمذي والنسائي. تقريب التهذيب (٢/ ١٤٤)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٧-٥٥) .

(٣) في م، د: قال .

(٤) في جميع النسخ الخطية، والمطبوعة: حدثنا . وما أثبت من صحيح البخاري .

(٥) هو أصبغ بن الفرج بن سعيد الأموي، مولاهم، الفقيه المصري، أبوعبيدالله، ثقة، كان ورَّاق ابن وهب، مات مستتراً أيام المحنة، سنة خمسين وعشرين ومائتين، روى له البخاري وأبوداود والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٨١)، وتهذيب التهذيب (١/ ٣٦١-٣٦٢)، وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٦) .

(٦) هو: يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي - بفتح الهمزة وسكون التحتانية بعدها لام - أبويزيد مولى آل أبي سفيان، ثقة، إلا أن في روايته عن الزهري وهما قليلاً، وفي غير الزهري خطأ، من كبار السابعة، مات سنة تسع وخمسين ومائة على الصحيح، وقيل: سنة ستين ومائة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٨٦) . وانظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٧١)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢٢٣) .

(٧) هو: محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي، الزهري، وكنيته أبوبكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة، مات سنة خمس وعشرين ومائة . وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين . تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٧)، وانظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٥) .

عبدالرحمن[١] عن أبي هريرة[٢] .

ورواه ابن وهب في كتاب القدر وقال فيه: فأذن لي أن أختصي . قال[٣] فسكت عني حتى[٤] قلت ذلك ثلاث مرات، فقال: **« جَفَّ القلم بما أنت لاق»**[٥] .

---

(١) هو: أبوسلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري، المدني. قيل: اسمه عبدالله، وقيل: إسماعيل. ثقة مكثر، من الطبقة الثالثة. مات سنة أربع وتسعين، وكان مولده سنة بضع وعشرين . تقريب التهذيب (٢/ ٤٣٠)، وانظر: تهذيب التهذيب (١٢/ ١١٥) .

(٢) انظر: صحيح البخاري (٦/ ١١٩) نشر المكتبة الإسلامية باستانبول سنة ١٩٨١م، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، فقد رواه تعليقاً بصيغة الجزم . والمعلق هو: ما حُذف من مبدأ إسناده راو فأكثر على التوالي. قال ابن حجر في فتح الباري (٩/ ١١٩) تصحيح سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة: وهذا وصله الفريابي في القدر، والجوزقي في الجمع بين الصحيحين، والإسماعيلي من طرق عن أصبغ. وانظر كتاب القدر للفريابي (ص٤٠٦-٤٠٧)، ومن طريق الفريابي رواه الآجري في الشريعة (ص٢٤٨-٢٤٩)، وانظر أيضاً تدريب الراوي للسيوطي (١/ ٢١٩) تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ط. الثانية ١٣٩٩هـ نشر دار إحياء السنة النبوية ـ بيروت .

(٣) في م، ت: فقال قال، وما أثبت من كتاب القدر لابن وهب .

(٤) في ت، حين، وما أثبت من نسخة م، ومن كتاب القدر لابن وهب .

(٥) انظر كتاب القدر لابن وهب ص(٩٩)، ومن طريقه رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٥١)، وقال فيه الشيخ الألباني: إسناده صحيح. كما صححه النسائي في سننه (٦/ ٦٠) كتاب النكاح، ورواه البيهقي في سننه (٧/ ٧٩)، وفي كتاب القدر ص(١٢٩) . ورواه النسائي في (٦/ ٥٩) كتاب النكاح باب (٤) من طريق الأوزاعي عن الزهري.. به، وقال: الأوزاعي لم يسمع هذا الحديث من الزهري، وقد صرح الأوزاعي بذلك عند الفريابي ص(٣٩٢) فقال: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا بقية بن الوليد، حدثني =

وقـال أبـوداود الطيالسـي[١]: حدثنا عبدالمؤمن ـ هو ابن عبيد الله[٢] ـ قال كـنا عـند الحسـن[٣]فأتـاه [بـريد][٤] بـن أبـي مريم[٥] السلولي يتوكأ على عصا، فقال: يا أبا سعيـد، أخبرني عن قـول / الله عـز وجل: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[٦]،

١٨

= أبوعمرو الأوزاعي، حدثني من سمع الزهري ....، ورواه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٥٣) أيضاً من طريق الأوزاعي عن الزهري .

(١) هو: سليمان بن داود بن الجارود، أبوداود الطيـالسي، البصري، صاحب المسند، ثقة حافظ، غلط في أحاديث، من الطبقة التاسعة، مات سنة أربع ومائتين، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٣٢٣)، وانظر تهذيب التهذيب (٣/ ١٨٢-١٨٦) .

(٢) هو: عبدالمؤمن بن عبيدالله، السدوسي، أبوعبيدة البصري، روى عن الحسن وغيره، وروى عنه عبدالصمد بن عبدالوارث وغيره، ثقة من الثامنة، روى له أبوداود في كتاب القدر، وابن ماجه في التفسير. تقريب التهذيب (١/ ٢٥٥)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٣٣).

(٣) هو: الحسن بن أبي الحسن البصري، أبوسعيد، واسم أبيه يسار الأنصاري، مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، وهو رأس الطبقة الثالثة، مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين. روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ١٦٥)، وانظر تهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٣-٢٧٠) .

(٤) في جميع النسخ: يزيد وهو تصحيف، والصواب ما أثبت .

(٥) هو: بريد بن أبي مريم، مالك بن ربيعة السلولي، بفتح المهملة، البصري، ثقة من الرابعة، مات سنة أربع وأربعين ومائة . روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٩٦)، وتهذيب التهذيب (١/ ٤٣٢)، وانظر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه للحافظ ابن حجر العسقلاني (٤/ ١٤٩٠) تحقيق علي البجاوي، نشر المكتبة العلمية، بيروت .

(٦) سورة الحديد، آية ٢٢ .

فقال[١] الحسن: نعم، والله، إنَّ الله ليقضي القضية في السماء ثم يضرب لها أجلاً أنه كائنٌ يوم كذا وكذا، في ساعة كذا وكذا، في الخاصة والعامة[٢]، حتى إن الرجل ليأخذ العصا ما يأخذها إلا بقضاء وقدر . قال: يا أبا سعيد، والله لقد أخذتها وإني عنها لغني، ثم لا صبر لي عنها، قال الحسن: أفلا ترى[٣][٤] .

واختُلف في الضمير في قوله: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[٥] فقيل: هو عائد [إلى][٦] الأنفس لقربها منه[٧]، وقيل: هو عائد على الأرض[٨]، وقيل: هو عائد على المصيبة[٩] .

---

(١) في ت: وقال.

(٢) في ت: أو العامة .

(٣) في م، د، س: أوَ لا ترى .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٢) بنحوه، ونسبه إلى ابن المنذر. ط. الأولى ١٤٠٣هـ نشر دار الفكر، بيروت .

(٥) سورة الحديد، آية (٢٢) .

(٦) في م، د، س: على .

(٧) وهذا قول ابن عباس، والضحاك، والحسن، وابن زيد، وقتادة، واختاره ابن جرير الطبري، والفراء . انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٧/ ٢٣٣-٢٣٤) نشر دار الفكر ١٤٠٥هـ ومعاني القرآن (٣/ ١٣٦) لأبي زكريا الفراء تحقيق د. عبدالفتاح شلبي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م . وإعراب القرآن (٣/ ٣٦٥-٣٦٦) لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ . تحقيق د. زهير زاهد . نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية .

(٨) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق (٩٧) مخطوط، محفوظ أصله بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣) تفسير . وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١٤٢٥/ ف) .

(٩) وهذا القول ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق(٩٧) (المرجع السابق) عن ابن =

والتحقيق أن يقال: هو عائد على البرية[١] التي تعم هذا كله، ودل عليه السياق[٢]، وقوله ﴿ نَّبۡرَأَهَآ ﴾، فينتظم التقادير الثلاثة انتظاماً واحداً، والله أعلم.

قال ابن وهب: أخبرني عمر[٣] بن محمد أن سليمان[٤] بن مهران حدَّثه، قال: قال عبدالله بن مسعود[٥]: إن أول شيء خلقه الله عـز وجل من خلقه القلم، فقال له: اكتب، فكتب كل شيء يكون في الدنيا إلى يوم القيامة، فَيجمع بين الكتاب الأول وبين أعمال العباد، فلا يخالف ألفاً ولا واواً [ولا ميماً][٦][٧].

وعن عبدالله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله عـز وجل خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور

= عباس أيضاً . وقال به: أبومحمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ . كما في كتابه مشكل إعراب القرآن (٢/ ٧١٩)، تحقيق: د. حاتم الضامن، ط٢ نشر مؤسسة الرسالة، بيروت . وانظر أيضاً البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات ابن الأنباري (٢/ ٤٢٤)، تحقيق: د. طه عبدالحميد، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ .

(١) البرية: الخليقة . انظر النهاية (١/ ١٢٣) .

(٢) وهذا هو الذي رجحه ـ أيضاً ـ ابن كثير . انظر تفسيره (٤/ ٣١٣) نشر دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٠٣هـ .

(٣) سبقت ترجمته في ص(١٤١) .

(٤) سبقت ترجمته في ص(١٤١) .

(٥) هو: عبدالله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ بن حبيب الهذلي، أبوعبدالرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء، صحابي جليل، مناقبه جمة، مات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها، بالمدينة. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٤٥٠)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٧-٢٨)، وأسد الغابة (٣/ ٢٨٠-٢٨٦)، والإصابة (٢/ ٣٦٨-٣٧٠) .

(٦) في م، س: وميما .

(٧) انظر: كتاب القدر لابن وهب ص(١٣٥)، وإسناده منقطع بين الأعمش وابن مسعود.

شيء اهتدى، ومن أخطأه ضلّ ». قال عبدالله بن [عمرو][١]: [لذلك][٢] أقول: «جف القلم بما هو كائن» . رواه الإمام أحمد[٣] .

وقال أبوداود[٤]: حدثنا عباس[٥] بن الوليد بن مزيد ، قال: أخبرني أبي[٦] قال: سمعت الأوزاعي[٧]، قال: حدثني

---

(١) ما بين القوسين ساقط من د، س . وفي م: ابن عمر، والصواب ما أثبت .

(٢) في م، د، س: فلذلك .

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد (٢/ ١٩٧)، وقال فيه أحمد شاكر رحمه الله: إسناده صحيح . المسند بتحقيقه (١١/ ٧٩) . وصححه أيضاً الألباني . انظر تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٠٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٣-١٩٤)، وقال: رواه أحمد بإسنادين، والبزار والطبراني، ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات .
ورواه الفريابي في كتاب القدر ص(١٧٤) بسند رجال ثقات، ومن طريقه رواه الآجري في الشريعة ص(١٧٥)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٤٣-٤٤) .

(٤) هو سليمان بن الأشعث السجستاني، سبقت ترجمته في ص(١٣٩) .

(٥) هو العباس بن الوليد بن مزيد ـ بفتح الميم وسكون الزاي وفتح المثناة التحتانية ـ العُذْري ـ بضم المهملة وسكون المعجمة ـ البيروتي ـ بفتح الموحدة وآخره مثناة ـ صدوق عابد، من الطبقة الحادية عشرة، مات سنة تسع وتسعين ومائتين، وله مائة سنة، روى له أبوداود والترمذي، تقريب التهذيب (١/ ٣٩٩)، وتهذيب التهذيب (٥/ ١٣١-١٣٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٧١) .

(٦) هو: الوليد بن مَزْيَد العُذْري أبوالعباس البيروتي، ثقة ثبت، قال النسائي: كان لا يخطئ ولا يدلس، من الثامنة، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة، روى له أبوداود والنسائي . تقريب التهذيب (٢/ ٣٣٥)، وتهذيب التهذيب (١١/ ١٥٠) .

(٧) هو: عبدالرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبوعمرو الفقيه، ثقة جليل، من الطبقة السابعة، مات سنة سبع وخمسين ومائة . تقريب التهذيب (١/ ٤٩٣)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨-٢٤٢) .

ربيعة[١] بن يزيد، ويحيى بن أبي عمرو[٢] السيباني، قال: حدثني عبدالله[٣] بن فيروز الديلمي، قال: دخلت على عبدالله بن عمرو بن العاص وهو في حائط[٤] له بالطائف يقال له الوهط[٥]، فقلت: خصال بلغتني عنك تحدث بها عن رسول الله / ﷺ أنه قال: « من شرب الخمر لم تُقبل توبته أربعين صباحاً، وإن الشقي ٨ب من شقي في بطن أمه »، قال[٦] : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضلّ » فلذلك أقول: جف القلم على علم الله[٧] .

---

(١) هو: ربيعة بن يزيد الدمشقي، أبوشعيب الإيادي القصير، ثقة عابد، من الطبقة الرابعة، مات سنة إحدى أو ثلاث وعشرين ومائة . تقريب التهذيب (١/ ٢٤٨)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٦٤)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣٩) .

(٢) هو: يحيى بن أبي عمرو السيباني ـ بفتح المهملة وسكون التحتانية بعدها موحدة ـ أبوزرعة الحمصي، ثقة، من الطبقة السادسة، مات سنة ثمان وأربعين ومائة، أو بعدها. تقريب التهذيب (٢/ ٣٥٥)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٢٦٠-٢٦١) .

(٣) هو: عبدالله بن فيروز الديلمي، أخو الضحاك، ثقة من كبار التابعين، ومنهم من ذكره في الصحابة . تقريب التهذيب (١/ ٤٤٠)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٥٨) .

(٤) يقال: حاط يحوطه حوطاً: وهو الشيء يطيف بالشيء، ومنه الحائط: البستان، إذا كان عليه حائط وهو الجدار . معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٢٠)، مادة «حوط»، والنهاية لابن الأثير (١/ ٤٦٢) مادة « حوط » .

(٥) الوَهْط: ـ بفتح الواو وسكون الهاء ـ المكان المطمئن، وبه سمي الوهط، وهو مال كان لعمرو بن العاص قرب الطائف. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ٣٨٦)، والنهاية لابن الأثير (٥/ ٢٣٢) .

قلت: ولا يزال هذا المكان يعرف بهذا الاسم حتى اليوم .

(٦) في م: وقال .

(٧) رواه الترمذي (٥/ ٢٦) كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال: هذا =

ورواه الإمام أحمد في مسنده أطول من هذا عن عبدالله بن فيروز الديلمي قال: دخلت على عبدالله بن عمرو وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط، وهو [مخاصر][1] فتى من قريش يُزَنّ[2] بشرب الخمر، فقلت: بلغني عنك حديث [أنه][3] من شرب شربة خمر لم يقبل [الله له توبة][4] أربعين صباحاً، وأن الشقي من شقي في بطن أمه، وأن من أتى بيت المقدس لا ينهزه[5] إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده، ثم انطلق، فقال عبدالله بن عمرو: إني لا أحل لأحدٍ أن

= حديث حسن، وعبدالله ابن الإمام أحمد في زوائده على المسند (٢/ ١٧٦)، وقال فيه أحمد شاكر: وإسناده صحيح . انظر: تعليقه على المسند (١١/ ٤٤)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٤٤-٤٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٠٧-١٠٨)، وقال الألباني: إسناده صحيح، والفريابي في القدر ص(١٧٣-١٧٤) ومن طريقه الآجري في الشريعة ص(١٧٥)، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات ص(١٤٩)، وفي كتاب القدر ص(٣٩)، واللالكائي في السنة (٣/ ٦٠٤)، والبزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢١-٢٢) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط. الأولى ١٤٠٤هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت .

(١) في م، ت، محاصر بالحاء المهملة، وفي س: محاضر بالضاد المعجمة، وما أثبت من المسند، ومعنى المخاصرة: أن يأخذ الرجل بيد رجل آخر يتماشيان ويد كل واحد منهما عند خصر صاحبه . النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٧) .

(٢) يُزَنّ: أي يُتهم . النهاية (٢/ ٣١٦) .

(٣) في م، د. س : أن .

(٤) في م: لم تقبل له توبة . وما أثبت من نسخة ت ومن المسند .

(٥) النهز: الدفع، والمعنى أنه خرج ولم ينو بخروجه غير الصلاة . النهاية لابن الأثير (٥/ ١٣٦) .

يقول عليَّ ما [لم][1] أقل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من شرب الخمر شربة لم تقبل[2] له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، [فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد، ـ قال:][3] فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة ـ فإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من ردغة[4] الخبال يوم القيامة** »[5]. قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من نوره يومئذ**

---

(١) ساقطة من: م .

(٢) في ت: لم يقبل الله له . ما أثبت (من م)، والمسند .

(٣) ما بين القوسين زيادة من المسند، والمستدرك للحاكم .

(٤) الردغة هي: الطين والوحل الكثير . انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٢١٥)، وانظر أيضاً غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (٤/ ١٧) .

(٥) انظر: المسند (٢/ ١٧٦)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٠/ ١٢٧): وإسناده صحيح، ورواه النسائي (٨/ ٣١٧) كتاب الأشربة، باب توبة شارب الخمر، وفي (٨/ ٣١٦)، باب ذكر الرواية المبينة عن صلوات شارب الخمر، وابن ماجه (٢/ ١٧١) كتاب الأشربة، باب من شرب الخمر لم تقبل له صلاة، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٢/ ١٨٠)، والدارمي في سننه (٢/ ٣٦) كتاب الأشربة، باب التشديد على شارب الخمر، نشر حديث أكاديمي، باكستان، سنة ١٤٠٤هـ . والحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٦)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

ورواه الإمام أحمد (٢/ ١٨٩) بنحوه من طريق نافع عن عاصم عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١١/ ٤٤): وإسناده صحيح . وبمثله رواه البزار، كما في كشف الأستار (٣/ ٣٥٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٦٩) وقال: رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح، خلا نافع بن عاصم، وهو ثقة .

اهتدى، ومن أخطأه ضل» فلذلك أقول: جف القلم على علم الله[١]، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن سليمان بن داود سأل الله عز وجل ثلاثاً، فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون [له][٢] الثالثة، سأل الله حكماً يصادف حكمه، فأعطاه الله إياه، وسأله مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه الله إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة / في المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه. فنحن نرجو أن يكون الله [عز وجل قد[٣]] [أعطاه] [٤] إياه»[٥] .

٩أ

---

(١) سبق تخريج الحديث في ص (١٥٠) .

(٢) في م، ت: لنا، وما أثبت من المسند، والمستدرك .

(٣) في م، ت: ... أن يكون الله عز وجل [يعني] قد أعطاه إياه . وكلمة « يعني » هذه ليست في المسند، ولا في المستدرك .

(٤) في ت، د، س: أعطانا . وما أثبت من م، والمسند، والمستدرك .

(٥) هذا الجزء من الحديث رواه ابن ماجه في سننه (١٠/ ٤٥١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٢٨٨)، باب فضل الصلاة في بيت المقدس، ورواه النسائي في سننه (٢/ ٣٤) كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، دون قوله: فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطاه إياها . ورواه ابن حبان في صحيحه، انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤/ ٥١١-٥١٢)، كتاب الصلاة، باب المساجد، ورواه الفسوي في كتاب المعرفة والتاريخ (٢/ ٢٩٣) تحقيق: الدكتور أكرم العمري، طبع مطبعة الإرشاد في بغداد، ونقله ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٢٦)، (٦/ ٢٨٨) عن الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم بأسانيدهم، وأشار أيضاً في التفسير (٤/ ٣٧-٣٨) بعد نقله الحديث مطولاً إلى أنه قد روى هذا الفصل الأخير من الحديث: النسائي وابن ماجه من طرق عن عبدالله بن فيروز الديلمي عن عبدالله بن عمرو بن العاص، ونقله المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٧-١٣٨) نشر مكتبة شباب الأزهر بمصر وقال: رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما . =

[ورواه][(١)] الحاكم[(٢)] في صحيحه [وقال][(٣)] : هو على شرط الشيخين ولا علة له . [والله أعلم][(٤)] .

* * *

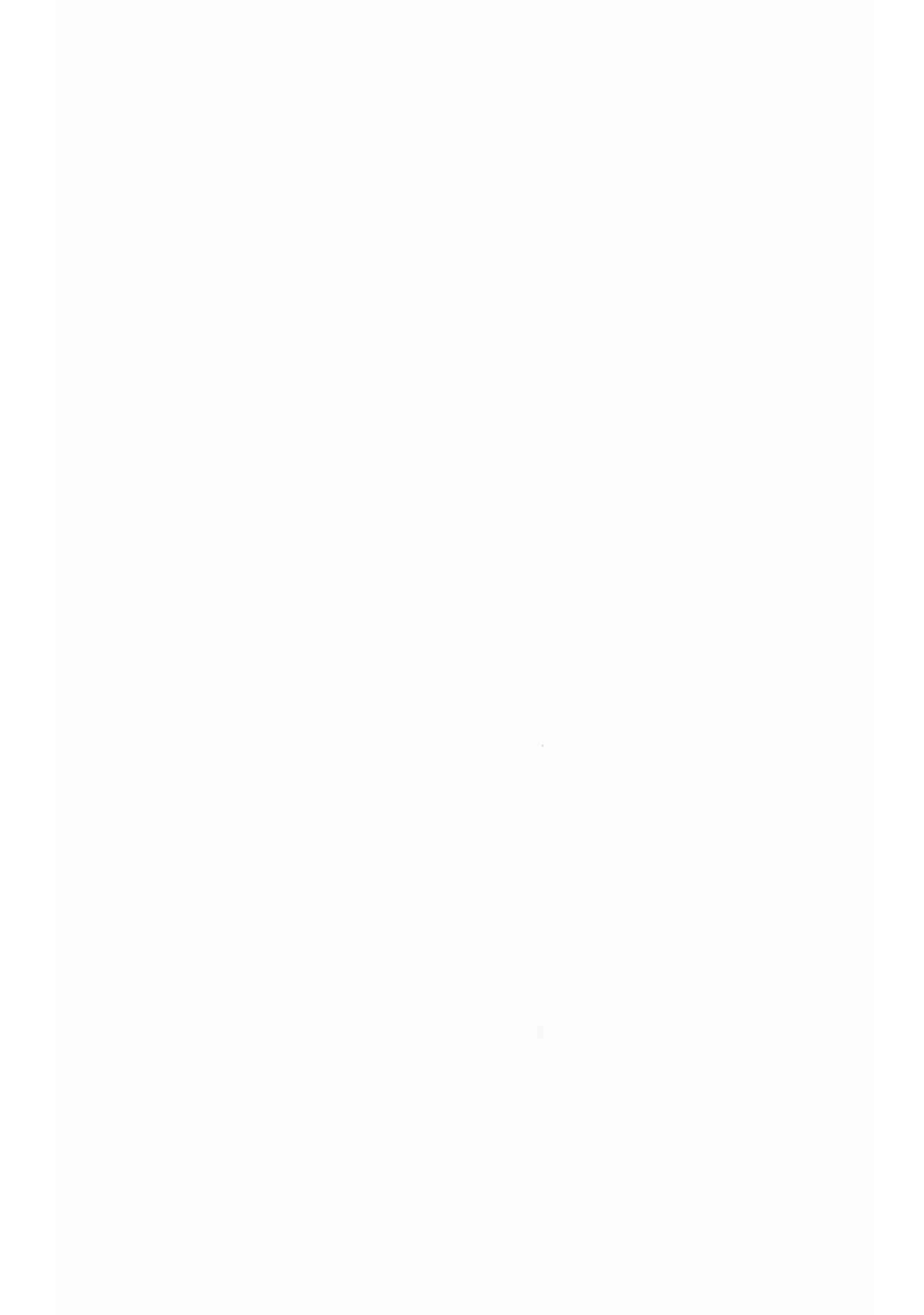
= والحديث بطوله رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٧٦) كما تقدم وقال فيه أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر: المسند بتحقيقه (١٠/ ١٢٧-١٣٠)، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٠-٣١) ـ كما أشار إليه المؤلف ـ وقال الحاكم فيه: هذا حديث صحيح، قد تداوله الأئمة، وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة. وقال الذهبي: على شرطهما، ولا علة له . ورواه الفريابي في القدر ص(١٧٦-١٧٨) .

(١) في د: رواه، بدون الواو .

(٢) هو: أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري، يعرف بابن البيِّع، صاحب «المستدرك» و « المدخل » و « علوم الحديث » وغيرها . ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وطلب الحديث صغيراً باعتناء أبيه وخاله، وكان من بحور العلم على تشيع قليل فيه، حدَّث عنه البيهقي وخلائق، وكان إمام عصره في الحديث، مات سنة خمس وأربعمائة. سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٢-١٧٧) وطبقات الحفاظ للسيوطي ص(٤١٠-٤١١) . ط الأولى ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت .

(٣) « قال » : ساقطة من د، س .

(٤) ما بين القوسين زيادة من ت .





الباب الثاني

في تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم، وأرزاقهم وآجالهم، وأعمالهم قبل خلقهم، وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول






الباب الثاني (*)

في تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم، وأرزاقهم وآجالهم، وأعمالهم قبل خلقهم، وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول

عن علي[(١)] بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد[(٢)]، [فأتانا][(٣)] رسول الله ﷺ فقعد، وقعدنا حوله، ومعه مِخْصَرة[(٤)]، فنكس[(٥)]، فجعل [ينكُت][(٦)] بمخصرته، ثم قال : « **ما منكم من أحدٍ، ما من نفسٍ منفوسة[(٧)] إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة** » فقال رجل : يا رسول الله، أفلا نمكثُ على كتابنا وندع العمل ؟ فقال : « **من كان من أهل**

(*) نهاية سقط (ع) الذي بدأ من أول الكتاب .

(١) هو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة، من السابقين الأولين، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين، قتله عبدالرحمن بن ملجم المرادي ـ غيلة ـ في رمضان سنة أربعين، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح. روى له الستة، تقريب التهذيب (٢/ ٣٩)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٤-٣٣٩). وأسد الغابة (٣/ ٥٨٨-٦٢٢)، والإصابة (٢/ ٥٠٧-٥١٠) .

(٢) هو موضع بالمدينة فيه قبور أهلها، كان به شجر الغرقد الذي هو كبار العوسج، فذهب وبقي اسمه. انظر النهاية لابن الأثير (١/ ١٤٦). ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٤٧٣).

(٣) في ع، د، س : فأتى .

(٤) المخصرة : ما يختصره الإنسان بيده فيمسكه من عصا، أو عكازة، أو مقرعة، أو قضيب، وقد يتكئ عليه، وسميت بذلك لأنها تُحمَل تحت الخصر غالباً للاتكاء عليها. انظر : النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٦) وفتح الباري (١١/ ٤٩٦) .

(٥) نكس : أي خفض رأسه وطأطأه إلى الأرض على هيئة المهموم. انظر : شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ١٩٥) .

(٦) في ت، د، س : ينكث، ونكث الأرض بالقضيب هو : أن يؤثر فيها بطرفه، فعل المفكر المهموم. انظر النهاية (٥/ ١١٣) .

(٧) منفوسة : أي مولودة . انظر : النهاية (٥/ ٩٥) .

السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة » ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾[1][2] .

وفي لفظ : « **اعملوا فكلٌ ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ** : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾[3] .

---

(١) سورة الليل، الآيات من ٥-١٠ .

(٢) رواه البخاري في (٢/ ٩٩)، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدِّث عند القبر وقعود أصحابه حوله، ورواه أيضاً في (٦/ ٨٥) كتاب التفسير، تفسير سورة «والليل إذا يغشى»، باب قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴾، ومسلم في (٤/ ٢٠٣٩) كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته .

(٣) رواه بهذا اللفظ البخاري في (٦/ ٨٦) كتاب التفسير، تفسير سورة «والليل إذا يغشى» باب قوله تعالى ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ . ورواه أيضاً مختصراً في كتاب القدر (٧/ ٢١٢) باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾، وفي (٦/ ٨٤) كتاب التفسير، تفسير سورة « والليل إذا يغشى». وفي كتاب الأدب (٧/ ١٢٣) باب نكت العود في الماء والطين، وفي كتاب التوحيد (٨/ ٢١٥-٢١٦) باب قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾، ورواه مسلم (٤/ ٢٠٣٩-٢٠٤٠) كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته، ورواه أبوداود (١٢/ ٤٥٧) كتاب السنة، باب في القدر، والترمذي (٨/ ٣٠٠) أبواب القدر، باب ما جاء في الشقاء والسعادة، و(١٢/ ٢٤٥-٢٤٦)، أبواب التفسير، تفسير سورة « والليل إذا يغشى»، وابن ماجه (١/ ٣٠-٣١) المقدمة، باب في القدر، والإمام أحمد في مسنده (١/ ٨٢، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٠)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٥-٤٧)، والبيهقي في القدر ص(٢٨-٣٢)، وفي كتاب الاعتقاد (ص١٣٧)، والفريابي في القدر ص(١٥٠-١٥١)، ومن طريقه رواه الآجري في الشريعة ص(١٧١-١٧٢) .

وعن عمران بن حصين [(١)] قال : قيل : يا رسول الله، أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ فقال : « **نعم** » . قيل : ففيم يعمل العاملون؟ قال : « **كل ميسر لما خلق له** » . متفق عليه[(٢)] .

وفي بعض طرق البخاري : « **كلٌّ يعمل لما خلق له، أو لما يُسِّر له** »[(٣)] .

وعن أبي الأسود الدؤلي[(٤)] قال : قال لي عمران بن حصين : أرأيت ما يعمل / الناس اليوم ويكدحون فيه؛ أشيء قضي [عليهم][(٥)] ومضى عليهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت : بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم، قال : فقال : أفلا يكون ظلماً ؟ ٩ب

---

(١) هو : عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبونجيد، بنون وجيم، مصغراً، أسلم عام خيبر، وصحب، وكان فاضلاً، وقضى بالكوفة، مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة. تقريب التهذيب (٢/ ٨٢). وتهذيب التهذيب (٨/ ١٢٥-١٢٦)، أسد الغابة (٣/ ٧٧٨-٧٧٩)، الإصابة (٣/ ٢٦-٢٧) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢١٠) كتاب القدر باب جفّ القلم على علم الله. ورواه أيضاً في (٨/ ٢١٥) كتاب التوحيد باب قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، ورواه مسلم (٤/ ٢٠٤١) واللفظ له، كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وشقاوته وسعادته، ورواه أبوداود في سننه (١٢/ ٤٧٦) كتاب السنة، باب في القدر، والفريابي في كتاب القدر ص(١٥٧)، ومن طريقه رواه الآجري في الشريعة ص(١٧٤) .

(٣) انظر : صحيح البخاري (٧/ ٢١٠) كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله .

(٤) هو : أبوالأسود الدِيْلي ـ بكسر المهملة وسكون التحتانية ـ ويُقال: الدؤلي، بالضم بعدها همزة مفتوحة، البصري، اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، ويُقال: عمرو بن عثمان، أو عثمان بن عمرو، ثقة فاضل، مخضرم، مات سنة تسع وستين، روى له الستة، تقريب التهذيب (٢/ ٣٩١)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ١٠-١١) .

(٥) ساقطة من : ت .

قال : ففزعت من ذلك فزعاً شديداً، وقلت : كل شيء خلق الله وملك يده : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[١]، قال : فقال لي : يرحمك الله، إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر[٢] عقلك، إن رجلين من مزينة[٣] أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيها، أشيءٌ قُضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون [به][٤] مما أتاهم به نبيهم [وثبتت الحجة][٥] عليهم؟ . فقال : «بل شيء قُضي عليهم، ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝﴾[٦] . رواه مسلم في صحيحه[٧] .

---

(١) اقتباس من الآية ٢٣ من سورة الأنبياء .

(٢) لأحزر عقلك : قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ١٩٩) أي : لأمتحن عقلك وفهمك ومعرفتك .

(٣) مزينة : هم بنو عثمان وأوس، ابنا عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وبطين صغير يقال لهم : بنو حميس بن أد بن طابخة بن إلياس .. إلخ، وأمهما مزينة بنت كلب بن وبرة، فنسب ولدها إليها . جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص٤٨٠-، ٢٠١) ط. الأولى ١٣٨٢هـ نشر دار المعارف، مصر، واللباب في تهذيب الأنساب للجزري (٣/ ٢٠٥) طبعة دار صادر، بيروت .

(٤) ساقطة من ت .

(٥) في ع، د، س : وثبتت به الحجة، بزيادة «به» وليست في مسلم .

(٦) سورة الشمس، آية ٧، ٨ .

(٧) انظر : صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤١-٢٠٤٢) كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٤٣٨) مختصراً ، واللالكائي في السنة (٣/ ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤) ، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٦-٧٧)، والفريابي في القدر ص(٢٢٥-٢٢٦)، والطبري في تفسيره (٣٠/ ٢١١)، والبيهقي في كتاب الاعتقاد ص(١٤٨) وفي كتاب القدر ص(٢٢)، والطيالسي في مسنده =

وعن شُفي الأصبحي[(١)] عن عبدالله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «**أتدرون ما هذان الكتابان؟**» قال: قلنا: لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله. قال للذي في يده اليمنى: «**هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أُجِلَ [على آخرهم لا يزاد[(٢)]][(٣)] فيهم ولا ينقص منهم أبداً**». ثم قال للذي في يساره: «**هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أُجمل على آخرهم [لا يُزاد][(٤)] فيهم ولا ينقص منهم أبداً**»، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء نعمل إن [كان هذا][(٥)] أمراً قد فُرغ منه[(٦)]؟ قال رسول الله ﷺ: «**سدِّدُوا[(٧)] وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل**» ثم قال بيده فقبضها، ثم قال: «**فرغ [ربكم][(٨)]**

= (ص١١٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٢٨)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه.

(١) هو شُفي ـ بالفاء المصغرة ـ: ابن ماتع ـ بمثناة ـ الأصبحي، ثقة من الطبقة الثالثة، أرسل حديثاً فذكره بعضهم في الصحابة خطأ، مات في خلافة هشام. قاله خليفة. روى له البخاري في كتاب خلق أفعال العباد، وروى له أبوداود والترمذي والنسائي، وابن ماجه في التفسير، تقريب التهذيب (١/ ٣٥٣)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٣٦٠).

(٢) في ع، د: عليهم فلا يزاد.

(٣) أُجمِلَ على آخرهم: أي أحصوا وجمعوا فلا يزاد فيهم ولا ينقص، النهاية لابن الأثير (١/ ٢٩٧).

(٤) في ع، د، س: فلا يزاد.

(٥) في ت: إن هذا كان.

(٦) في ت: قد فرغ الله منه.

(٧) سددوا وقاربوا: أي اطلبوا في أعمالكم السداد والاستقامة، وهو القصد في الأمر والعدل فيه. النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٥٢).

(٨) في ت: ربك.

عز وجل من العباد، ثم قال [باليمنى][1] [فنبذ بها][2] فقال : فريق في الجنة، ونبذ باليسرى، فقال : فريق / في السعير » . رواه الترمذي عن قتيبة[3] عن [ليث[4]][5] [عن][6] أبي قبيل[7]، عن شُفي. وعن قتيبة عن بكر بن[8] [مضر][9] عن أبي

١٠ أ

---

(١) في ع : باليمين .

(٢) في م : فنبذها .

(٣) هو : قتيبة بن سعيد بن جميل ـ بفتح الجيم ـ ابن طريف الثقفي، أبو رجاء البغلاني ـ بفتح الموحدة وسكون المعجمة ـ يقال اسمه : يحيى، وقيل : علي، ثقة ثبت، من العاشرة. مات سنة أربعين ومائتين عن تسعين سنة . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ١٢٣)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٣٥٨-٣٦١) .

(٤) ليث : ساقطة من ع .

(٥) هو : الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي، أبوالحارث المصري، ثقة ثبت فقيه، إمام مشهور، من السابعة، مات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة . روى له الستة، تقريب التهذيب (٢/ ١٣٨)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦) .

(٦) ساقطة من : ع، د، س .

(٧) هو : حُيَي بن هانئ بن ناضر ـ بنون معجمة ـ أبو قَبِيْل ـ بفتح القاف وكسر الموحدة، بعدها تحتانية ساكنة، المعافري المصري، قال عنه ابن حجر : صدوق يهم . ووثقه الإمام أحمد وابن معين وأبوزرعة والفسوي والعجلي وأحمد بن صالح المصري، مات سنة ثمان وعشرين ومائة بالبرلس بمصر، روى له البخاري في الأدب المفرد، وأبوداود في القدر، والترمذي، والنسائي. انظر : تقريب التهذيب (١/ ٢٠٩)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٧٢-٧٣).

(٨) هو : بكر بن مضر بن محمد بن حكيم المصري، أبومحمد، أو أبوعبدالله، ثقة ثبت، من الثامنة، مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين ومائة، وله نيف وسبعون. روى له الستة سوى ابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ١٠٧)، تهذيب التهذيب (١/ ٤٨٧)، تاريخ الثقات للعجلي (ص٨٥) ط. الأولى ١٤٠٥هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت .

(٩) في جميع النسخ نصر، وهو تصحيف، وما أثبت من جامع الترمذي وبقية كتب التخريج وكتب تراجم الرجال .

قَبيل به، وقال : حديث صحيح [غريب[1]][2]، ورواه النسائي[3][4]، والإمام أحمد، وهذا السياق له[5] .

وفي صحيح الحاكم وغيره من حديث [أبي][6] جعفر

---

(١) ساقطة من ع .

(٢) انظر : جامع الترمذي (٨/ ٣٠٨-٣٠٩) أبواب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار .

(٣) هو : أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبوعبدالرحمن النسائي، الحافظ صاحب السنن، مات سنة ثلاث وثلاثمائة، وله ثمان وثمانون سنة، روى له مسلم . تقريب التهذيب (١/ ١٦)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٦-٣٩) .

(٤) انظر : كتاب التفسير من سنن النسائي الكبرى (٢/ ٢٦٤-٢٦٥) تفسير سورة الشورى آية ٧، تحقيق : صبري الشافعي وزميله، ط. الأولى ١٤١٠هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت .

(٥) انظر المسند (٢/ ١٦٧) وقال فيه أحمد شاكر : إسناده صحيح . انظر : المسند بتحقيقه (١٠/ ٦٨) وكذا قال الألباني . انظر : حاشية مشكاة المصابيح (١/ ٣٦) . والحديث رواه أيضاً : ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٤)، وقال الألباني : إسناده حسن، وكذا قال في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٤٢٩)، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥/ ١١) . وأبونعيم في الحلية (٥/ ١٦٨)، وابن وهب في القدر (ص٨٣-٨٦) عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ (وهذا الرجل كما بيَّنته رواية الترمذي ورواية الإمام أحمد هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما) . ومن طريق ابن وهب رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٩) . ورواه الدارمي في كتاب الرد على الجهمية (ص٧٩) . والبيهقي في كتاب القدر (ص٣٦-٣٧) . والفريابي في كتاب القدر (ص١٥٣-١٥٤) . ومن طريق الفريابي رواه الآجري في الشريعة (ص١٧٣-١٧٤) . وذكره الخطيب التبريزي في المشكاة (١/ ٣٥)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٠٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٣٧-٣٣٨)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٦) في ت : ابن .

الرازي[١]، حدثنا الربيع بن أنس[٢]، عن أبي العالية[٣]، عن أبي بن كعب[٤] في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ [ذُرِّيَّتَهُمْ][٥]﴾[٦]

---

(١) هو : عيسى بن أبي عيسى عبدالله بن ماهان، أبوجعفر الرازي التميمي مولاهم، مشهور بكنيته، وأصله من مرو، وكان يتجر إلى الري، صدوق سيء الحفظ، خصوصاً عن مغيرة، من كبار الطبقة السابعة. مات في حدود الستين ومائة . روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له الأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٤٠٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٥٦-٥٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٤٦) .

(٢) هو : الربيع بن أنس البكري، أو الحنفي، بصري نزل خراسان، صدوق له أوهام، رُمي بالتشيع، من الخامسة، مات سنة أربعين ومائة أو قبلها . روى له الأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٢٤٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨-٢٣٩)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٩) .

(٣) هو : رُفَيْـع ـ بالتصغير ـ بن مهران، أبوالعالية الرياحي ـ بكسر الراء وبالتحتانية ـ ثقة كثير الإرسال من الثانية. مات سنة تسعين، وقيل: ثلاث وتسعين، وقيل: بعد ذلك، قال شعبة : قد أدرك رفيع علياً ولم يسمع منه. روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٢٥٢)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨٤-٢٨٥). والمراسيل لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم ص٥٤، تعليق أحمد الكاتب، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت .

(٤) هو : أُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، أبوالمنذر، سيد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضاً، من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافاً كثيراً، قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة اثنين وثلاثين، وقيل غير ذلك، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٨)، وتهذيب التهذيب (١/ ١٨٧-١٨٨)، أسد الغابة (١/ ٦١-٦٣)، الإصابة (١/ ١٩-٢٠) .

(٥) في م، ع : ذرياتهم بالجمع، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون بالتوحيد. انظر : كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص١١٤، ط. الثانية ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م، نشر دار الكتاب العربي. والمبسوط في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ص(١٨٦) تحقيق سبيع حاكمي . ط. الثانية ١٤٠٨هـ نشر دار القبلة بجدة، ومؤسسة علوم القرآن في بيروت .

(٦) سورة الأعراف، آية ١٧٢ .

قال: جمعهم [له][1] يومئذ جمعاً، ما هو كائن إلى يوم القيام فجعلهم [أرواحاً][2]، ثم صورهم واستنطقهم، فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[3] قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع، والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم، أو تقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين، فلا تشركوا بي شيئاً، فإني أرسل إليكم رسلي، يذكّرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، فقالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا ربَّ لنا غيرك، ورُفِع لهم أبوهم آدم فرأى فيهم الغني والفقير، وحسن الصورة وغير ذلك، فقال: ربِّ لو سوَّيت بين عبادك. فقال: إني أُحب أن أُشكر، ورأى فيهم الأنبياء مثل السُّرج .. » وذكر تمام الحديث[4].

---

(١) ساقطة من: ع.

(٢) في ع، د، س: أزواجاً.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٧٢، ١٧٣.

(٤) انظر: المستدرك للحاكم (٢/ ٣٢٣، ٣٢٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه ابن منده في كتاب الرد على الجهمية (ص٥٩-٦٠). ورواه الفريابي في القدر (ص١٥٩) ومن طريقه رواه الآجري في الشريعة (ص٢٠٧، ٢٠٨)، ورواه الطبري في تفسيره (٩/ ١١٥)، وقال محمود شاكر: وإسناده صحيح، انظر تفسير الطبري بتحقيقه (١٣/ ٢٣٨-٢٣٩) نشر دار المعارف بمصر، ورواه عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل في زيادته على مسند أبيه (٥/ ١٣٥) عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي، عن المعتمر بن سليمان عن أبيه، عن الربيع بن أنس، مختصراً، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٥) وقال: رواه عبدالله بن أحمد، عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي، وهو مستور، وبقية رجاله رجال الصحيح. ورواه ابن عبدالبر في التمهيد (١٨/ ٩١-٩٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٦٣-٤٦٤) مختصراً، وفي كتاب القدر (ص٤٥-٤٦)،=

[وفي][(١)] صحيحه، وجامع الترمذي من حديث هشام[(٢)] بن[سعد][(٣)] عن [زيد][(٤)] بن أسلم[(٥)] عن أبي صالح[(٦)] عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ: **« لما خلق الله آدمَ مَسَحَ [ظهره][(٧)] فسقط من ظهره كل نَسَمَةٍ[(٨)] هو خالقها، إلى يوم القيامة أمثال الذر، ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً[(٩)] من نور، ثم عرضهم**

= ورواه اللالكائي في السنة (٣/ ٥٥٩)، والدولابي في الكنى (٢/ ٢٠) ط. الثانية سنة ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت، وذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (١/ ٤٤) . وقال الألباني : سنده حسن موقوف، ولكنه في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي . وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٣-٢٦٤) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه في تفسيريهما، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٠)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ، وابن عساكر في تاريخه .

(١) ساقطة من : ع .

(٢) هو : هشام بن سعد المدني، أبو عباد، أو أبو سعد، صدوق، له أوهام، ورُمي بالتشيع، من كبار الطبقة السابعة، مات سنة ستين ومائة أو قبلها. روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم، والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٣١٨)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٣٩-٤١) .

(٣) في ت، ع : زيد، وفي م، د، س : يزيد، وما أثبت من المستدرك للحاكم، وجامع الترمذي وغيرهما .

(٤) في د : يزيد .

(٥) هو زيد بن أسلم العدوي، أبوأسامة، ويقال : أبوعبدالله المدني الفقيه، مولى عمر، ثقة عالم، وكان يرسل، من الطبقة الثالثة، مات سنة ست وثلاثين ومائة، وروى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٧٢)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٩٥). وانظر : سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٦) .

(٦) هو : ذكوان، أبو صالح السّمان الزيّات المدني، ثقة ثبت، وكان يجلب الزيت إلى الكوفة، من الطبقة الثالثة مات سنة إحدى ومائة. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٣٨)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢١٩-٢٢٠)، والجمع بين رجال الصحيحين (١١/ ١٣٢-١٣٣) .

(٧) ساقطة من : ع، د .

(٨) النَّسَمَة : النفس والروح، وكل دابة فيها روح نسمة. النهاية لابن الأثير (٥/ ٤٩) .

(٩) الوبيص : البريق . النهاية لابن الأثير (٥/ ١٤٦) .

على آدم، فقال : من هؤلاء يا رب ؟ فقال : هؤلاء ذريتك، فرأى فيهم رجلاً أعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال : يا رب من هذا؟ قال : ابنك داود [يكون][1] **في آخر الأمم/** ١٠ب **قال: كم جعلت له من العمر؟ قال : ستين سنة . قال : يا رب، زده من عمري أربعين سنة . قال الله : إذاً يُكتب ويختم، فلا يبدل، فلما انقضى عمر آدم جاء ملك الموتُ . قال : أوَلَم يبقَ من عمري أربعون سنة ؟ قال له : أوَلَم تجعلها لابنك داود ؟ قال : فجحد، فجحدت ذريّته، ونسي فنسيت ذريّته، وخطئ فخطئت ذريّته »** . قال : هذا على شرط مسلم[2] .

---

(١) ساقطة من : ع .

(٢) انظر : المستدرك للحاكم (٢/ ٣٢٥، ٥٨٦) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي . وانظر أيضاً جامع الترمذي (١١/ ١٩٦-١٩٩) أبواب التفسير، تفسير سورة الأعراف . وقال : هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ .

والحديث رواه أيضاً ابن منده في الرد على الجهمية (ص٤٩-٥٠) . وقال : هذا حديث صحيح من حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح عن أبي هريرة رواه خلاد وغيره، وروى هذا الحديث صفوان عن عيسى، عن الحارث بن أبي ذباب، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ مثله وهو صحيح أيضاً .

ورواه الفريابي في كتاب القدر (ص١٣١) من طريق هشام بن سعد .. به. وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٧-٢٨) نشر دار صادر، بيروت سنة ١٣٨٠هـ والطبري في التاريخ (١/ ١٥٥)، كلهم عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ . ومن طريق سعيد المقبري رواه الطبري في التاريخ (١/ ١٥٥) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ١٦٠-١٦١). وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩١) . وقال الألباني : إسناده حسن . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٤٠-٤٢)، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٤) وقال : حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي ثم قال: وله شاهد صحيح. ثم ساقه من طريق أبي خالد الأحمر عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ . قال الألباني في تخريجه للسنة (١/ ٩١) : وهذا إسناده حسن. =

وفي [موطأ][١] مالك[٢]: عن زيد بن أبي أنيسة[٣]، أن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب[٤] أخبره عن مسلم بن يسار الجهني[٥]، أن عمر

= وعن الحاكم رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات (ص٤١٠-٤١١)، ورواه ابن وهب في القدر (ص٦٧) من طريق عطاء بن يسار عن أبي هريرة ﷺ، ومن طريقه رواه أبو يعلى في مسنده (١١/ ٢٦٣-٢٦٤) . والفريابي في القدر (ص١٣٠-١٣١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠١-٦٠٣) بنحوه، ونسبه إلى ابن أبي حاتم وابن منده وابن عساكر، وعبد بن حميد، وابن مردويه . وللحديث شاهد من رواية ابن عباس، رضي الله عنهما، عند الإمام أحمد (٤/ ٧١، ٢٥٢)، (٥/ ١٧٤-١٧٥) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح، وابن جرير في تفسيره (٩/ ١١٤)، والطيالسي في مسنده (منحة المعبود) (٢/ ٨٢) ترتيب أحمد البنا، ط. الثانية ١٤٠٠هـ نشر المكتبة الإسلامية، بيروت .

(١) في ت :، م : وفي الموطأ مالك .

(٢) هو : مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبوعبدالله المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة، أحد الأئمة الأربعة، ومن كبار أئمة الحديث، حتى قال البخاري : أصح الأسانيد كلها : مالك عن نافع عن ابن عمر، من السابعة، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين، وقال الواقدي بلغ تسعين سنة . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٢٣)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٥-٩) .

(٣) هو : زيد بن أبي أنيسة الجذري، أبو أسامة، أصله من الكوفة، ثم سكن الرها، ثقة له أفراد، من السادسة. مات سنة تسع عشرة، وقيل : سنة أربع وعشرين بعد المائة . وله ست وثلاثون سنة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٧٢)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٧). وانظر : سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٨) .

(٤) هو : عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي، أبوعمر المدني، ثقة من الرابعة، توفي بحرّان في خلافة هشام، روى لـه الستة. تقريب التهذيب (١/ ٤٦٨)، وتهذيب التهذيب (٦/ ١١٩) .

(٥) هو : مسلم بن يسار الجهني، مقبول، من الطبقة الثالثة، روى له أبوداود والنسائي والترمذي، تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٨)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٤) .

ابن الخطاب[١] رضي الله عنه سُئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ [ذرياتهم][٢] ﴾[٣] . [فقال][٤] عمر : سمعت رسول الله ﷺ سُئل عنها، فقال : «إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال : خلقتُ هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال : خلقتُ هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل : يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال : «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار» . قال الحاكم: هذا الحديث على شرط مسلم[٥]. وليس كما قاله، بل هو حديث منقطع[٦]. قال أبوعمر[٧] : هو

---

(١) هو : عمر بن الخطاب بن نفيل ـ بنون وفاء مصغراً ـ ابن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله ابن قرط ـ بضم القاف ـ القرشي العدوي، ثاني الخلفاء الراشدين، الفاروق، جم المناقب، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، قتله أبولؤلؤة المجوسي، وولي عمر الخلاف عشر سنين ونصفاً، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٥٤)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٤٣٨-٤٤١)، و الاستيعاب (٢/ ٤٥٨-٤٧٤)، وأسد الغابة (٣/ ٦٤٢-٦٧٨) .

(٢) في د، س : ذريتهم، وقد سبق في (ص١٦٦) بيان أن فيها قراءتين بالإفراد والجمع .

(٣) سورة الأعراف، آية ١٧٢ .

(٤) في ت : قال .

(٥) انظر : المستدرك للحاكم (٢/ ٣٢٤-٣٢٥) وقال : هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي . ورواه أيضاً في (١/ ٢٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه . وتعقّبه الذهبي فقال : فيه إرسال .

(٦) المنقطع هو : ما لم يتصل إسناده على أي وجه كان انقطاعه، وأكثر ما يستعمل في رواية من دون التابعي عن الصحابي . تدريب الراوي للسيوطي (١/ ٢٠٧-٢٠٨) .

(٧) هو : يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري، القرطبي، المالكي، أبوعمر . من كبار حفاظ الحديث . يقال له : حافظ المغرب، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ . قال الباجي : أبوعمر أحفظ أهل المغرب. له مؤلفات كثيرة منها : التمهيد لما في الموطأ من المعاني =

حديث منقطع؛ فإن [مسلم][(١)] بن يسار هذا لم يلقَ عمرَ بن الخطاب، بينهما نعيم[(٢)] بن ربيعة هذا إن صح؛ [لأن][(٣)] الذي رواه عن زيد بن أبي أنيسة فذكر فيه نعيم بن[(٤)] ربيعة، ليس هو بأحفظ من مالك، ولا ممن يحتج به إذا خالفه مالك، ومع ذلك فإنَّ نعيم بن ربيعة ومسلم بن يسار [جميعاً][(٥)] مجهولان غير معروفين بحمل العلم ونقل الحديث، وليس هو مسلم بن يسار البصري[(٦)] العابد[(٧)]، وإنما هو رجل [مدني][(٨)] مجهول، ثم ذكر من تاريخ ابن أبي خيثمة[(٩)]،

= والأسانيد، والاستيعاب، وجامع بيان العلم وفضله، توفي بمدينة شاطبة يوم الجمعة آخر شهر ربيع الأول سنة ٤٦٣هـ انظر : الوافي بالوفيات (٧/ ٦٦-٧٢)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١١٢٨-١١٣٢) نشر دار إحياء التراث العربي بيروت .

(١) في م : سالم .

(٢) هو : نعيم بن ربيعة الأزدي، مقبول من الثانية، روى له أبوداود. تقريب التهذيب (٢/ ٣٠٥)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٦٤) .

(٣) في د، س، ع : أن .

(٤) في ت : ابن أبي ربيعة .

(٥) ساقطة من ع .

(٦) في م، ع، د، س : العابد البصري .

(٧) هو : مسلم بن يسار البصري، نزيل مكة، أبوعبدالله الفقيه، يقال له مسلم المصبح؛ لأنه كان يسرج مصابيح المسجد، ثقة عابد، من الرابعة، مات سنة مائة أو بعدها بقليل، روى له أبوداود والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٧)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٠-١٤١) .

(٨) في ت : بدوي . وفي التمهيد : وقيل إنه مدني .

(٩) هو : أحمد بن أبي خيثمة ـ زهير بن حرب بن شداد النسائي، صاحب التاريخ الكبير، الكثير الفائدة، سمع أباه وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعدة، وروى عنه ابنه محمد، وأبوالقاسم البغوي، وإسماعيل الصفَّار وآخرون. ذكره الدارقطني، فقال: ثقة مأمون. مات سنة تسع وسبعين ومائتين. سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٩٢-٤٩٣)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩٦).

قال : قرأتُ على يحيى بن معين[1] حديث مالك هذا، فكتب بيده على مسلم بن يسار : لا يُعرف[2].

قال أبوعمر : / هذا الحديث وإن كان عليل الإسناد [فإن][3] معناه عن ١١١أ

(١) هو : يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم، أبوزكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، من الطبقة العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين بالمدينة المنورة، وله بضع وسبعون سنة . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٥٨)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٢٨٠-٢٨٨).

(٢) انظر الموطأ ص(٥٦٠) كتاب القدر، ورواه أبوداود (١٢/ ٤٧٠-٤٧١) كتاب السنة باب في القدر، والترمذي (٥/ ٢٤٨-٢٤٩) كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف، وقال : هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلاً مجهولاً. والنسائي في سننه الكبرى، كتاب التفسير (١/ ٥٠٤-٥٠٥) تفسير سورة الأعراف، والإمام أحمد (١/ ٤٤-٤٥)، وقال أحمد شاكر : أسانيده صحاح وإن كان ظاهره الانقطاع . انظر المسند بتحقيقه (١/ ٢٨٩-٢٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٧) وقال الألباني : إسناده ضعيف؛ للانقطاع بين مسلم بن يسار وعمر . ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٣-١١٤)، وفي تاريخه (١/ ٦٧)، وابن منده في كتابه الرد على الجهمية (ص٥٦-٥٧) . تحقيق الدكتور علي فقيهي، ط. الأولى ١٤٠١هـ واللالكائي في السنة (٣/ ٥٥٨)، والفريابي في القدر ص(١٣٦-١٣٧)، وعنه الآجري في الشريعة ص١٧٠، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٧-٣٨)، وابن وهب في كتاب القدر (ص٧٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤١١-٤١٢)، والبغوي في تفسيره (معالم التنزيل) (٢/ ٢١١) تفسير سورة الأعراف آية (١٧٢) تحقيق: خالد العك ومروان سوار، ط. الثانية ١٤٠٧هـ نشر دار المعرفة، بيروت، وذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (١/ ٣٤)، وقال الألباني : رجال إسناده ثقات غير أنه منقطع، وله شواهد كثيرة، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠١) .

(٣) في ت : قال .

النبي ﷺ قد رُوي من وجوه كثيرة : من حديث عمر بن الخطاب وغيره، وممن روى عن النبي ﷺ معناه في القدر : علي بن أبي طالب، [وأُبيّ بن كعب][(1)]، وابن عباس، وابن عمر[(2)]، وأبوهريرة، وأبوسعيد الخدري[(3)]، وأبوسَريحة [الغفاري[(4)]][(5)]، وعبدالله بن مسعود[(6)]، وعبدالله بن عمرو ابن العاص، وذو اللحية الكلابي[(7)]،

---

(١) في ت : وابن أبي كعب .

(٢) هو : عبدالله بن عمر بن الخطاب، العدوي، أبوعبدالرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أُحُد، وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها، أو أول التي تليها، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٣٥)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٢٨-٣٣٠)، أسد الغابة (٣/ ٢٣٦-٢٤١) .

(٣) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبوسعيد الخدري، له ولأبيه صحبة، استصغر بأُحُد، ثم شهد ما بعدها، وروى الكثير، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٢٨٩)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٧٩-٤٨١)، أسد الغابة (٢/ ٢١٣)، الإصابة (٢/ ٣٥) .

(٤) في د، س : العبادي، والصواب ما أثبته .

(٥) هو : حذيفة بن أُسيد، بفتح الهمزة، الغفاري، أبوسريحة، بمهملتين مفتوحة الأول، صحابي، من أصحاب الشجرة، مات سنة اثنتين وأربعين. تقريب التهذيب (١/١٥٦)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢١٩)، أسد الغابة (١/ ٤٦٦) .

(٦) هو عبدالله بن مسعود بن غافل ــ بمعجمة وفاء ــ ابن حبيب الهذلي، أبوعبدالرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء، مناقبه جمّة، وأمّره عمر على الكوفة، مات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٥٠)، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٧)، وأسد الغابة (٣/ ٢٨٠)، والإصابة (٢/ ٣٦٨) .

(٧) هو : ذو اللحية الكلابي، معدود في الصحابة، قيل : اسمه شريح بن عامر بن عوف بن كعب بن بكر بن كلاب، روى عن النبي ﷺ، وعنه يزيد بن أبي منصور، قال ابن حجر: =

وعمران بن حصين، [وعائشة[1]][2]، وأنس بن مالك[3]، وسراقة بن جُعْشُم[4]، وأبوموسى الأشعري[5]، وعبادة بن الصامت[6].

قلت: وحذيفة[7] بن اليمان[8]، وزيد بن

= قال البغوي: لا أعلم له سوى حديث العمل في أمر مستأنف. روى له أبوداود في القدر. تهذيب التهذيب (٣/ ٢٢٣-٢٢٤)، وأسد الغابة (٢/ ٢٥-٢٦).

(١) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، أفقه النساء مطلقاً، وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف شهير، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح. روى لها الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٦٠٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٣-٤٣٦)، وأسد الغابة (٦/ ١٨٨-١٩٢).

(٢) في ت: وعائشة بنت اليمان. وما أثبت من التمهيد لابن عبدالبر.

(٣) هو: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين، صحابي مشهور، مات سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة، روى الستة. تقريب التهذيب (١/ ٨٤)، وتهذيب التهذيب (١/ ٣٧٦)، وأسد الغابة (١/ ١٥١ والإصابة (١/ ٧١).

(٤) هو: سُراقة بن مالك جُعْشُم ـ بضم الميم والمعجمة وبينهما عين مهملة ـ الكناني، ثم المدلجي، أبوسفيان، صحابي مشهور، من مسلمة الفتح، مات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين، وقيل بعدها. تقريب التهذيب (١/ ٢٨٤)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٥٦)، وأسد الغابة (٢/ ١٧٩-١٨١).

(٥) هو: عبدالله بن قيس بن سليم بن حَضَّار، بفتح المهملة وتشديد الضاد المعجمة، أبوموسى الأشعري، صحابي مشهور، أمَّره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكَمين بصِفِّين، مات سنة خمسين، وقيل بعدها، وروى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٤٤١)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٦٢-٣٦٣)، وأسد الغابة (٣/ ٢٦٣-٢٦٥).

(٦) انتهى كلام أبي عمر بن عبدالبر. وانظره في التمهيد (٦/ ٤-٥) ط. الأولى، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

(٧) في (ع) بعد قول المؤلف: قلت: (وحديث) ولعلها سهوٌ من الناسخ.

(٨) هو: حذيفة بن اليمان، واسم اليمان حُسَيل مصغراً، ويقال: حِسْل بكسر ثم سكون، العبْسي بالموحدة، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، وأبوه صحابي أيضاً، =

ثابت[(١)]، وجابر بن عبدالله[(٢)]، وحذيفة بن أسيد[(٣)]، وأبوذر[(٤)]، ومعاذ بن جبل[(٥)]، وهشام بن حكيم[(٦)]،

= استشهد بأُحُد، ومات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين . تقريب التهذيب (١/ ١٥٦)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٢١٩-٢٢٠)، وأُسد الغابة (١/ ٤٦٨) .

(١) هو : هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الأنصاري النجاري، أبوسعيد، وأبوخارجة صحابي مشهور، كتب الوحي، قال مسروق : كان من الراسخين في العلم، مات سنة خمس أو ثمان وأربعين، وقيل: بعد الخمسين، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٧٢)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٩)، وأسد الغابة (٢/ ١٢٦-١٢٧) .

(٢) هو : جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام ـ بمهملة وراء ـ الأنصاري، ثم السلمي، بفتحتين، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين سنة . تقريب التهذيب (١/ ١٢٢)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٤٢-٤٣)، وأسد الغابة (١/ ٣٠٧-٣٠٨) .

(٣) هو أبوسريحة الغفاري، سبقت ترجمته، وفي ذكر المؤلف له هنا تكرار؛ لأنه سبق أن ذكره أبوعمر ابن عبدالبر، وقد كتب في هامش نسخه (ت) مقابل حذيفة بن أسيد بأنه هو أبوسريحة .

(٤) هو : جندب بن جنادة على الأصح، وقيل : بُريد ـ بموحدة مصغراً أو مكبراً ـ واختلف في أبيه، فقيل : جندب أو عشرقه، أو عبدالله، أو السكن، الغفاري، صحابي مشهور، تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدراً، ومناقبه كثيرة جداً، مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان. تقريب التهذيب (٢/ ٤٢٠)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٩٠-٩١)، وأسد الغابة (١/ ٣٥٧-٣٥٨) و (٥/ ٩٩-١٠١) .

(٥) هو : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبوعبدالرحمن، من أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام، والقرآن، مات بالشام سنة ثمان عشرة، مشهور. تقريب التهذيب ٠٢/ ٢٥٥)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٦)، وأسد الغابة (٤/ ٤١٨-٤٢١) .

(٦) هو : هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد القرشي، الأسدي، صحابي ابن صحابي، مات قبل أبيه، ووَهِمَ من زعم أنه استشهد بأجنادين. تقريب التهذيب (١/ ٣١٨) وتهذيب التهذيب (١١/ ٣٧)، وأسد الغابة (٤/ ٦٢٢-٦٢٤) .

وأبوعبدالله[١] ـ رجل من الصحابة روى عنه أبو[نضرة][٢]، وعبدالله بن سلام[٣]، وسلمان الفارسي[٤]، وأبوالدرداء[٥]، وعمرو بن العاص[٦]، وعائشة أم

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) في م، د، س : أبونصر، وفي ع : أبونضر . وأبو نضرة هو : المنذر بن مالك بن قُطعة ـ بضم القاف وفتح المهملة ـ العبدي، العَوَقي ـ بفتح المهملة والواو ثم قاف ـ البصري، أبونَضْرة ـ بنون ومعجمة ساكنة ـ مشهور بكنيته، ثقة من الثالثة، مات سنة ثمان أو تسع ومائة، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٥)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٠٢-٣٠٣) .

(٣) هو : عبدالله بن سلام ـ بالتخفيف ـ الإسرائيلي، أبويوسف، حليف بني الخزرج، قيل: كان اسمه الحُصين فسماه النبي ﷺ : عبدالله، مشهور، له أحاديث وفضل، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين . تقريب التهذيب (١/ ٤٢٢). وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٤٩)، وأسد الغابة (٣/ ١٦٠-١٦١) .

(٤) هو : سلمان الفارسي، أبوعبدالله، ويقال له : سلمان الخير، أصله من أصبهان، وقيل: من رامهرمز، من أول مشاهده الخندق، مات سنة أربع وثلاثين، يقال: بلغ عمره ثلاثمائة سنة. تقريب التهذيب (١/ ٣١٥)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١٣٧-١٣٩)، وأسد الغابة (٢/ ٢٦٥-٢٦٩) .

(٥) هو : عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، أبوالدرداء، مختلف في اسم أبيه، وإنما هو مشهور بكنيته، وقيل: اسمه عامر، وعويمر لقب، صحابي جليل، أول مشاهده أُحُد، وكان عابداً، مات في آخر خلافة عثمان، وقيل: عاش بعد ذلك . تقريب التهذيب (٢/ ٩١) . وتهذيب التهذيب (٨/ ١٧٥-١٧٦)، وأسد الغابة (٥/ ٩٧) .

(٦) هو : عمرو بن العاص بن وائل السهمي، الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية، وكان أحد أمراء الأجناد في فتوح الشام، وفتح مصر في عهد عمر بن الخطاب، وعمل له ولعثمان عليها، ثم عمل عليها زمن معاوية إلى أن مات سنة نيف وأربعين، وقيل: بعد الخمسين، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٧٢)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٥٦-٥٧)، وأسد الغابة (٣/ ٧٤١-٧٤٥) .

المؤمنين[(١)]، وعبدالله بن الزبير[(٢)]، و[أبو][(٣)] أمامة الباهلي[(٤)]، و[أبو][(٥)] الطفيل[(٦)]، وعبدالرحمن بن عوف[(٧)]، ـ وبعض أحاديثهم موقوفة[(٨)] وستمر بك [جميعها][(٩)] متفرقة في أبواب الكتاب إن شاء الله عـز وجل .

---

(١) سبق أن ذكر ابن عبدالبر عائشة رضي الله عنها، وفي ذكر المؤلف رحمه الله لها هنا تكرار . انظر (ص١٧٥) .

(٢) هو : عبدالله بن الزبير بن العوام ، القرشي الأسدي ، أبوبكر، وأبوخُبيب ـ المعجمة مصغراً ـ كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين ، وولي الخلافة تسع سنين ، قتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤١٥)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢١٣-٢١٥)، وأسد الغابة (٣/ ١٣٨-١٤١) .

(٣) في ع : أبي، والصواب ما أثبتُه .

(٤) هو : صُدَيّ ـ بالتصغير ـ ابن عجلان، أبوأمامة الباهلي، صحابي مشهور، سكن الشام، ومات بها سنة ست وثمانين. تقريب التهذيب (١/ ٣٦٦)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٠) .

(٥) في ع : أبي، والصواب ما أثبته .

(٦) هو : عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو بن جحش الليثي، أبوالطفيل، وربما سمي عمراً، ولد عام أُحُد، ورأى النبي ﷺ، وروى عن أبي بكر فمن بعده وعمر إلى أن مات سنة عشر ومائة على الصحيح، وهو آخر من مات من الصحابة، قاله مسلم وغيره . تقريب التهذيب (١/ ٣٨٩)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٨٢)، وأسد الغابة (٣/ ٤١) و(٥/ ١٧٩-١٨١).

(٧) هو : عبدالرحمن بن عوف بن عبدعوف، القرشي الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم قديماً، ومناقبه شهيرة، مات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٩٤)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٤٤-٢٤٦)، وأسد الغابة (٣/ ٣٧٦-٣٨١) .

(٨) الموقوف هو : المروي عن الصحابة قولاً لهم أو فعلاً أو نحوه، متصلاً كان أو منقطعاً، ويستعمل في غيرهم مقيداً، فيقال : وقفه فلان على الزهري ونحوه، وعند فقهاء خراسان تسمية الموقوف بالأثر، والمرفوع بالخبر . تدريب الراوي للسيوطي (١/ ١٨٤) .

(٩) في ت، د، س : جميعاً .

وقال إسحاق بن راهوية[١] : أخبرنا بقية بن الوليد[٢] قال : أخبرني الزبيدي[٣] - محمد بن الوليد[٤] - عن راشد بن سعد[٥]، عن عبدالرحمن[٦]

---

(١) هو : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبومحمد بن راهوية المروزي، ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد بن حنبل، ذكر أبوداود أنه تغير قبل موته بيسير، مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين وله اثنتان وسبعون . تقريب التهذيب (١/ ٥٤)، وتهذيب التهذيب (١/ ٢١٦-٢١٩)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨) .

(٢) هو : بقية بن الوليد بن صائد بن كعب الكُلاعي، أبويُحْمِد ـ بضم التحتانية وسكون المهملة وكسر الميم ـ صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، من الطبقة الثامنة، مات سنة سبع وتسعين ومائة وله سبع وثمانون . تقريب التهذيب (١/ ١٠٥) وانظر تهذيب الكمال (٤/ ١٩٢) تحقيق د. بشار معروف، ط الأولى، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٥١٨)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٣١) لشمس الدين الذهبي تحقيق علي البجاوي، نشر دار المعرفة، بيروت .

(٣) في ت : الزبيدي بن محمد، ولعلّه سهو من الناسخ، والصواب ما أثبته .

(٤) هو : محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي ــ بالزاي والموحدة مصغراً ــ أبوالهذيل الحمصي القاضي، ثقة ثبت، من كبار أصحاب الزهري، من الطبقة السابعة، مات سنة ست أو سبع أو تسع وأربعين ومائة . تقريب التهذيب (٢/ ٢١٥)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٥٠٢)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٨١) .

(٥) هو : راشد بن سعد المقرائي ـ بفتح الميم وسكون القاف وفتح الراء بعدها همزة ثم ياء النسب ـ الحمصي، ثقة كثير الإرسال، من الطبقة الثالثة، مات سنة ثمان ومائة، وقيل: ثلاث عشرة ومائة، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له الأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٢٤٠)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٠) .

(٦) عبدالرحمن بن قتادة، صحابي نزل الشام، روى حديثه راشد بن سعد . التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٣٤١) نشر المكتبة الإسلامية ــ بتركيا، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر (٢/ ٨٥١)، تحقيق : علي البجاوي، نشر مكتبة نهضة مصر بالقاهرة، وأسد الغابة لابن الأثير الجزري (٣/ ٣٨٥)، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي (ص٣٥٤) =

[ابن[١] قتادة]، عن أبيه[٢]، عن هشام بن حكيم بن حزام[٣] أن رجلاً قال : يا رسول الله، أنبتدئ الأعمال أم قد [قضي][٤] القضاء ؟ فقال : « إن الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه، فقال : هؤلاء للجنة [ولا أبالي][٥]، وهؤلاء للنار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار »[٦] .

= تصحيح صالحة شرف الدين، نشر شرف الدين الكتبي بالهند .

(١) في جميع النسخ الخطية المطبوعة : ابن أبي قتادة، وما أثبت من كتب تخريج الحديث .

(٢) قال البخاري : قتادة النصري، سمع هشام بن حكيم، روى عنه ابنه عبدالرحمن، يعد في الشاميين . التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ١٨٥) .

(٣) سبقت ترجمته قريباً ص١٧٦ .

(٤) في م، د، س : مضى .

(٥) ساقطة من م، ع، د، س .

(٦) رواه الفريابي في القدر (ص١٣٣-١٣٤)، ومن طريقه الآجري في الشريعة (ص١٧٢)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص٧٩). والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤١٢)، والبزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٧)، ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٤)، وقال الألباني : حديث صحيح، رجاله كلهم ثقات، وقد صرَّح فيه بقية بالتحديث. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨٦) وقال : رواه البزار والطبراني وفيه بقية بن الوليد وهو ضعيف ويحسن حديثه بكثرة الشواهد، وإسناد الطبراني حسن، ونسبه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية لإسحاق بن راهوية ـ وهو المذكور في السند ـ وقال : حديث غريب . انظر المطالب العالية (٣/ ٨٢) تحقيق : الشيخ حبيب الأعظمي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٤) وزاد نسبته إلى ابن مردويه، وروى هذا الحديث من طرق أخرى: الإمام أحمد (٤/ ١٨٦) وقال الهيثمي : ورجاله ثقات . مجمع الزوائد (٧/ ١٨٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١)، وقال : هذا حديث صحيح، قد اتفقا على الاحتجاج برواته عن آخره إلى الصحابة، وعبدالرحمن بن قتادة من بني سلمة من الصحابة ، ووافقه الذهبي. =

قال إسحاق : وأخبرنا عبدالصمد[١]، حدثنا حماد[٢]، حدثنا الجُريري[٣]، عن أبي [نضرة[٤]][٥] أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له : أبوعبدالله[٦] دخل عليه أصحابه يعودونه وهو / يبكي، فقالوا لـه : ما يبكيك؟ قال : سمعت رسول ١١ب الله ﷺ يقول : « **إن الله قبض قبضة بيمينه، وأخرى بيده الأخرى، قال : هذه لهذه،**

= واللالكائي في السنة (٤/ ٦٠٦)، وابن الأثير الجزري في أسد الغابة (٣/ ٣٨٥)، وقد ذكر بعض العلماء أن هذا الحديث مضطرب الإسناد، حيث إنه يروى بواسطة بين عبدالرحمن ابن قتادة والرسول ﷺ وأحياناً بواسطتين، وأحياناً دون واسطة، وقد حقق هذا الاضطراب وفصَّل القول فيه الشيخ محمود شاكر، ثم قال : وقد أطلتُ في بيان هذا الاضطراب لأضبطه بعض الضبط، وبعد ذلك كله فمعنى الحديث صحيح، ومروي عن جماعة من الصحابة بأسانيد ليس فيها هذا الاضطراب، انظر تعليق الشيخ محمود شاكر على تفسير ابن جرير الطبري (١٣/ ٢٤٥-٢٤٨)، وانظر أيضاً تعجيل المنفعة لابن حجر (ص٢٥٦)، نشر دار الكتاب العربي - بيروت .

(١) هو : عبدالصمد بن عبدالوارث بن سعيد، العنبري مولاهم، التنوري، بفتح المثناة وتثقيل النون المضمومة، أبوسهل البصري، صدوق، ثبت في شعبة، من التاسعة، مات سنة سبع ومائتين، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٥٠٧)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٣٢٧-٣٢٨) .

(٢) هو : حماد بن سلمة بن دينار البصري، أبوسلمة، ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بأخرة، من كبار الثامنة، مات سنة سبع وستين ومائة، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (١/ ١٩٧)، وتهذيب التهذيب (٣/ ١١-١٦) .

(٣) هو : سعيد بن إياس الجُريري، بضم الجيم، أبومسعود البصري، ثقة من الخامسة، اختلط قبل موته بثلاث سنين، مات سنة أربع وأربعين ومائة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٩١)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٥-٧) .

(٤) في م، ت، د، س : نصرة .

(٥) هو : المنذر بن مالك، ثقة، سبقت ترجمته في ص(١٧٧) .

(٦) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٥/ ١٩٥)، فقال : أبوعبدالله له صحبة، روى عنه أبوقلابة الجرمي، وأبونضرة .

وهذه لهذه ولا أبالي »، [فلا][١] أدري في أي القبضتين أنا[٢].

أخبرنا[٣] عمرو بن محمد[٤] [حدثنا][٥] إسماعيل بن رافع[٦]، عن المقبري[٧]، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « إن الله تعالى خلق آدم من تراب، ثم جعله طيناً، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً[٨] كالفخار كان إبليس يمر به فيقول: خُلقتَ لأمرٍ عظيم، ثم نفخ الله فيه من روحه، قال: يا رب ما ذريتي؟ قال: اختر يا آدم، قال: [أختار][٩] يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين، فبسط الله كفّه فإذا كل من هو كائن من ذريته في كف الرحمن »[١٠].

---

(١) في ع: ولا.

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ٦٨) وقال الألباني: إسناده صحيح. انظر: الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨٥-١٨٦) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر كما في الإصابة (٤/ ١٢٦).

(٣) القائل: أخبرنا، هو إسحاق بن راهوية، كما أشار إلى ذلك المؤلف آنفاً.

(٤) هو: عمرو بن محمد العنقزي ـ بفتح المهملة والقاف بينهما نون ساكنة وبالزاي ـ أبوسعيد الكوفي، ثقة من التاسعة، مات سنة تسع وتسعين ومائة، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٧٨)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٩٨-٩٩).

(٥) في د، س: ابن. وهو خطأ.

(٦) هو: إسماعيل بن رافع بن عويمر الأنصاري المدني، نزيل البصرة، يكنى أبا رافع، ضعيف الحفظ، من السابعة، مات في حدود الخمسين ومائة، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له الترمذي وابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ٦٩)، وتهذيب التهذيب (١/ ٢٩٤-٢٩٦).

(٧) هو: كيسان بن سعيد المقبري المدني، مولى أم شريك، ويقال: هو الذي يقال له صاحب العباس، ثقة ثبت، من الثانية، مات سنة مائة، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ١٣٧)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٣-٤٥٤).

(٨) الصلصال: الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرك ونقر، كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طبخ من الطين بالنار، تفسير ابن جرير (٢٧/ ١٢٤).

(٩) في د، س: اختر.

(١٠) رواه أبويعلى في مسنده (١١/ ٤٥٣-٤٥٥) وقال الهيثمي: رواه أبويعلى، وفيه إسماعيل=

أخبرنا النضر[١] أخبرنا أبومعشر[٢] عن أبي سعيد المقبري[٣] ونافع[٤] مولى الزبير[٥] عن أبي هريرة، قال: **لما أراد الله أن يخلق آدم، فذكر خلق آدم، فقال له:**

= ابن رافع، قال البخاري: ثقة مقارب الحديث، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (٨/ ١٩٧)، ورواه الترمذي (١٢/ ٢٦٢-٢٦٣) في آخر أبواب التفسير، من طريق صفوان بن عيسى، حدثنا الحارث بن عبدالرحمن بن أبي ذباب عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من رواية زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة ص(٢٣٧-٢٣٨) تحقيق: د. فاروق حماده، ط. الثانية ١٤٠٦هـ نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت. وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٤٠-٤٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في الأسماء والصفات ص(٤١٠-٤١١)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩١) وقال الألباني: إسناده حسن. وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١١٨) وزاد نسبته لابن مردويه.

(١) هو: النضر بن شميل، المازني، أبوالحسن النحوي، نزيل مرو، ثقة ثبت، من كبار التاسعة، مات سنة أربع ومائتين، وله اثنتان وثمانون سنة، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٠١)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٣٧).

(٢) هو: نجيح بن عبدالرحمن السندي ــ بكسر المهملة وسكون النون ــ المدني، أبومعشر، وهو مولى بني هاشم، مشهور بكنيته، ضعيف من السادسة، أسنّ واختلط، مات سنة سبعين ومائة، ويقال: كان اسمه عبدالرحمن بن الوليد بن هلال، روى له الأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٩٨)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤١٩).

(٣) هو كيسان بن سعيد المقبري، ثقة ثبت، سبقت ترجمته في الصفحة السابقة.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل (٤/ ٤٥٤) فقال: نافع مولى الزبير، روى عن أبي هريرة، وروى عنه أبومعشر ومصعب بن ثابت، سمعت أبي يقول ذلك.

(٥) هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب أبوعبدالله القرشي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٥٩)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣١٨)، =

يا آدم، أي يدي أحب إليك أن أريك ذريتك فيها ؟ قال : يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين، فبسط يمينه، وإذا فيها ذريّته كلهم ما هو خالق إلى يوم القيامة، الصحيح على هيئته، والمبتلى على هيئته، والأنبياء على هيئاتهم، فقال : ألا أعفيتهم كلهم. فقال : إني أحببتُ أن أُشكر. وذكر الحديث .

وقال محمد بن نصر المروزي[1] : حدثنا محمد بن يحيى[2]، حدثنا سعيد بن أبي مريم[3]، أنبأنا الليث[4] بن [سعد][5] حدثني ابن عجلان[6]، عن سعيد بن

= وأسد الغابة (٢/ ٩٧-١٠٠) .

(١) هو : محمد بن نصر المروزي، الفقيه، أبوعبدالله، ثقة حافظ، إمام في الفقه والحديث، من كبار الثانية عشرة، مات سنة أربع وتسعين ومائتين، ذكره ابن حجر للتمييز، له كتب منها : القسامة، والمسند، وغيرهما . تقريب التهذيب (٢/ ٢١٣)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣) .

(٢) هو : محمد بن يحيى بن عبدالله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي، النيسابوري، ثقة حافظ جليل، من الحادية عشرة، مات سنة ثمان وخمسين ومائتين على الصحيح وله ست وثمانون سنة. روى له البخاري والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٢١٧)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٥١١-٥١٦) .

(٣) هو : سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم بن أبي مريم الجمحي بالولاء، أبومحمد المصري، ثقة ثبت فقيه، من كبار العاشرة، مات سنة أربع وعشرين ومائتين وله ثمانون سنة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٢٩٣)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١٧-١٨) .

(٤) الليث بن سعد الفهمي، ثقة ثبت إمام مشهور، وقد سبقت ترجمته في ص (١٦٤) .

(٥) في ت : سعيد .

(٦) هو : محمد بن عجلان المدني، صدوق، إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة؛ حيث كان سعيد المقبري يحدث عن أبي هريرة وعن أبيه عن أبي هريرة، فاختلطت على محمد ابن عجلان، فجعلها كلها عن أبي هريرة، قال ابن حبان: وليس هذا مما يوهي الإنسان به؛ لأن الصحيفة كلها في نفسها صحيحة، من الطبقة الخامسة. مات سنة ثمان وأربعين ومائة. روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ١٩٠)، =

أبي سعيد[١] المقبري، عن أبيه[٢]، عن عبدالله بن سَلاَم[٣] قال: خلق الله آدم ثم قال بيده فقبضها، فقال : اختر يا آدم، فقال : اخترتُ يمين ربي وكلتا يديك يمين، فبسطها، فإذا فيها ذريته، فقال : من هؤلاء يا رب؟ قال : من قضيت أن أخلق من ذريتك من أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة[٤] .

قال[٥] : وحدثنا إسحاق [بن راهوية][٦] [حدثنا][٧] جعفر[٨] بن [عون][٩]

= وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٤١-٣٤٢)، والثقات لابن حبان (٧/ ٣٨٧) الطبعة الأولى ١٤٠١هـ نشر دائرة المعارف العثمانية بالهند .

(١) هو : سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري، أبوسعد المدني، ثقة من الثالثة، تغير قبل موته بأربع سنين، وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة، مات في حدود العشرين ومائة، وقيل قبلها، وقيل بعدها، روى له الستة، تقريب التهذيب (١/ ٢٩٧)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٣٨).

(٢) هو كيسان بن سعيد المقبري، ثقة ثبت، وقد سبقت ترجمته في ص (١٨٢) .

(٣) سبقت ترجمته في ص(١٧٧) .

(٤) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ص(٢٣٨)، والفريابي في القدر ص(١١٧) . وعنه الآجري في الشريعة ص٣٢٢ . وذكره المزي في تحفة الأشراف (٤/ ٣٥٤-٣٥٥) ولم ينسبه إلى النسائي في عمل اليوم والليلة . وهو موقوف .

(٥) القائل هو : محمد بن نصر المروزي .

(٦) إضافة من م . وإسحاق بن راهوية سبقت ترجمته في ص (١٧٩) .

(٧) في د، س : أنبأنا . وقال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣٩١) : ابن راهويه لا يقول إلا أخبرنا. وانظر أيضاً : المغني في ضبط أسماء الرجال لمحمد طاهر الهندي ص(٣٤٢)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ .

(٨) هو : جعفر بن عون بن عمرو بن حريث المخزومي، صدوق من التاسعة، مات سنة ست، وقيل: سبع ومائتين، ومولده سنة عشرين ومائة، وقيل: سنة ثلاثين ومائة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ١٣١)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٠١)، وانظر سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٣٩) .

(٩) في ت : عوف .

١١٢أ [أخبرنا][(١)] هشام بن [سعد][(٢)] عن زيد بن [أسلم][(٣)] عن أبي هريرة عن النبي/ ﷺ قال : « لما خلق الله آدمَ مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة »، وذكر الحديث [(٤)] .

وقال [إسحاق : حدثنا الملائي[(٥)]][(٦)] حدثنا المسعودي[(٧)]، عن علي بن [بذيمة[(٨)]][(٩)] عن [سعيد[(١٠)]][(١١)] عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ

---

(١) في د، س : حدثنا .

(٢) في ت : سعيد . وسبقت ترجمة هشام بن سعد في ص (١٦٨) .

(٣) في د : سالم .

(٤) سبق ذكر الحديث وتخريجه في ص (١٦٨) .

(٥) في د، س : وقال إسحاق بن (ملاي) .

(٦) هو : الفضل بن دُكين، الكوفي، واسم دُكَيْن : عمرو بن حماد بن زهير التيمي، مولاهم، الأحول، أبونعيم الـملاَئي، بضم الميم، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، من الطبقة التاسعة، مات سنة ثمان عشرة، وقيل: تسع عشرة ومائتين، وكان مولده سنة ثلاثين ومائة، وهو من كبار شيوخ البخاري، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ١١٠)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٧٠-٢٧٦) .

(٧) هو : عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الكوفي، المسعودي، صدوق، اختلط قبل موته، وضابطه : أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط، من الطبقة السابعة، مات سنة ستين وقيل: سنة خمس وستين ومائة. تقريب التهذيب (١/ ٤٨٧)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢١٠-٢١٢) .

(٨) في ع، د، س : نديمه، والصواب ما أثبته .

(٩) هو : علي بن بذيمة ــ بفتح الموحدة وكسر المعجمة الخفيفة بعدها تحتانية ساكنة ــ الجزري، ثقة رُمي بالتشيع، من الطبقة السادسة، مات سنة بضع وثلاثين ومائة، روى له الأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٢)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٨٥-٢٨٦)، وميزان الاعتدال (٣/ ١١٥) .

(١٠) في م : سعد .

(١١) هو: سعيد بن جبير الأسدي، مولاهم، الكوفي، ثقة ثبت فقيه، من الطبقة الثالثة، قتل =

مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذرياتهم[1]﴾[2] قال : إن الله أخذ على آدم ميثاقه أنه ربه، وكتب أجله ورزقه[3] ومصيباته، ثم أخرج من ظهره ولده كهيئة الذر، فأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم، وكتب أجلهم ورزقهم[4] ومصيباتهم[5].

قال[6] : وحدثنا وكيع[7]، حدثنا الأعمش[8] عن حبيب[9] بن أبي ثابت عن ابن عباس قال : مسح الله ظهر آدم، فأخرج كل طيب في يمينه، وفي يده

= بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين. تقريب التهذيب (١/ ٢٩٢)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١١-١٤) .

(١) في ع : ذريتهم بالتوحيد، وقد سبق بيان أن ذلك في قراءتين . انظر ص (١٦٦) .

(٢) سورة الأعراف، آية : ١٧٢ .

(٣) في ع، د، س : وكتب رزقه وأجله .

(٤) في ع، د، س : وكتب رزقهم وأجلهم .

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٢) وأشار إليه ابن منده في كتاب الرد على الجهمية ص٥٨. ورواه البيهقي في كتاب القدر (٤٦-٤٧) . والدارمي في الرد على الجهمية ص٧٨. وذكر السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٩٨) ونسبه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ .

(٦) القائل هو إسحاق بن راهوية .

(٧) هو : وكيع بن الجراح بن مليح الرُّؤاسي ـ بضم الراء وهمزة ثم مهملة ـ أبوسفيان الكوفي، ثقة حافظ عابد، من كبار التاسعة، مات في آخر سنة ست أو أول سنة سبع وتسعين ومائة، وله سبعون سنة. روى له الستة . تقريب التقريب (٢/ ٣٣١)، وتهذيب التهذيب (١١/ ١٢٣) .

(٨) هو سليمان بن مهران الأسدي، ثقة حافظ، ولكنه يدلِّس . سبقت ترجمته في ص(١٤١).

(٩) هو : حبيب بن أبي ثابت، قيس، ويُقال : هند بن دينار الأسدي، مولاهم، أبويحيى الكوفي، ثقة فقيه، جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس، من الثالثة، مات سنة تسع عشرة ومائة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ١٤٨)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٧٨-١٨٠).

الأخرى كل خبيث[(١)] .

وقال محمد بن نصر[(٢)] : حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني[(٣)]، حدثنا حجاج[(٤)] عن ابن جريج[(٥)]، عن الزبير بن موسى[(٦)]، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: « **إن الله ضرب منكبه الأيمن، فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية، فقال: هؤلاء أهل [الجنة][(٧)]، ثم ضرب منكبه الأيسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء، فقال : هؤلاء أهل النار، ثم أخذ عهده على الإيمان والمعرفة (له)[(٨)] والتصديق له وبأمره**

---

(١) أشار إليه ابن منده في الرد على الجهمية ص(٥٨) . وذكره السيوطي في الدر المنثور من رواية أبي سعيد الخدري (٣/ ٦٠٦)، ونسبة إلى البزار والطبراني والآجري وابن مردويه .

(٢) محمد بن نصر المروزي : ثقة . سبقت ترجمته في ص (١٨٤) .

(٣) هو : الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، أبوعلي البغدادي، صاحب الشافعي، وقد شاركه في الطبقة الثانية من شيوخه . ثقة من العاشرة . مات سنة ستين ومائتين، أو قبلها بسنة . روى له البخاري والأربعة . تقريب التهذيب (١/ ١٧٠)، وتهذيب الكمال (٦/ ٣١٠-٣١٣) وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٢) .

(٤) هو : حجاج بن محمد المصيصي الأعور، أبومحمد، الترمذي الأصل، نزل بغداد ثم المصيصة، ثقة ثبت، لكنه اختلط في آخر عمره لما قدم بغداد قبل موته، من التاسعة، مات ببغداد سنة ست ومائتين ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ١٥٤) ، وتهذيب الكمال (٥/ ٤٥١-٤٥٦)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٧) .

(٥) هو : عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، الأموي، مولاهم، المكي، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل، من السادسة. مات سنة خمسين ومائة، أو بعدها، وقد جاوز السبعين ، وقيل: جاوز المائة ولم يثبت، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٥٢٠)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٠٢-٤٠٦) .

(٦) هو : الزبير بن موسى بن ميناء المكي، مقبول، من الطبقة الرابعة، روى له أبوداود . تقريب التهذيب (١/ ٢٥٩)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٢٠) .

(٧) في : م : للجنة .

(٨) في : د، س : به .

من بني آدم كلهم، وأشهدهم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا، وعرفوا، وأقرُّوا »[١] .

(حدثنا)[٢] إسحاق، حدثنا روح بن عبادة[٣] (حدثنا)[٤] محمد بن عبدالملك[٥] عن أبيه[٦] عن الزبير بن موسى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس بهذا الحديث، وزاد: قال ابن جريج : « وبلغني أنه أخرجهم على كفه أمثال الخردل»[٧].

قال إسحاق : وأخبرنا جرير[٨] عن منصور[٩]

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٤-١١٥)، وابن منده في « كتاب الرد على الجهمية ص(٦٤-٦٥) والفريابي في «القدر» ص(١٦٧)، والآجري في «الشريعة» ص(٢١٢)، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٦٠٥)، ونسبه إلى ابن جرير وأبي الشيخ .

(٢) في ع : أخبرنا .

(٣) هو : روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي، أبومحمد البصري، ثقة فاضل، له تصانيف، من التاسعة، مات سنة خمس أو سبع ومائتين . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٢٥٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٩٣-٢٩٦) .

(٤) في : د، س : بن عبادة بن محمد، وفي : ع : أخبرنا .

(٥) هو : محمد بن عبدالملك بن جريج، المكي، مقبول من الثامنة، ذكره ابن حبان في الثقات، روى له ابن ماجه في التفسير . تقريب التهذيب (٢/ ١٨٦)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣١٧)، والثقات لابن حبان (٩/ ٥٦) .

(٦) سبقت ترجمته في الصفحة السابقة .

(٧) روى الحديث بهذه الزيادة ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٥)، وابن منده في كتاب «الرد على الجهمية » ص(٦٤-٦٥) .

(٨) هو : جرير بن عبدالحميد بن قُرْط ـ بضم القاف وسكون الراء بعدها طاء مهملة ـ الضبي الكوفي، نزيل الريّ وقاضيها، ثقة صحيح الكتاب، مات سنة ثمان وثمانين ومائة، وله إحدى وسبعون سنة . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ١٢٧)، تهذيب التهذيب (٢/ ٧٥-٧٧) .

(٩) هو : منصور بن المعتمر بن عبدالله السلمي، أبوعتَّاب، بمثلثة ثقيلة ثم موحدة، الكوفي، ثقة ثبت، وكان لا يدلس، من طبقة الأعمش، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٧)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣١٢-٣١٥) .

عن مجاهد[١] عن عبدالله بن عمرو في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[٢] قال : **«أخذهم كما يُؤخذ بالمشط»**[٣] .

وفي تفسير[٤] أسباط[٥] عن السدي[٦] عن أصحابه (أبي)[٧] مالك[٨]

---

(١) هو : مجاهد بن جَبْر ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ـ أبوالحجاج، المخزومي مولاهم، المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع، ومائة، وله ثلاث وثمانون، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٢٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢-٤٤) .

(٢) سورة الأعراف، آية :١٧٢ .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١١٣)، وابن منده في كتاب الرد على الجهمية ص٦٣-٦٤، واللالكائي في السنة (٤/ ٥٦٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٦٠١) .

(٤) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (١/ ٣١٥) : وأسباط بن نصر مشهور بالرواية عن السدي، قد أخرج الطبري، وابن أبي حاتم، وغيرهما، في تفاسيرهم تفسير السدي مفرقاً في السور من طريق أسباط بن نصر عنه .

(٥) هو : أسباط بن نصر الهمْدَاني ـ بسكون الميم ـ أبويوسف، ويقال : أبونصر، صدوق كثير الخطأ، يغرب، من الطبقة الثامنة. روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (١/ ٥٣)، وتهذيب التهذيب (١/ ٢١١-٢١٢) .

(٦) هو : إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السُدِّي ـ بضم المهملة وتشديد الدال ـ أبومحمد الكوفي، صدوق يهم، ورمي بالتشيع، من الرابعة، مات سنة سبع وعشرين ومائة، روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (١/ ٧١-٧٢)، تهذيب التهذيب (١/ ٣١٣-٣١٤) . وانظر : سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٤)، تهذيب الكمال (٣/ ١٣٢-١٣٨).

(٧) في ت : أن .

(٨) هو : غزوان الغفاري، أبومالك الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة، من الطبقة الثالثة، روى عن عمار ابن ياسر وابن عباس والبراء بن عازب وغيرهم، وروى عنه سلمة بن كهيل وإسماعيل السدي وغيرهما، ذكره ابن حبان في الثقات، روى له البخاري تعليقاً، وروى له أبوداود والنسائي والترمذي . تقريب التهذيب (٢/ ١٠٥)، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٤٥-٢٤٦) .

(وأبي)[١] صالح[٢] عن ابن عباس .

وعن مرة الهمْداني[٣] عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب / النبي ﷺ ١٢ب في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾[٤] الآية قال : « لما أخرج اللهُ آدمَ من الجنة قبل أن (يهبطه)[٥] من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى، فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ (و)[٦] كهيئة الذر فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح (صفحة)[٧] ظهره اليسرى فأخرج (منه)[٥] ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال : ادخلوا النار ولا أبالي، فذلك حين يقول : أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، ثم أخذ منهم الميثاق، فقال : ألستُ بربكم ؟ (قالوا)[٨] : بلى . فأعطاه طائفة طائعين، وطائفة كارهين على وجه التقيه، فقال (هو)[٩] والملائكة : ﴿ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾[١٠] الآية . فلذلك ليس لأحد من ولد آدم إلا وهو

---

(١) في م : وابن .

(٢) هو : باذام ـ بالذال المعجمة ـ ويقال : آخره نون، أبوصالح، مولى أم هانئ، ضعيف مدلس، من الثالثة . روى له الأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٩٣)، تهذيب التهذيب (١/ ٤١٦-٤١٧) .

(٣) هو : مرة بن شراحيل الهمْداني ـ بسكون الميم ـ أبوإسماعيل الكوفي، هو الذي يقال له : مرة الطيب، ثقة عابد، من الثانية، مات سنة ست وسبعين، وقيل بعد ذلك. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٣٨)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٨٨-٨٩) .

(٤) سورة الأعراف، آية :١٧٢ .

(٥) في د، س : يهبط .

(٦) الواو ساقطة من د، س .

(٧) ساقطة من م .

(٨) في ع : فقالوا .

(٩) ساقطة من م .

(١٠) سورة الأعراف، الآية ١٧٢ .

يعرف أن (ربه الله)[١]، ولا مشرك إلا هو يقول: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[٢] فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ (*) مِن ظُهُورِهِمْ (ذرياتهم) ﴾[٣] وذلك حين يقول: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾[٤]، ذلك حين يقول: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٥] قال: يعني يوم أخذ الميثاق»[٦].

وقال إسحاق: (حدثنا) وكيع[٧]، حدثنا (فطر[٨])[٩] عن ابن (سابط[١٠])[١١]

---

(١) في ع، س، د: إن الله ربه.

(٢) كما حكاه الله عنه في سورة الزخرف، الآية ٢٣.

(*) من هنا بداية سقط آخر من نسخة ع.

(٣) في ع، د، س: ذريتهم. وقد سبق في ص (١٦٦) بيان أن الجمع و الإفراد قراءتان.

(٤) سورة آل عمران آية ٨٣.

(٥) سورة الأنعام آية ١٤٩.

(٦) رواه ابن عبدالبر في التمهيد (١٨/ ٨٥-٨٦). ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٦) من قول السدي مختصراً. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٩٩) ولم ينسبه إلا إلى ابن عبدالبر في التمهيد.

(٧) هو: وكيع بن الجراح، ثقة، سبقت ترجمته في ص(١٧٨).

(٨) في د، س: مضر.

(٩) هو: فطر بن خليفة المخزومي، مولاهم، أبوبكر الحناط ـ بالمهملة والنون ـ صدوق، رُمي بالتشيع، من الخامسة. مات بعد سنة خمسين ومائة. روى له: البخاري والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ١٤٤)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٠٠-٣٠٢).

(١٠) في د، س: سليط.

(١١) هو: عبدالرحمن بن سابط، ويقال: ابن عبدالله بن سابط، وهو صحيح، ويقال: ابن عبدالله بن عبدالرحمن الجمحي المكي، ثقة كثير الإرسال، من الثالثة، مات سنة ثمان عشرة =

قال: قال أبوبكر ﷺ : خلق الله الخلق قبضتين، فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى : ادخلوا النار ولا أبالي[(١)] .

وأخبرنا جرير[(٢)] عن الأعمش[(٣)] عن أبي ظبيان[(٤)] عن رجل من الأنصار من أصحاب محمد ﷺ قال : لما خلق الله الخلق قبض قبضتين بيده، فقال لمن في يمينه: أنتم أصحاب اليمين، وقال لمن في اليد الأخرى : أنتم أصحاب الشمال، فذهبت إلى يوم القيامة[(٥)] .

وقال عبدالله بن وهب في كتاب القدر : أخبرني جرير بن حازم[(٦)]، عن

= ومائة، روى له : مسلم وأبوداود والترمذي وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٤٨٠)، تهذيب التهذيب (٦/ ١٨٠) .

(١) رواه عبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١٢٣)، ورواه الفريابي في القدر (ص١٣) بنحوه، وعنه الآجري في الشريعة (ص٢٠٠) . وسند هذا الأثر منقطع؛ فابن سابط رواه عن أبي بكر ﷺ، وهو لم يدركه . انظر تهذيب التهذيب (٦/ ١٨٠) .

(٢) هو : جرير بن عبدالحميد بن قرط، صحيح الكتاب، سبقت ترجمته في ص (١٨٩) .

(٣) الأعمش، هو : سليمان بن مهران، سبقت ترجمته في ص(١٤١) .

(٤) هو : حصين بن جندب بن الحارث الجنبي ـ بفتح الجيم وسكون النون ثم موحدة ـ، أبوظبيان ـ بفتح المعجمة وسكون الموحدة ـ الكوفي، ثقة من الثانية، مات سنة تسعين، وقيل غير ذلك. روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ١٨٢)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٧٩) .

(٥) رواه إسحاق بن راهويه كما أشار إلى ذلك المؤلف .

(٦) هو : جرير بن حازم بن زيد بن عبدالله الأزدي أبوالنضر البصري، والد وهب، ثقة، لكن في حديثه عن قتادة ضعف، وله أوهام إذا حدث من حفظه . وهو من السادسة، مات سنة سبعين ومائة بعدما اختلط، لكنه لم يحدث في حال اختلاطه، روى له الستة، تقريب التهذيب (١/ ١٢٧)، تهذيب التهذيب (٢/ ٦٩) .

١٣ب أيوب[١] (السختياني)[٢] عن أبي قلابة[٣] قال: إن الله عز وجل / لما خلق آدم أخرج ذريته، ثم(نثرهم)[٤] في كفه، ثم أفاضهم، فألقى التي في يمينه عن يمينه، والتي في يده الأخرى عن شماله، ثم قال: هؤلاء لهذه ولا أبالي، وهؤلاء لهذه ولا أبالي، وكتب أهل النار وما هم عاملون، وأهل الجنة وما هم عاملون (وطوى)[٥] الكتاب ورفع القلم[٦].

وقال أبوداود[٧]: حدثنا مسدَّد[٨]، حدثنا حماد بن

---

(١) هو: أيوب بن أبي تميمة، كيسان السختياني: بفتح المهملة بعدها معجمة ثم مثناة ثم تحتانية وبعد الألف نون، أبوبكر البصري، ثقة ثبت حجة، من كبار الفقهاء العبّاد، من الخامسة، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وله خمس وستون روى له الستة، تقريب التهذيب (١/ ٨٩)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٩٧-٣٩٩)، تهذيب الكمال (١/ ٤٥٧-٤٦٣)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥).

(٢) في د: السجستاني.

(٣) هو: عبدالله بن زيد بن عمرو، أو عامر، الجرمي، أبوقلابة البصري، ثقة فاضل، كثير الإرسال، قال العجلي: فيه نصب يسير، من الثالثة، مات بالشام هارباً من القضاء سنة أربع ومائة، وقيل بعدها، روى له الستة، تقريب التهذيب (١/ ٤١٧)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٢٤-٢٢٦)، وانظر الثقات للعجلي ص٢٥٧ حيث قال عن أبي قلابة هذا: تابعي ثقة، وكان يحمل على علي ﷺ.

(٤) في د، س: نشرهم.

(٥) في م، د، س: فطوى، وما أثبتُ من ت، ومن كتاب القدر لابن وهب.

(٦) انظر: كتاب القدر لابن وهب ص٨١.

(٧) هو: سليمان بن الأشعث صاحب السنن. سبقت ترجمته في ص (١٣٩).

(٨) هو: مسدَّد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد الأسدي، البصري، أبوالحسن، ثقة حافظ، يقال: إنه أول من صنف المسند بالبصرة، من العاشرة، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين، ويقال اسمه: عبدالملك بن عبدالعزيز، ومسدد لقبه. روى له: البخاري وأبوداود والترمذي والنسائي، تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٢)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٠٧-١٠٩)،=

زيد[١]، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي صالح فذكره[٢].

قال ابن وهب: وأخبرني عمرو بن الحارث[٣]، وحيوة[٤] بن (شريح)[٥]، عن ابن أبي أسيد[٦] - هكذا قال عن (أبي)[٧] فراس[٨] (أنه)[٩] حدثه أنه سمع عبدالله

= وتاريخ الثقات للعجلي (ص٤٢٥)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩١).

(١) هو: حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبوإسماعيل البصري، ثقة ثبت فقيه، قال يحيى بن معين: ليس أحد أثبت في أيوب منه. قيل: أنه كان ضريراً، ولعله طرأ عليه؛ لأنه صحَّ أنه كان يكتب، من كبار الثامنة، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وله إحدى وثمانون سنة. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ١٩٧)، تهذيب التهذيب (٣/ ٩-١١).

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣/ ٨٤) ونسبه إلى مسدد ونقل الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي قول البوصيري بأن رجاله ثقات.

(٣) هو عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم، المصري، أبو أيوب، ثقة فقيه، حافظ، من السابعة، مات قديماً قبل الخمسين ومائة. روى له الستة، تقريب التهذيب (٢/ ٦٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٤-١٦).

(٤) هو: حَيْوة - بفتح أوله وسكون التحتانية وفتح الواو - ابن شريح بن صفوان التجيبي أبوزرعة المصري، ثقة ثبت فقيه زاهد، من السابعة، مات سنة ثمان، وقيل: تسع وخمسين ومائة. روى له الستة، تقريب التهذيب (١/ ٢٠٨)، تهذيب التهذيب (٣/ ٦٩).

(٥) في ت: سريح، وفي م، د، س: سريح، وما أثبت من كتاب القدر لابن وهب.

(٦) هو: يحيى بن أبي أسيد، سمع أبا فراس وعنه عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح، يعد في المصريين، وثّقه ابنُ حبان، التاريخ الكبير (٨/ ٢١٦)، والثقات لابن حبان (٩/ ٢٥١).

(٧) في ت: ابن.

(٨) هو: يزيد بن رباح - بموحدة، السهمي، أبوفراس - بكسر الفاء - المصري، ثقة من الثالثة، ولم يصح أنه شهد فتح مصر الأول، روى له مسلم وابن ماجه. تقريب التهذيب (٢/ ٣٦٤)، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٢٤).

(٩) ساقطة من: م، ع، د، س.

ابن عمرو يقول : إن الله عز وجل لما خلق آدم نفضه نفض (المزود)[١]، فأخرج من ظهره ذريته أمثال النغف[٢]، فقبضهم قبضتين، ثم ألقاهما، ثم قبضهما فقال: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ[٣]﴾[٤].

قال ابن و هب : وأخبرني يونس[٥] بن يزيد عن الأوزاعي[٦]، عن عبدالله ابن عمرو بن العاص قال : من كان يزعم أن مع الله قاضياً، أو رازقاً، أو يملك لنفسه ضراً أو نفعاً، أو موتاً، أو حياة، أو نشوراً، لقي الله فأدحض حجته وأخرق لسانه، وجعل صلاته وصيامه (هباءً[٧])[٨] وقطع به الأسباب، وأكبَّه اللهُ على وجهه في النار، وقال : إن الله خلق الخلق فأخذ منهم الميثاق، وكان عرشه على الماء[٩].

---

(١) في م ، د، س : المرود بالمهملة، والمِزود ـ بكسر الميم والمعجمة ـ هو : وعاء التمر يعمل من أدم، وجمعه مزاود . المصباح المنير ص٢٦٠، مادة (زود) .

(٢) النَّغَف بالتحريك : دود يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدتها : نَغَفَة . النهاية لابن الأثير (٥/ ٨٧) .

(٣) سورة الشورى، آية : ٧ .

(٤) انظر كتاب القدر لابن وهب ص٩٣-٩٤، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات(٤١٣) ، وقال : هذا موقوف، ورواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٩) من طريق ابن وهب، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٠٨) .

(٥) هو : يونس بن يزيد بن أبي النجاد، سبقت ترجمته ص (١٤٥) .

(٦) هو : عبدالرحمن بن عمرو، ثقة، سبقت ترجمته ص (١٥٠) .

(٧) ساقطة من ت .

(٨) في ت : بهذا الموضع زيادة لفظة هي : « متثوراً »، وهذه الزيادة ليست في كتاب القدر لابن وهب .

(٩) انظر كتاب القدر لابن وهب ص(١١٧) . وهذا الأثر منقطع، حيث لم تذكر الواسطة بين عبدالله بن عمرو والأوزاعي، وروى نحوه عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة =

وذكر أبوداود: حدثنا يحيى بن حبيب[١]، حدثنا معتمر[٢]، حدثنا أبي[٣]، عن أبي العالية[٤] في قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٥] قال: صاروا (فريقين)[٦] وقال لمن سوَّد وجوههم وغيَّرهم: ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾، قال: هو الإيمان الذي كان حيث كانوا أمة واحدة مسلمين[٧].

= (١/ ٤٣٢) عن عبدالله بن عمر، ط. الأولى، سنة ١٤٠٦هـ، تحقيق د. محمد القطحاني، نشر دار ابن القيم بالدمام.

(١) هو: يحيى بن حبيب بن عربي البصري، ثقة من العاشرة، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين، وقيل: بعدها، روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٤٥)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٩٥-١٩٦).

(٢) هو: معتمر بن سليمان التيمي، أبومحمد البصري، يلقب بالطفيل، ثقة من كبار التاسعة، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقد جاوز الثمانين، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٦٣)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٧-٢٢٨)، تاريخ الثقات للعجلي (ص٤٣٣)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٧٧-٤٧٨)، التاريخ الصغير للبخاري (٢/ ٢١٩، ٢٢٢)، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (ص١٦١) نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) هو: سليمان بن طرخان التيمي، أبوالمعتمر البصري، نزل في تيم، فنسب إليهم، ثقة عابد، من الطبقة الرابعة، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة، وهو ابن سبع وتسعين، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٣٢٦)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٠١).

(٤) ثقة كثير الإرسال، سبقت ترجمته في ص (١٦٦).

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠٦، ١٠٧.

(٦) في ت: فرقتين.

(٧) المذكور في أول السند هو أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني، صاحب السنن، وقد بحثت عن هذا الأثر في السنن فلم أجده، ولعله أخرجه في كتاب القدر. والذي لم أقف عليه. ووجدت هذا الأثر عند ابن أبي حاتم في تفسيره ق (٥٥) مخطوط، محفوظ أصله =

قال أبوداود : وحدثنا موسى بن إسماعيل[١]، حدثنا حمّاد[٢]، حدثنا أبونعامة السعدي[٣] قال : كنا عند (أبي)[٤] عثمان (النهدي[٥])[٦] فحمدنا الله عز وجل (فذكرناه ودعوناه)[٧] فقلت : لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره . فقال أبوعثمان : ثبَّتك الله، كنا عند سلمان، فحمدنا الله عز وجل وذكرناه (ودعوناه)[٨] فقلت : لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره . فقال سلمان :

= بالمكتبة المحمودية بالمدينة النبوية تحت رقم (٥٠) تفسير، وتوجد صورة منه بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم: ٢٩٦/ ف .

(١) هو : موسى بن إسماعيل المِنْقَري ـ بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف ـ أبوسلمة التَّبوذكي ـ بفتح المثناة وضم الموحدة وسكون الواو وفتح المعجمة ـ مشهور بكنيته وباسمه، ثقة ثبت، من صغار التاسعة، ولا التفات إلى قول ابن خراش: تكلم الناس فيه . مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين . روى له الستة، تقريب التهذيب (٢/ ٢٨٠)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٣٣-٣٣٤) .

(٢) هو : حماد بن سلمة . كما بيّنته الكتب التي روت الحديث . وهو ثقة ، سبقت ترجمته ص (١٨١) .

(٣) هو: أبونعامة السعدي البصري، اسمه عبدربه، وقيل : عمرو، ثقة من السادسة، روى عن أبي عثمان النهدي وغيره، وروى عنه حماد بن سلمة وغيره، روى له مسلم وأبوداود والترمذي والنسائي . تقريب التهذيب (٢/ ٤٨١)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٢٥٧) .

(٤) في ت : ابن .

(٥) في ت : المهدي .

(٦) هو : عبدالرحمن بن مل ـ بلام ثقيلة والميم مثلثة ـ أبوعثمان النهدي ـ بفتح النون وسكون الهاء ـ مشهور بكنيته، مخضرم من كبار الثانية، ثقة ثبت عابد، مات سنة خمس وتسعين، وقيل بعدها، وعاش مائة وثلاثين سنة، وقيل : أكثر، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٩٩)، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٧)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٧٥) .

(٧) في ت : فذكرنا ودعونا .

(٨) في م : ودعونا .

ثبتك الله، إن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم مسح ظهره، فأخرج من ظهره ما هو (ذارئ)[١] إلى يوم القيامة، فخلق الذكر والأنثى، والشقاوة والسعادة، والأرزاق، والآجال، والألوان، ومن علم السعادة فعل الخير ومجالس الخير، ومن علم الشقاوة فعل الشر ومجالس الشر[٢].

وقال أبوداود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، أخبرنا عطاء بن السائب[٣] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: مسح ربك تعالى ظهر آدم فأخرج منه ما هو (ذارئ)[٤] إلى يوم القيامة، فأخذ عهودهم ومواثيقهم، قال سعيد: فيرون أن القلم جف يومئذ[٥].

وقال الضحاك[٦]: خرجوا كأمثال الذرّ ثم

(١) في ت: كائن.

(٢) رواه الفريابي في القدر ص١٥٨، ومن طريقه رواه الآجري في الشريعة ص٢٠٥-٢٠٦، واللالكائي في السنة (٤/ ٦٧٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٢) ونسبه لعبد ابن حميد.

(٣) هو: عطاء بن السائب، أبومحمد، ويقال: أبوالسائب الثقفي الكوفي، صدوق اختلط، من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين ومائة. روى له البخاري وقرنه بآخر، روى له الأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٢)، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٠٣-٢٠٧)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي ص٢٦٦. ط. الثانية ١٣٩١هـ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

(٤) في ت: كائن.

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٢)، بنحوه من رواية أبي صالح عن ابن عباس. ط. الأولى ١٤١٠هـ تحقيق د. مصطفى مسلم، نشر مكتبة الرشد بالرياض. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٩٨)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٦) هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبوالقاسم، أو أبومحمد الخراساني، صدوق كثير =

أعادهم[١].

فهذه (الآثار)[٢] وغيرها تدل على أن الله سبحانه وتعالى قدّر أعمال بني آدم وأرزاقهم، وآجالهم، وسعادتهم، وشقاوتهم، عقيب خلق أبيهم، وأراهم لأبيهم آدم، وصوَرهم، وأشكالهم وحلاهم، وهذا ـ والله أعلم ـ أمثالهم وصورهم.

وأما تفسير قولـه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[٣] الآية (به)[٤] ففيه ما فيه، و حديث عمر[٥] لو صح لم يكن تفسيراً للآية، وبيان أن ذلك هو المراد بها، فلا يدل الحديث عليه، ولكن الآية دلَّت على أن هذا الأخذ من بني آدم، لا من آدم، وأنه من ظهورهم لا من ظهره، وأنهم ذرياتهم، أمة بعد أمة، وأنه إشهاد تقوم به (عليهم)[٦] الحُجّة له سبحانه، فلا يقول الكافر يوم القيامة: كنت غافلاً عن هذا، ولا يقول الولد (المشرك)[٧]: أشرك أبي وتبعته، فإن ما فطرهم الله عليه من الإقرار بربوبيته، وأنه ربهم، وخالقهم وفاطرهم حجة / عليهم، ثم دل حديث عمر وغيره على أمر آخر لم تدل عليه الآية وهو القدر السابق والميثاق

١٤أ

= الإرسال، قال ابن عدي: عرف واشتهر بالتفسير، من الطبقة الخامسة، مات بعد المائة، روى له الأربعة، تقريب التهذيب (١/ ٣٧٣)، تهذيب التهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٣-٤٥٤)، والكامل لابن عدي (٤/ ١٤١٥) ط الأولى ١٤٠٤هـ نشر دار الفكر، بيروت.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٧) ونسبه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) إضافة من: ت.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٧٢.

(٤) ساقطة من: ت.

(٥) انظر تخريجه في ص (١٧١).

(٦) إضافة من: ت.

(٧) إضافة من: ت.

الأول، وهو سبحانه لا يحتج عليهم بذلك، وإنما يحتج عليهم برسله، وهو الذي دلت عليه الآية، فتضمّنت الآية، والأحاديث إثبات القدر والشرع، وإقامة الحجة، والإيمان بالقدر، فأخبر النبي ﷺ لما سُئل عنها بما يحتاج العبد إلى معرفته والإقرار به معها . وبالله التوفيق .





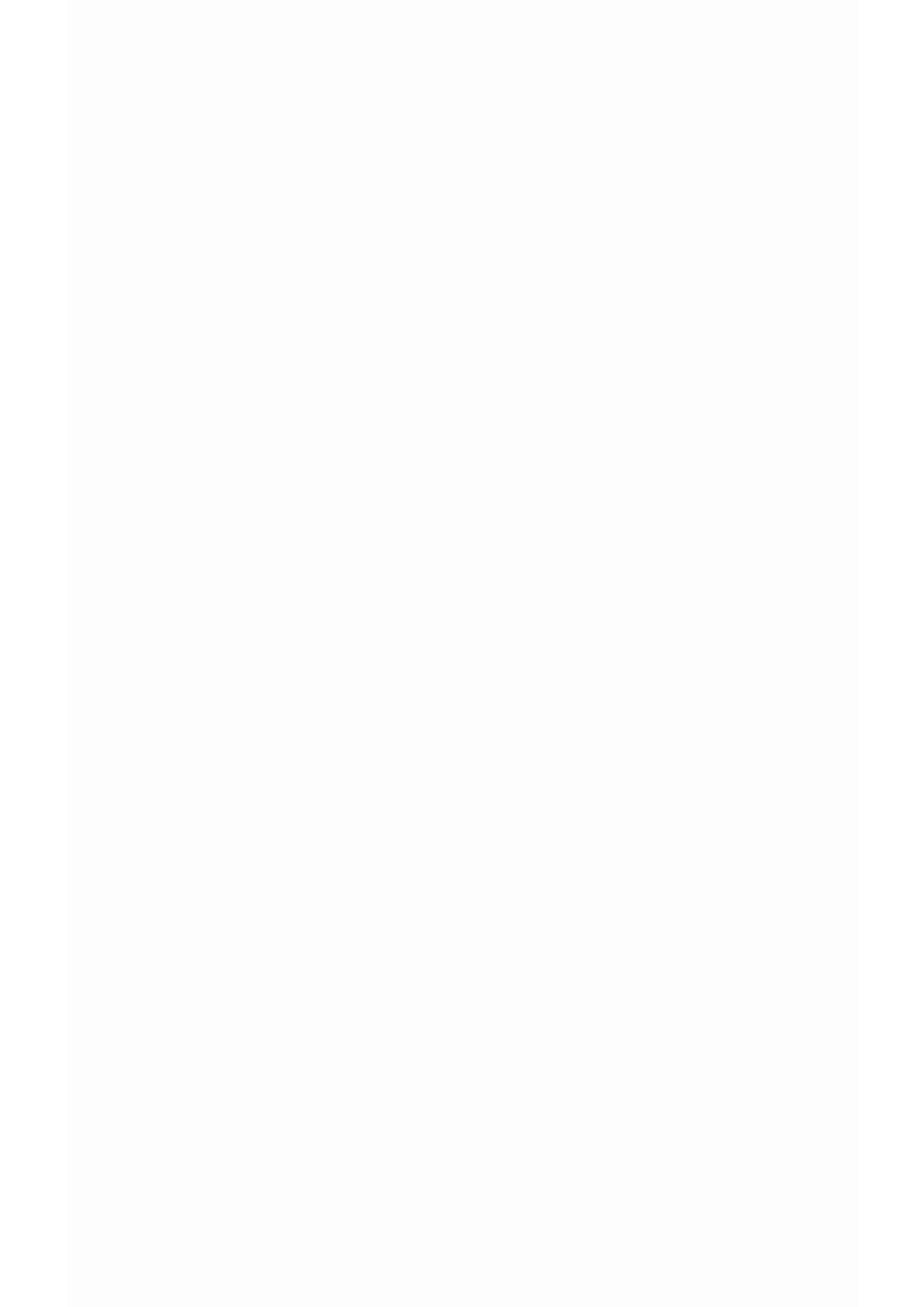


الباب الثالث

في ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبي ﷺ لآدم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين







الباب الثالث

في ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبي ﷺ لآدم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم، أنت أبونا خيَّبتنا**[١] **وأخرجتنا من الجنة. فقال آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك التوراة بيده، أتلومني على أمرٍ قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة**»؟ فقال النبي: «**فحجَّ آدمُ موسى، فحجَّ آدمُ موسى**[٢]»[٣].

وفي رواية: «**كتب لك التوراة بيده**»[٤].

وفي لفظ آخر: «**تحاجَّ آدمُ وموسى، فحجَّ آدم موسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ فقال: آدم: أنت موسى الذي (أعطاه)**[٥] **الله علم كل شيء، واصطفاه على الناس برسالته؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أمرٍ (قُدِرَ عليَّ)**[٦] **قبل أن أُخلَق**»[٧].

---

(١) الخيبة: الحرمان والخسران. النهاية لابن الأثير (٢/ ٩٠).

(٢) «فحجَّ آدمُ موسى» وردت في نسخة ت مرة واحدة، وما أثبت من م، وصحيح مسلم.

(٣) رواه البخاري في (٧/ ١٤) كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله عز وجل، ومسلم (٤/ ٢٠٤٢-٢٠٤٣) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام. واللفظ له. وأبوداود في سننه (١٢/ ٤٦٨) كتاب السنة باب في القدر، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير (١/ ١٦٢-١٦٥)، وابن ماجه في سننه (١/ ٣١) المقدمة، باب في القدر، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٨)، كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاووس عن أبي هريرة.

(٤) هذه الرواية أخرجها مسلم (٤/ ٢٠٤٣) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٥) في ت: أعطاك.

(٦) في ت: قدَّره الله عليَّ

(٧) رواه مسلم (٤/ ٢٠٤٣) كتاب القدر ـ باب حجاج آدم وموسى عليهم السلام، من طريق=

وفي لفظ آخر : « احتج آدمُ وموسى عند ربهما فحجَّ آدمُ موسى ، فقال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك في جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ قال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيانُ كل شيء، وقرَّبك نجياً ، فبِكَم وجدتَ الله كتب التوراة قبل أن أُخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاماً . قال آدم : هل وجدت فيها : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[1] . قال : نعم . قال : أفتلومني على أن عملتُ / عملاً كتبه الله عليَّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة » ؟ قال رسول الله : «فحجَّ آدمُ موسى»[2] . ١٤ب

وفي لفظ آخر : « احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : أنت (آدم)[3] الذي أخرجتنا خطيئتك من الجنة»، وذكر الحديث . متفق (عليه[4])[5] .

وهذا التقدير بعد التقدير الأول السابق (لخلق)[6] السماوات (والأرض)[7] بخمسين ألف سنة .

= قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه الإمام مالك في الموطأ (ص٥٦٠) كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر .

(١) سورة طه ، آية ١٢١ .

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٤٣) ك . القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

(٣) ما بين القوسين ساقط من م .

(٤) في م ، د ، س : على صحته.

(٥) رواه البخاري (٤/ ٣١) كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعده . ورواه أيضاً (٨/ ٢٠٣) كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ وكلَّم الله موسى تكليماً ﴾ ، ورواه مسلم (٤/ ٢٠٤٤) كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

(٦) في م ، د ، س : بخلق .

(٧) ساقطة من م ، د ، س .

وقد ردَّ هذا الحديث من لم يفهمه من المعتزلة كأبي علي (الجُبَّائي[١])[٢] ومن وافقه على ذلك، وقال : لو صحَّ لبطلت نبوات الأنبياء ، فإن القدر إذا كان حجة للعاصي بطل الأمر والنهي، فإن العاصي بترك الأمر ، أو فعل النهي إذا صحت له الحجة بالقدر السابق ارتفع اللوم عنه[٣].

وهذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته، فإن هذا الحديث صحيح متفق على صحته ، لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها قرناً بعد قرن، وتقابله بالتصديق والتسليم ، ورواه أهل الحديث في كتبهم، وشهدوا به على رسول الله ﷺ أنه قاله، وحكموا بصحته ، فما لأجهل الناس بالسنة، ومن

---

(١) في ت : الجبار .

(٢) هو : أبوعلي ، محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان ، الجُبَّائي ـ نسبة إلى جُبَّى ـ بالضم ثم التشديد ، بلد أو كورة من أعمال خوزستان ، شيخ المعتزلة ، وإليه تنسب فرقة الجُبَّائية ، ولد سنة (٢٣٥هـ)، أخذ عن أبي يعقوب الشحام ـ أحد رجال المعتزلة ـ وأخذ عنه ابنه أبوهاشم ، وأبوالحسن الأشعري ، ثم خالفه ونابذه بعد مناظرته إياه، وله مصنفات كثيرة، منها : الأصول، والنهي عن المنكر، والتعديل والتجويز، وغيرها. توفي بالبصرة سنة (٣٠٣هـ). انظر عنه وعن آرائه : سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨٣-١٨٤)، ومقالات الإسلاميين (ص٦٢٢-٦٢٤)، تصحيح هلموت ريتر ، ط. الثالثة ، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص٤٣)، والفرق بين الفِرَق لعبدالقاهر البغدادي (ص١٦٧-١٦٩)، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٠هـ نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت ، والملل والنحل (١/ ٧٨). والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي (ص٥١) ، تحقيق د. بسام العموش، ط. الأولى ١٤٠٨هـ نشر مكتبة المنار بالأردن . ومعجم البلدان (٢/ ٩٧) .

(٣) لم أعثر على قول الجُبَّائي في رد هذا الحديث فيما رجعت إليه من كتب المعتزلة ، وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٨/ ٣٠٤) .

عرف بعداوتها ، وعداوة حملتها والشهادة عليهم بأنهم مجسمة[١] ومشبهة[٢] ، حشوية[٣] (نوابت)[٤] وهذا الشأن ؟ .

ولم يزلْ أهل الكلام الباطل المذموم موكلين برد أحاديث رسول الله ﷺ التي تخالف قواعدهم الباطلة ، وعقائدهم الفاسدة، كما ردوا أحاديث الرؤية ، وأحاديث علو الله على خلقه ، وأحاديث صفاته القائم به ، وأحاديث الشفاعة ،

---

(١) تصف المعتزلة أهل السنة بأنهم مجسِّمة ؛ لقولهم إن الله عز وجل تكلَّم بالقرآن بحرف وصوت . البرهان (ص٩٥) .

(٢) تصفهم المعتزلة والجهمية بأنهم مشبِّهة ؛ لقولهم بإثبات الصفات لله تعالى من العلم والقدرة والحياة وغير ذلك من صفاته جل جلاله . البرهان (ص٩٥) .

(٣) وذلك لكثرة حرصهم على طلب الأحاديث وكلام السلف الصالح، وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالى في نونيته (٢/ ٧٦-٧٩) المطبوعة مع شرح ابن عيسى أن أول من نطق بلقب « الحشوية » هو عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة، وأنه سمَّى بذلك عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال :

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشواً في الوجود ... وفضلة في أمة السلطان

وقال أيضاً :

يا قوم إن كان الكتاب وسنة الـ ... ـمختار حشواً فاشهدوا ببيان
إنا بحمد إلهنا حشوية ... صرف بلا جحد ولا كتمان
تدرون من سمت شيوخكم ... بهذا الاسم في الماضي من الأزمان
سَمَّى به ابنُ عبيد عبدَالله ذا ... ك ابن الخليفة طارد الشيطان
فورثتم عمراً كما ورثوا لعبد الـ ... ـله أنى يستوي الإرثان

انظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٥٥) نشر دار الكتاب العربي، بيروت . وفتاوى ابن تيمية (٥/ ١١١)، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٩٥) ، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص٥٢٧) وقد سمى أهل السنة بذلك الاسم .

(٤) ساقطة من د ، س .

وأحاديث نزوله إلى سمائه، ونزوله إلى الأرض للفصل بين عباده، وأحاديث تكلمه بالوحي كلاماً يُسمعه من شاء من خلقه حقيقةً، إلى أمثال ذلك.

وكما ردّت الخوارج[1] والمعتزلة أحاديث خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة وغيرها، وكما ردّت الرافضة[2] أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة، وكما ردّت / المعطلة أحاديث الصفات (والأفعال ١١٥أ الاختيارية، وكما ردت القدرية المجوسية أحاديث القضاء)[3] والقدر السابق ـ

---

(١) سموا بهذا الاسم لخروجهم على علي بن أبي طالب ﷺ حين كرهوا التحكيم، ومضوا عنه ونزلوا بأرض يُقال لها: حروراء ـ قرب الكوفة ـ فسموا ـ أيضاً ـ حرورية، ولهم أسماء أخرى. وهم يكفرون مرتكب الكبيرة، ويقولون: إنه مخلد في النار، ويقولون بالخروج على أئمة الجور، ويكفرون عثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعائشة ويقرون بصحة إمامة أبي بكر وعمر ويعظمونهما رضي الله عنهم أجمعين، وللخوارج فرق كثيرة. انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٤٦)، والملل والنحل (١/ ١١٤) والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص١٧)، والفرق بين الفرق (ص٥٤ وما بعدها).

(٢) سموا بهذا الاسم لرفضهم زيد بن علي بن أبي طالب لما تولى أبابكر وعمر رضي الله عنهما وقال بإمامتهما، فقال زيد: رفضوني، فسُموا رافضة، أو لكونهم رفضوا أبابكر وعمر رضي الله عنهما، وهم يقولون بإثبات الإمام عقلاً، وأن إمامة علي ﷺ وتقديمه ثابتة نصاً، وأن الأئمة معصومون لا يجوز عليهم الغلط والسهو والخطأ؛ وأنكروا إمامة المفضول والاختيار، وقالوا بتفضيل علي على سائر الصحابة، وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ، وتبرأوا من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة رضي الله عنهم. وقالوا: إن الأمة ارتدت بتركها إمامة علي ﷺ، وأكثرهم يزعم أن الله تعالى لا يعلم ما يكون قبل أن يكون، ويقولون برجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم الحساب، وهم فرق كثيرة. انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٦٥)، ومقالات الإسلاميين (ص١٦)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٥٢).

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت.

وكل من أصَّل أصلاً لم يؤصِّله اللهُ ورسوله قاده قسراً إلى رد السنة وتحريفها عن مواضعها . فلذلك لم يؤصّل حزبُ الله ورسوله أصلاً غير ما جاء به الرسول ﷺ، فهو أصلهم الذي عليه يعولون، و(آخيتهم)[١] التي إليها يرجعون .

ثم اختلف الناس في فهم هذا الحديث ووجه الحجة التي توجهت لآدم على موسى . فقالت فرقة : إنما حجَّه لأن آدم أبوه، فحَجَّه كما يحج الرجل ابنه .

وهذا الكلام (لا تحصيل)[٢] فيه البتة ، فإن حجة الله يجب المصير إليها مع الأب كانت أو (مع)[٣] الابن أو العبد أو السيد، ولو حجّ الرجلُ أباه بحق وجب المصير إلى الحجة .

وقالت فرقة : إنما حَجَّه؛ لأن الذنب كان في شريعة ، واللوم كان في شريعة .

وهذا من جنس ما قبله ، إذ لا تأثير لهذا في الحجة بوجه، وهذه الأمة تلوم الأمم المخالفة لرسلها المتقدمة عليها وإن كان لم تجمعهم شريعة واحدة، ويقبل الله شهادتهم عليهم وإن كانوا من غير أهل شريعتهم[٤] .

---

(١) في د : واجنتهم . وفي س : وجنتهم .

(٢) في م ، د ، س : لا محصل .

(٣) إضافة من ت .

(٤) في هذا الكلام إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ سورة البقرة ، آية ١٤٣ .
وإلى الحديث الذي رواه أبوسعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : **« يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى : هل بلغت ؟ فيقول: نعم أي رب. فيقول لأمته: هل بلغكم ؟ فيقولون : لا ما جاءنا من نبي . فيقول لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلّغ ، وهو قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ والوسط العدل»** .
والحديث رواه البخاري في (٤/ ١٠٥) كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾، وفي (٥/ ١٥١) كتاب التفسير ، تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى : =

وقالت فرقةٌ أخرى : إنما حَجَّه؛ لأنه كان قد تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ولا يجوز لومه .

وهذا وإن كان أقرب مما قبله، فلا يصح لثلاثة أوجه :

أحدها : أن آدم لم يذكر ذلك الوجه، ولا جعله حجة على موسى ، ولم يقل: أتلومني على ذنب قد تبتُ منه .

الثاني : أن موسى أعرف بالله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره الله سبحانه أنه قد تاب على فاعله واجتباه بعده وهداه ، فإن هذا لا يجوز لآحاد المؤمنين أن يفعله فضلاً عن كليم الرحمن .

الثالث : أن هذا يستلزم إلغاء ما علَّق به النبي ﷺ وجه الحجة واعتبار ما ألغاه، فلا يُلتفت إليه .

وقالت فرقة أخرى : إنما حَجَّه لأنه لامَهُ في غير دار التكليف، ولو لامَهُ في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه[(1)] .

وهذا أيضاً فاسد من وجهين :

= ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ، وفي (٨/ ١٥٦) كتاب الاعتصام ، باب قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ . والترمذي (٥/ ١٩٠-١٩١) كتاب تفسير القرآن ، باب تفسير سورة البقرة ، وقال : حديث حسن صحيح . والنسائي في سننه الكبرى ، كتاب التفسير (١/ ١٩٥-١٩٧) . والإمام أحمد (٣/ ٩، ٣٢، ٥٨) . وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٨) . وأبويعلى في مسنده (٢/ ٣٩٧). والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٢٨١). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٩٧) و(١٦/ ١٩٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٤٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(١) ذكر هذه الأوجه الأربعة شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٨/ ٣٠٥). حيث قال : وفريق تأوّلوا هذا الحديث بتأويلات معلومة الفساد، ثم ذكرها .

١٥ب أحدهما : أن آدم لم يقل له / لُمتَني في غير دار التكليف ، وإنما قال : أتلومني على أمرٍ قُدِّر عليَّ قبل أن أُخلق ، فلم يتعرض للدار، وإنما احتج (بالقدر)[١] السابق.

الثاني : أن الله سبحانه يلوم الملومين من عباده في غير دار التكليف ، فيلومهم بعد الموت ، ويلومهم يوم القيامة .

وقالت فرقة أخرى : إنما حَجَّه؛ لأن آدم شهد الحكم وجريانه على الخليقة وتفرد الربُّ سبحانه بالربوبية ، وأنه (لا تتحرك)[٢] ذرة إلا بمشيئته وعلمه ، وأنه لا راد لقضائه وقدره، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

قالوا : ومشاهدة العبد الحكم لا يدع له استقباح سيئة ؛ لأنه شهد نفسه عدماً محضاً ، والأحكام جاريةٌ عليه (مُصرَّفَةَ[٣]) لـه ، وهو مقهور مربوب مدبر ، لا حيلة له ولا قوة له .

قالوا : ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم[٤].

وهذا المسلك أبطلُ مسلكٍ سُلِكَ في هذا الحديث، وهو شرٌّ من مسلك القدرية في رده، وهم إنما ردوه إبطالاً لهذا القول ورداً على قائليه، (وأصابوا)[٥] في ردهم عليهم، وإبطال قولهم ، وأخطؤوا في رد حديث رسول الله ﷺ ، فإن هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة ، وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم، ولم يبقَ للحدود معنى، ولا يُلام جانٍ على جنايته ، ولا ظالـمٌ على ظلمه،

---

(١) في د ، س : في القدر .

(٢) في م ، د ، س : لا تحرك .

(٣) في د ، س : معروفة .

(٤) ذكر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية، ونسبه إلى كثير من متأخري الصوفية المدَّعين للحقيقة. انظر : الفتاوى (٨/ ٣٠٥) .

(٥) في ت : وأجادوا .

ولا يُنكر منكَرٌ أبداً ، ولهذا قال شيخ الملحدين ابن سينا[(١)] في إشاراته : العارف لا ينكر منكراً لاستبصاره بسرّ الله تعالى في القدر[(٢)] .

وهذا كلامُ منسلِخ من الملل ومتابعة الرسل ، وأعرف خلق الله به رسلُه وأنبياؤه ، وهم أعظم الناس إنكاراً للمنكر، وإنما أُرسلوا (بإنكار المنكر)[(٣)]، فالعارف أعظم الناس إنكاراً للمنكر لبصرته بالأمر والقدر، فإن الأمر يوجب عليه الإنكار، والقدر يُعينه عليه وينفذه له، فيقوم في مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[(٤)] وفي مقام / ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[(٥)] فيعبده بأمره وقدره، ١١٦أ ويتوكل عليه في تنفيذ أمره بقدره، فهذا حقيقة المعرفة ، وصاحب هذا المقام هو العارف بالله، وعلى هذا أجمعت الرسل من أولهم إلى خاتمهم .

(وأما)[(٦)] من يقول :

أصبحتُ منفعلاً لما يختاره   مني ففعلي كله طاعات[(٧)]

---

(١) هو : الحسين بن عبدالله بن سينا ، أبوعلي شرف الملك الفيلسوف الرئيس ، ولد سنة ٣٧٠ في إحدى قرى بخارى، كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين ، من كتبه « الشفاء » و « الإشارات » ، توفي سنة ٤٢٨هـ لسان الميزان (٢/ ٢٩١-٢٩٢)، والرد على المنطقيين (ص١٤١) ، وإغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٦٦) تصحيح محمد الفقي ، نشر دار المعرفة، بيروت، والأعلام (٢/ ٢٤١-٢٤٤) .

(٢) انظر : كتاب الإشارات والتنبيهات لابن سينا (٤/ ١٠٤) تحقيق سليمان دنيا ، ط. الثانية ١٣٨٨هـ نشر دار المعارف، القاهرة ، ونص العبارة فيه : « العارف لا يعنيه التجسس والتحسس، ولا يستهويه الغضب عند مشاهدة المنكر، كما تعتريه الرحمة؛ فإنه مستبصر بسر الله في القدر » .

(٣) في د ، س : لإنكار المنكر .

(٤) سورة الفاتحة ، آية ٥ .

(٥) سورة هود ، آية : ١٢٣ .

(٦) في ت : وانشأ .

(٧) لم أعثر على اسم قائله، وسبق أن ذكره المؤلف في (ص ١٢٤) .

(ويقول : أنا)[١] وإن عصيت أمره فقد أطعت إرادته ومشيئته .

ويقول : العارف لا ينكر منكراً لاستبصاره بسر الله في القدر ، فخارج عما عليه الرسل قاطبة، وليس هو من أتباعهم .

وإنما حكى الله سبحانه الاحتجاج بالقدر عن المشركين أعداء الرسل، فقال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٤] .

وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[٥] .

فهذه أربع مواضع حكى فيها الاحتجاج بالقدر عن أعدائه ، وشيخهم

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٢) سورة الأنعام ، آية :١٤٨-١٤٩ .

(٣) سورة النحل ، آية :٣٥ .

(٤) سورة يس ، آية : ٤٧ .

(٥) سورة الزخرف ، آية :٢٠ .

وإمامهم في ذلك عدوه الأحقر إبليس، حيث احتج عليه بقضائه، فقال : ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(١) .

فإن قيل : قد علم (بالمنصوص)(٢) والمعقول صحة قولهم : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقال تعالى: / ١١٦أ ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾(٣) ، وقال : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾(٤)، فكيف أكذبهم، ونفى عنهم العلم، وأثبت لهم الخرص فيما هم فيه صادقون ، وأهل السنة جميعاً يقولون : لو شاء الله ما أشرك به مشرك، ولا كفر به كافر، ولا عصاه أحدٌ من خلقه ، فكيف ينكر عليهم ما هم فيه صادقون ؟

قيل: (بل)(٥) أنكر سبحانه عليهم ما هم فيه أكذب الكاذبين وأفجر الفاجرين، ولم ينكر عليهم صدقاً ولا حقاً ، بل أنكر عليهم أبطل الباطل ، فإنهم لم يذكروا (ما ذكروه)(٦) إثباتاً لقدره وربوبيته ووحدانيته، وافتقاراً إليه، وتوكلاً عليه، واستعانة به(٧)، ولو قالوا كذلك لكانوا مصيبين، وإنما قالوه معارضين (به)(٨) لشرعه ودافعين به لأمره، فعارضوا شرعه وأمره، ودفعوه بقضائه وقدره، ووافقهم على ذلك كل من عارض الأمر ودفعه بالقدر، وأيضاً فإنهم احتجوا بمشيئته العامة وقدره على

(١) سورة الحجر ، آية : ٣٩ .

(٢) في م ، د ، س : بالنصوص .

(٣) سورة الأنعام : آية ١١٢ .

(٤) سورة السجدة ، آية ١٣ .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

(٦) في ع : ما ذكره .

(٧) في د : واستعانة به (لأمره) . وهذه الزيادة لم أجدها في النسخ الخطية .

(٨) ساقطة من ع، د .

محبته لما (شاء)[1]، ورضاه به، وإذنه فيه، فجمعوا بين أنواعٍ من الضلال: معارضة الأمر بالقدر، ودفعه به، والإخبار عن الله أنه يحب ذلك منهم ويرضاه، حيث شاءه وقضاه، وأن لهم الحجة على الرسل بالقضاء والقدر .

وقد ورّثهم في هذا الضلال وتبعهم عليه طوائف من الناس مِمَّن يَدَّعي التحقيقَ والمعرفة، أو يُدَّعَى فيه ذلك، وقالوا : العارف إذا شاهد الحكم سقط عنه اللوم، وقد وقع في كلام شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري[2] ما يُوهِم ذلك، وقد أعاذه الله منه، فإنه قال في باب التوبة من «منازل السائرين» : ولطائف (أسرار)[3] التوبة ثلاثة أشياء :

أولها : أن تنظر (بين)[4] الجناية والقضية، فتعرف مراد الله فيها إذ خلاَّك وإتيانها، فإن الله تعالى إنما يخلي العبد والذنب لأحد معنيَين :

أن يعرف (عزته)[5] في قضائه ، وبِرَّه في ستره ، وحلمه في إمهال راكبه ، وكرمه في قبول العذر/ منه ، وفضله في (مغفرته)[6]. ١٧أ

---

(١) في ع : شاء له .

(٢) هو : عبدالله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي، أبوإسماعيل من ذرية أبي أيوب الأنصاري ، من كبار الحنابلة ، قال المؤتمن : كان آية في لسان التذكير والتصوف، من سلاطين العلماء ، وكان يدخل على الأمراء والجبابرة فما يبالي. قال الذهبي : ولقد بالغ أبوإسماعيل في كتابه « ذم الكلام » على الاتباع فأجاد، ولكن له نَفَس عجيب لا يشبه نَفَس أئمة السلف في كتابه « منازل السائرين » ، ففيه أشياء مطربة، وفيه أشياء مشكلة، ومن تأمّله لاح له ما أشرتُ إليه . اهـ وقد طبع هذا الكتاب منفرداً وطبع مع عدة شروح له ، أفضلها « مدارج السالكين » للإمام ابن القيم. وقد تُوفي أبوإسماعيل سنة ٤٨١هـ ، وكان مولده سنة ٣٩٦هـ . سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٣-٥١٨) .

(٣) ساقطة من ع، د ، س .

(٤) في ع، د، س : في .

(٥) في ع، د، س : عبرته . وما أثبت من منازل السائرين وبقية النسخ .

(٦) في ت : معرفته . وما أثبت من منازل السائرين وبقية النسخ .

والثاني : ليُقيم على العبد حجة عدله، فيُعاقبه على ذنبه بحجته .

واللطيفة الثانية : أن يعلم أن طلب البصير الصادق (سيئته)[١] لم تبقَ له حسنة بحال؛ لأنه يسير بين مشاهدة المنة ، وتطلب (عيب)[٢] النفس والعمل .

واللطيفة الثالثة : أن مشاهدة العبد الحكم لم تدع له استحسان حسنة ، ولا استقباح سيئة ؛ لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكم[٣] »[٤] .

---

(١) في د ، س : سته . وما أثبت من منازل السائرين ، وبقية النسخ .

(٢) في ت : عين . وما أثبت من منازل السائرين وبقية النسخ .

(٣) انظر منازل السائرين ص١٣-١٤ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٤٠٨هـ.

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ بعد أن ذكر قول من قال: إن المعاصي يحبها الله ويرضاها كما يريدها : « وشاع هذا القول في كثير من الصوفية، فوافقوا جهماً في مسائل الأفعال والقدر ، وخالفوه في الصفات كأبي إسماعيل الأنصاري، صاحب « ذم الكلام »، فإنه من المبالغين في ذم الجهمية في نفي الصفات، وله كتاب في تكفير الجهمية، ويبالغ في ذم الأشعرية، مع أنهم من أقرب هذه الطوائف إلى السنة ، وربما كان يلعنهم ... ، وهو مع هذا في مسألة إرادة الكائنات وخلق الأفعال أبلغ من الأشعرية ، لا يثبت سبباً ولا حكمة، بل يقول: إن مشاهدة العارف الحكم لا يُبقي له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة ، والحكم عنده هو المشيئة؛ لأن العارف عنده من يصل إلى مقام الفناء ، والحسنة والسيئة يفترقان في حظ العبد؛ لكونه ينعم بهذه ويعذب بهذه ، والالتفات إلى هذا من حظوظ النفس، ومقام الفناء ليس فيه إلا مشاهدة مراد الحق، والأشعري لما أثبت الفرق بين هذا وهذا من جهة المخلوق كان أعقل منهم ، فإنهم يدّعون أن العارف لا يفرّق ، وغلطوا في حق العبد ، وحق الرب ، أما العبد فيلزمهم أن يستوي عنده جميع الحوادث، وهذا محال قطعاً ، فعزلوا الفرق الرحماني، وفرقوا بالطبعي الهوائي الشيطاني، ومن هنا وقع خلق منهم في المعاصي ، وآخرون في الفسوق ، وآخرون في الكفر حتى جوّزوا عبادة الأصنام ، ثم كثير منهم ينتقل إلى الوحدة، ويصرحون بعبادة كل موجود» . انظر الفتاوى (٨/ ٢٣٠-٢٣١، ٣٣٩) ومدارج السالكين للمؤلف (١/ ٢٢٧) تصحيح محمد الفقي، ط. الثانية ١٣٩٣هـ نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

فهذا الكلام (الأخير)[١] ظاهره يبطل استحسان الحسن ، واستقباح القبيح، والشرائع كلها مبناها على استحسان هذا واستقباح هذا، بل مشاهدة الحكم تزيد البصير استحساناً للحسن واستقباحاً للقبيح، وكلما ازدادت معرفته بالله وأسمائه وصفاته وأمره قويَ استحسانه واستقباحه ، فإنه يوافق في ذلك ربه ورسله ومقتضى الأسماء الحسنى والصفات العُلى .

وقد كان (حال)[٢] شيخ الإسلام في ذلك موافقاً للأمر ، وغضبه لله ولحدوده ومحارمه ، ومقاماته في ذلك شهيرةٌ عند الخاصة والعامّة ، وكلامه المتقدم بيِّن في رسوخ قدمه في استقباح ما قبّحه الله، واستحسان ما حسّنه الله ، وهو كالمحكم فيه، وهذا متشابه فيرد إلى محكم كلامه، والذي يليق به ما ذكره شيخنا أبوالعباس أحمد بن إبراهيم الواسطي[٣] رحمه الله في شرحه[٤]، فذكر قاعدة في الفناء[٥]

---

(١) ساقطة من ع .

(٢) ساقطة من ع، د، س .

(٣) سبقت ترجمته في المقدمة من ضمن شيوخ المؤلف .

(٤) شرح منازل السائرين. قال ابن رجب : لم يتمه . انظر : الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٣٦٠) .

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « الفناء يُراد به ثلاثة أمور :

أحدها : وهو الفناء الديني الشرعي الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب : وهو أن يفنى عما لم يأمر الله به بفعل ما أمر الله به، فيفنى عن عبادة غيره بعبادته .. إلخ .

وأما الفناء الثاني : وهو الذي يذكره بعض الصوفية، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى ، فيفنى بمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، بحيث قد يغيب عن شعوره بنفسه وبما سوى الله فهذا حال ناقص ، قد يعرض لبعض السالكين ، وليس هو من لوازم طريق الله ، ولهذا لم يعرض مثل هذا للنبي ﷺ والسابقين الأولين ، ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضال ضلالاً مبيناً ، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله، فهو مخطئ بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض ليس اللوازم التي تحصل لكل سالك . =

والاصطلام، فقال: «الفناء عبارة عن اصطلام العبد لغلبة وجود الحق وقوة العلم به في العبد، فيزيد بذلك يقينه به ، ومعرفته به ، وبصفاته سبحانه ، فيذهل بذلك كما يذهل الإنسان في أمر عظيم دهمه، فإنه ربما غاب عن شعوره بما دهمه من الأمور المهمة، مثاله : رجل وقف بين يدي سلطان عظيم قاهر من ملوك الأرض فأذهله (عظمة)[1] ما يلاحظه من هيبته وسلطانه عن كثير مما يشعر (به)[2]، وهذا تقريب والأمر فوق ذلك، فكيف بمن أشهده الله عز وجل فردانيته / حيث كان ١٧ ب ولا شيء معه، فرأى الأشياء مواتاً لا قوام لها إلا بقدرته ، فشهدها خيالاً (كالهباء)[3] بالنسبة إلى وجود الحق تعالى، وذلك في البصائر القلبية بالكشف الصحيح بعد التصفية والتدريب في القيام بأعباء الشريعة وحمل أثقالها ، والتخلُّق بأخلاقها (يصفي)[4] الله عز وجل عبده من درنه ، ويكشف لقلبه فيرى حقائق الأشياء ، فمتى تجلت على العبد أنوار المشاهدة الحقيقية الروحية الدالة على عظمة الفردانية ، تلاشى الوجود الذي للعبد واضمحل ، كما يتلاشى الليل إذا أسفر عليه الصبح ، ويكون العبد في ذلك آكلاً شارباً ، فلا يظهر عليه شيء مغاير لما اعتاده، لكن يزداد إيمانه ويقينه، حتى ربما غطى إيمانه عن قلبه كل شيء في أوقات سكره، ويبقى وجوده كالخيال قائماً بالعبودية في حضرة ذي الجلال ،

= **وأما الثالث** : فهو الفناء عن وجود السوى ، بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، وأن الوجود واحد بالعين ، فهذا قول أهل الإلحاد والاتحاد ، الذين هم من أضلِّ العباد .

انظر : التدمرية (ص٢٢١-٢٢٢) . تحقيق : د. محمد بن عودة السعوي . ط. الأولى ١٤٠٥هـ .

(١) ساقطة من ع، د، س .

(٢) ساقطة من م .

(٣) ساقطة من ت .

(٤) في ع، س : وصفي ، وفي د : ليصفي .

وتعود عليه البصائر الصحيحة في معرفة الأشياء عند صحوه، ثم يزول عنه عدم التميز ، ويقوى على حاله فيتصرف (فيه)[١] ، وذلك هو البقاء، بحيث يتصرف في الأشياء، ولا يحجب عنه ما وجده من الإيمان والإيقان في حال البقاء، بل يعود عليه شعوره الأول بوجود آخر يتولاه الله عز وجل (شهد)[٢] فيه قيامه عليه بتدبيره ، ويصل إلى مقام المراد بعد (عبوره)[٣] على مقام المريد ، فيصير به يسمع، وبه ينطق كما جاء في الحديث الصحيح[٤] .

---

(١) ساقطة من د ، س .

(٢) في م ، ع ، د ، س : مشهده .

(٣) في ت : عثوره .

(٤) يشير إلى الحديث الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت : سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذني لأعيذنَّه ، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته** » . والحديث أخرجه :

- البخاري : (٧/ ١٩٠) كتاب الرقاق ، باب التواضع .
- وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : (٢/ ٥٨) .
- والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٣٢٧-٣٢٨) .
- وأبونعيم في الحلية (١/ ٤-٥) .
- والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٩) .
- والبيهقي في سننه (٣/ ٣٤٦) و (١٠/ ٢١٩) .
- وفي الأسماء والصفات (ص٦٢٣) .
- وفي الزهد (ص٢٦٩) ، تحقيق : عامر حيدر ، ط. الأولى ١٤٠٨هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

=

ووجه آخر: وهو أن الفاني في حال فنائه قبل أن يبلغ إلى مقام البقاء والصحو والتمييز يستتر من قلبه محل الزهد والصبر والورع ، لا بمعنى أن تلك المقامات ذهبت وارتفع عنها العبد ، لكن بمعنى أن الشهود ستر محلها (من القلب)[1] وانطوت واندرجت في ضمن ما وجده اندراج الحال النازل في الحال العالي، فصارت فيما وجده الواجد من وجود الحق ضمناً وتبعاً ، وصار القلب مشتغلاً بالحال الأعلى عن الحال الأدنى، بحيث لو فتّش قلب العبد لوجد فيه الزهد والورع وحقائق / الخوف والرجاء مستوراً بأمثال الجبال من الأحوال الوجودية ١٨أ التي يضيق القلب عن الاتساع لمجموعها (ثم في)[2] حال البقاء والصحو

= وإسناد هذا الحديث من الأسانيد القليلة التي انتقدت على البخاري ، فقد قال الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ٦٤١) في ترجمة خالد بن مخلد ـ أحد رواه الحديث ـ : هذا حديث غريب جداً، لولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد ؛ وذلك لغرابة لفظه ، ولأنه مما ينفرد به شريك ـ شيخ خالد بن مخلد ـ وليس بالحافظ .

ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٤١) كلام الذهبي ، ثم قال : وشريك شيخ خالد فيه مقال أيضاً ـ وهو راوي حديث المعراج الذي زاد فيه ونقص وقدَّم وأخَّر ـ وتفرد فيه بأشياء لم يُتابع عليها، ولكن للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلاً . انتهى كلامهما مختصراً .

وقد فصَّل القول في ذلك الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١٨٣-١٩٣) .

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن التردد المذكور في الحديث في الفتاوى (١٠/ ٥٨-٥٩) فقال : بيَّن الله سبحانه أنه يتردد؛ لأن التردد تعارض إرادتين ، فهو سبحانه يحب ما يحب عبده ، ويكره ما يكرهه ، وهو يكره الموت، فهو يكرهه ، كما قال : « **وأنا أكره مساءته** » وهو سبحانه قد قضى بالموت، فهو يريد أن يموت، فسمَّى ذلك تردداً، ثم بيَّن أنه لابد من وقوع ذلك . وانظر أيضاً الفتاوى (١٨/ ١٢٩-١٣١) .

(١) ما بين القوسين ساقط من : ع .

(٢) في د ، س : وفي .

(والتمييز)[١] تعود عليه تلك المقامات بالله لا بوجود نفسه .

إذا علمت ذلك انحلَّ إشكال قوله : « إن مشاهد العبد لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة لصعوده إلى معنى الحكم » ، أي : أن صفة حكم الله حشت بصيرته وملأتها، فشهد قيام الله تعالى الأشياء وتصرفه فيها وحكمه عليها، فرأى الأشياء كلها منه صادرة عن نفاذ حكمه وتقديره وإرادته القدرية، فغاب بما لاحظ من الجمع عن التمييز والفرق، ويسمى هذا جمعاً؛ لأن العبد اجتمع نظره إلى مولاه في كل حكم وقع في الكون، وفي ملاحظة هذا الحكم الذي صدرت عنه التصرفات اجتمع قلبه ، ولضعف قلبه حين هذا الاجتماع)[٢] لم (يتسع)[٣] للتمييز الشرعي (بين)[٤] الحسن والقبيح ، بمعنى أنه انطوى حكم معرفته بالحسن والقبيح في طي هذه المعرفة الساترة له عن التمييز، لا بمعنى أنه ارتفع عن قلبه حكم التحسين والتقبيح، بل اندرج في مشهده وانطوى بحيث لو (فتش)[٥] لوجد حكم التحسين والتقبيح مستوراً في طي مشهده ذلك ، وبالله التوفيق .

وتلخيص ما ذكره شيخنا رحمه الله أن للفعل وجهين : وجه (هو)[٦] قائم بالرب تعالى : وهو قضاؤه وقدره له، وعلمه به (ومشيئته النافذة فيه الموجدة له .

ووجه هو قائم بالعبد، وهو كسبه له وفعله واختياره)[٧] .

---

(١) ساقطة من : ت .

(٢) ما بين القوسين ساقط من : م .

(٣) في ت : لم يقع .

(٤) في م، ت : من .

(٥) في م، ت : قيس .

(٦) إضافة من ت ، م .

(٧) ما بين القوسين ساقط من : ع، د ، س .

والعبد له ملاحظتان : ملاحظة للوجه الأول . وملاحظة للوجه الثاني . والكمال أن لا يغيب بأحد الملاحظتين عن الأخرى ، بل يشهد قضاء الرب تعالى وقدره ومشيئته، ويشهد مع ذلك فعله وجنايته، وطاعته ومعصيته ، فيشهد الربوبية والعبودية ، فيجتمع في قلبه معنى قوله : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾[1] مع قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ / إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[3] ، وقوله تعالى : ١٨ب ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[4]، فمن الناس من يتسع قلبه لهذين الشهودين، ومنهم من يضيق قلبه عن اجتماعهما بقوة الوارد عليه وضعف المحل ، فيغيب بشهود العبودية والكسب وجهة الطاعة والمعصية ، عن شهود الحكم القائم بالرب تعالى من غير إنكار له ، فلا يظهر عليه (أثر)[5] الفعل وحكمه الشرعي ، وهذا لا يضره إذا كان الإيمان بالحكم قائماً في قلبه ، ومنهم من يغيب بشهود الحكم وسبقه وأولية الرب تعالى وسبقه للأشياء عن جهة عبوديته وكسبه وطاعته ومعصيته، فيغيب بشهود الحكم عن (شهود)[6] المحكوم به، فضلاً عن صفته ، فإذا لم يشهد له فعلاً، فكيف يشهد كونه حسناً أو قبيحاً ، وهذا أيضاً لا يضره إذا كان علمه بحسن الفعل وقبحه (قائماً في قلبه)[7]، وإنما توارى عنه لاستيلاء شهود الحكم على قلبه، وبالله التوفيق .

---

(١) سورة التكوير ، آية ٢٨ .

(٢) سورة التكوير ، آية ٢٩ .

(٣) سورة الإنسان ، آية ٢٩-٣٠ .

(٤) سورة المدثر، آية ٥٤-٥٦ .

(٥) في ، م ، ع، د ، س : إلا أثر .

(٦) ساقطة من : ع ، د، س .

(٧) ما بين القوسين ساقط من : ت .

فأين هذا من احتجاج أعداء الله بمشيئته وقدره على إبطال أمره ونهيه، وعباد[1] هؤلاء الكفرة يشهدون أفعالهم كلها طاعات لموافقتها المشيئة السابقة، ولو أغضبهم غيرهم وقصر في حقوقهم لم يشهدوا فعله طاعة، مع أنه وافق فيه المشيئة، فما احتج بالقدر على إبطال الأمر والنهي إلا من هو من أجهل الناس وأظلمهم وأتبعهم لهواه. وتأمّل قوله سبحانه بعد حكايته عن أعدائه (احتجاجهم)[2] بمشيئته وقدره على إبطال ما أمرهم به رسوله، وأنه لولا محبته ورضاه (به)[3] لما شاءه منهم ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4] فأخبر سبحانه أن الحجة له عليهم برسله وكتبه، وبيان ما ينفعهم ويضرهم ويمكنهم من الإيمان بمعرفة (أدلته وبراهينه)[5] وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول، فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك، واضمحلت حجتهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه، ثم قرر ١١٩أ تمام الحجة بقوله: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فإن هذا يتضمن / أنه المتفرد بالربوبية والملك والتصرف في خلقه، وأنه لا رب غيره ولا إله سواه، فكيف يعبدون معه إلهاً غيره، فإثبات القدر والمشيئة من تمام (حجته)[6] البالغة عليهم، وأن الأمر كله لله وأن كل شيء ما خلا الله باطل[7]، فالقضاء والقدر والمشيئة

---

(١) الكفرة منهم عبّاد، ومنهم غير ذلك.

(٢) في ع، د، س: واحتجاجهم.

(٣) ساقطة من: م.

(٤) سورة الأنعام، آية ١٤٩.

(٥) في ع، د، س: أوامره ونواهيه.

(٦) في ت: الحجة.

(٧) هذه العبارة مقتبسة من بيت قاله لبيد بن ربيعة العامري في قصيدة يرثي بها النعمان بن المنذر ونصه:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

انظر: ديوان لبيد بن ربيعة ص١٣٢، نشر دار صادر، بيروت سنة ١٣٨٦هـ. وقد أخرج=

النافذة من أعظم أدلة التوحيد، فجعلها الظالمون الجاحدون حجة لهم على الشرك، فكانت حجة الله (هي)[1] البالغة، وحجتهم (هي)[1] الداحضة، وبالله التوفيق .

إذا (عُرِفَ)[2] هذا، فموسى صلوات الله وسلامه عليه أعرف بالله وأسمائه

= البخاري ومسلم وابن ماجه والإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **«أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل ، وكاد أميّة بن أبي الصلت أن يسلم»**. انظر: صحيح البخاري (٤/ ٢٣٤) كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية . و(٧/ ١٠٧) كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه .

وصحيح مسلم (٤/ ١٧٦) كتاب الشعر .

وسنن ابن ماجه (٢/ ١٢٣٦) كتاب الأدب ، باب الشعر .

والمسند للإمام أحمد (٢/ ٢٤٨، ٣٩٣، ٤٥٨، ٤٧٠) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٧/ ١٥٣) : وفي إيراد البخاري هذا الحديث في هذا الباب ـ يعني باب مناقب الأنصار ـ تلميح بما وقع لعثمان بن مظعون بسبب هذا البيت مع ناظمه لبيد بن ربيعة قبل إسلامه ، والنبي ﷺ يومئذٍ بمكة وقريش في غاية الأذى للمسلمين، فذكر ابن إسحاق عن صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف عمن حدثه عن عثمان بن مظعون أنه لما رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة، فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين وهو آمن رد على الوليد جواره، فبينا هو في مجلس لقريش وقد وفد عليهم لبيد بن ربيعة، فقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل . فقال عثمان بن مظعون: صدقت، فقال لبيد : وكل نعيم لا محالة زائل ، فقال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد: متى كان يؤذى جليسكم يا معشر قريش ؟ فقام رجل منهم فلطم عثمان فاخضرت عينه ، فلامه الوليد على رد جواره، فقال: قد كنت في ذمة منيعة . فقال عثمان : إن عيني الأخرى لما أصاب أختها لفقيرة . فقال له الوليد : فعد إلى جوارك . فقال : بل أرضى بجوار الله تعالى .

قلت ـ القائل ابن حجر ـ : وقد أسلم لبيد بعد ذلك ... وسكن الكوفة، ومات بها في خلافة عثمان، وعاش مائة وخمسين سنة، وقيل: أكثر .

(١) ساقطة من : ع، د .

(٢) في ع ، د، س : عرفت .

وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله، فاجتباه ربه بعده وهداه واصطفاه، وآدم صلوات الله وسلامه عليه أعرف بربه من أن يحتج بقضائه (وقدره)[١] على معصيته، بل إنما لام موسى آدم على (المصيبة)[٢] والمحنة التي نالت الذرية، ولهذا قال له : « **أخرجتنا ونفسك من الجنة** »، وفي لفظ : «**خيَّبتنا**»، فاحتجّ آدمُ بالقدر على (المصيبة)[٣]، وقال: إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة (مقدرة)[٤] قبل خلقي ، والقدر يُحتج به في المصائب دون المعائب، أي: أتلومني على مصيبة قُدِّرت عليَّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة.

هذا جواب شيخنا[٥] رحمه الله . وقد يتوجه جواب آخر، وهو : أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ، ويضر في موضع ، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته، كما فعل آدم عليه السلام ، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها (ما ينتفع)[٦] به الذاكر والسامع؛ لأنه لا يدفع بالقدر أمراً (ولا نهياً)[٧] ، ولا يبطل به شريعة ، بل ١٩ب يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول / والقوة . يوضحه أن آدم عليه السلام قال لموسى : أتلومني على أن عملت عملاً كان مكتوباً عليّ قبل أن أخلق؟ فإذا أذنب الرجل ذنباً ثم تاب منه توبة (نصوحاً)[٨] وزال (أثره

---

(١) في م : وقدرته .

(٢) في ع ، د، س : المعصية .

(٣) في د : المعصية .

(٤) في ع ، د ، س : بقدره .

(٥) انظر الفتاوى (٨/ ٣١٩-٣٢٢) .

(٦) في ت : ما ينفع .

(٧) في م ، ت : ونهيا .

(٨) ساقطة من ع ، د ، س .

ومُوجِبُه)[١] حتى كأن لم يكن، فأنَّبه مؤنِّب عليه ولامَه ، حَسُن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك ، ويقول: هذا أمرٌ كان (قُدِّرَ)[٢] عليَّ قبل أُخلق، فإنه لم يدفع بالقدر حقاً، ولا ذكره حجة له على باطل، (فلا)[٣] محذور في الاحتجاج به، وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به، ففي الحال (أو المستقبل)[٤] ، بأن يرتكب فعلاً محرماً، أو يترك واجباً فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقاً ، ويرتكب باطلاً ، كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم غير الله، فقالوا : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾[٥] ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾[٦] فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه، وأنهم لم يندموا على فعله، ولم يعزموا على تركه ، ولم يقروا بفساده، فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه، وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود، فإذا لامه لائم بعد ذلك قال : (كان ما كان بقدر الله . ونكتة المسألة : أن اللوم إذا ارتفع صحّ الاحتجاج بالقدر، وإذا)[٧] كان اللوم واقعاً، فالاحتجاج بالقدر باطل .

فإن قيل : فقد احتج عَليٌّ بالقدر في ترك قيام الليل وأقرّه النبي ﷺ كما في الصحيح عن عليٍّ أن رسول الله ﷺ طَرَقه[٨] وفاطمة ليلاً، فقال لهم : «**ألا تصلُّون ؟**» . قال (علي)[٩] : فقلت : يا رسـول الله ، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء

---

(١) في ع ، د ، س : أمره .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) في ت ، ع ، د ، س : ولا .

(٤) في د ، س : والمستقبل .

(٥) كما حكاه الله عنهم في سورة الأنعام ، آية ١٤٨ .

(٦) كما حكاه الله عنهم في سورة الزخرف، آية ٢٠ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من : ت .

(٨) أي : أتاهما في الليل ، وكل آتٍ بالليل طارق . انظر النهاية (٣/ ١٢١) .

(٩) ساقطة من ع ، د ، س .

أن يبعثها بعثها[(١)] . فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ولم يرجع إليَّ شيئاً ، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقول : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا[(٢)] ﴾[(٣)] .

قيل : (علي)[(٤)] لم يحتجّ بالقدر على ترك واجب، (ولا فعل [(٥)] محرم)، وإنما قال : إن نفسه ونفس فاطمة بيد الله، فإذا شاء الله أن يوقظهما ويبعث أنفسهما

---

(١) «أن يبعثها بعثها» هكذا وردت عند النسائي، وفي بقية مراجع التخريج : «أن يبعثنا بعثنا» .

(٢) سورة الكهف ، آية ٥٤ .

(٣) رواه البخاري (٢/ ٤٣) كتاب التهجد ، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، وطَرْق النبي ﷺ فاطمة وعلياً ـ عليهما السلام ـ ليلة الصلاة :
- وفي (٥/ ٢٢٩-٢٣٠) كتاب التفسير ، باب ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ .
- وفي (٨/ ١٥٥-١٥٦) كتاب الاعتصام، باب ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ .
- وفي (٨/ ١٩٠) كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة .
- ومسلم (١/ ٥٣٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح .
- والإمام أحمد (١/ ٩١، ١١٢) .
- وعبدالله بن الإمام أحمد في زياداته على المسند (١/ ٧٧) .
- والنسائي (٣/ ٢٠٥-٢٠٦) كتاب قيام الليل ، باب الترغيب في قيام الليل .
- وفي سننه الكبرى، كتاب التفسير (٢/ ٧)، تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾.
- وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ١٧٨، ١٧٩) .
- والبيهقي في سننه (٢/ ٥٠٠) .
- وفي الأسماء والصفات (ص١٧٩-١٨٠) .
- وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٦/ ٣٠٥-٣٠٦) .
- وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٠٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) ساقطة من ت .

(٥) في د ، س : لافعل محرم ، بدون الواو ، وفي ع ساقطة .

(بعثها)[١] ، وهذا موافق لقول النبي ﷺ ليلة (ناموا)[٢] في الوادي : « **إن الله قبض أرواحنا حين شاء وردَّها حين شاء** »[٣] ، وهذا / احتجاج صحيح، صاحبه يُعذر فيه، (فإن النائم)[٤] غير مفرط[٥]، واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح .

٢٠/أ

---

(١) في د ، س : بعثهما .

(٢) في م : باتوا .

(٣) هذا الحديث من رواية عبدالله بن أبي قتادة عن أبيه .
- وأخرجه البخاري (١/ ١٤٧) كتاب مواقيت الصلاة ، باب الأذان بعد ذهاب الوقت .
- وفي (٨/ ١٩٢) كتاب التوحيد ، باب المشيئة والإرادة .
- وأبوداود (٢/ ١١٢-١١٣) كتاب الصلاة ، باب في من نام عند صلاة أو نسيها . المطبوع مع شرحه عون المعبود .
- والنسائي (٢/ ١٠٥-١٠٦) كتاب الإمامة ، باب الجماعة للفائت من الصلاة .
- والإمام أحمد (٥/ ٣٠٧) ، والإمام مالك في الموطأ (ص٣٥) كتاب وقت الصلاة ، باب النوم عند الصلاة .
- والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٠٢) و(٢/ ٢١١٦) وفي الأسماء والصفات ص١٨٠.
- والبغوي في شرح السنة (٢/ ٣٠٧) .
- وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٦٦) .

(٤) في ع ، د ، س : فالنائم .

(٥) كما ورد عن النبي ﷺ في الحديث الطويل الذي رواه أبوقتادة في قصة نومهم عن صلاة الفجر أن النبي ﷺ قال : « **ليس في النوم تفريط ، إنما التفريط في اليقظة أن تؤخر صلاة حتى يدخل وقت أخرى** » .
- والحديث رواه مسلم (١/ ٤٧٢-٤٧٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها .
- وأبوداود (٢/ ١٠٧-١٠٩، ١١٣) كتاب الصلاة ، باب فيمن نام عن صلاة أو نسيها . مطولاً ومختصراً.
- والترمذي : (١/ ٣٣٤) مختصراً ، أبواب الصلاة ، ما جاء في النوم عن الصلاة .
- والنسائي (١/ ٢٩٣-٣٩٤) مختصراً ، كتاب المواقيت ، باب فيمن نام عن الصلاة . =

وقد أرشد النبي ﷺ إلى الاحتجاج بالقدر في الموضع الذي ينفع العبد الاحتجاج به، فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ: « **المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلتُ كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان** »[1] .

فتضمن هذا الحديث الشريف أصولاً عظيمة من أصول الإيمان :

أحدها : أن الله سبحانه موصوف بالمحبة ، وأنه يحب حقيقة .

الثاني : أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها ، فهو القوي ويحب المؤمن القوي، وهو وتر يحب الوتر ، وجميل يحب الجمال ، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة ، ومؤمن يحب المؤمنين ، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين .

ومنها : أن محبته للمؤمنين تتفاضل، فيحب بعضهم أكثر من بعض .

= - وابن ماجه (١/ ٢٨٨) مختصراً، كتاب الصلاة ، باب من نام عن الصلاة أو نسيها .
- ورواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٩٨) مطولاً ، ورواه أيضاً (٥/ ٣٠٥) مختصراً .
- (١) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٢) كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله .
- ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة ص(٤٠٢-٤٠٣) .
- وابن ماجة (١/ ٣١) المقدمة ، باب في القدر .
- وفي (٢/ ١٣٩٥) كتاب الزهد ، باب التوكل واليقين . وفيه : « **فإن غلبك أمر** » بدل «**وإن أصابك شيء**» .
- والإمام أحمد (٢/ ٣٦٦، ٣٧٠) وفيه : « **فإن غلبك أمر** » بدل « **وإن أصابك شيء** » .
- والبيهقي في السنن (١٠/ ٨٩) وفي الاعتقاد ص١٥٩ .
- وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٧) .
- وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٣/ ٢٨-٢٩) .

ومنها : أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص هو : بذل الجهد ، واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محموداً ، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين :

* أن يكون حريصاً .

* وأن يكون حرصه على ما ينتفع به .

فإن حرص على ما لا ينفعه ، أو فعل ما ينفعه بغير حرص ، فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما نفع ، ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أَمَرَه أن يستعين (بالله)[1] ليجتمع له مقام ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[2] ، فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله، ولا تتم إلا بمعونته، فأمره بأن / يعبده (وأن)[3] يستعين به ، ثم قال : «ولا تعجز» فإن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي استعانته بالله، فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز ، فهذا إرشاد له قبل (وقوع المقدور)[4] إلى ما هو من أعظم أسباب حصولـه ، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده، ومصدرها منه، ومردها إليه، فإن فاته ما لم يقدر له، فله حالتان : ٢٠ ب

حالة عجز، وهي : مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى « لو » ولا فائدة في «لو» هاهنا بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن ، وذلك كله من عمل الشيطان ، فنهاه ﷺ عن افتتاح عمله بهذا المفتاح، وأمره بالحالة الثانية، وهي: النظر إلى القدر وملاحظته ، وأنه لو قدر له لم يفته، ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبقَ له ها هنا أنفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود

---

(١) في ع ، د ، س : به .

(٢) سورة الفاتحة ، آية ٥ .

(٣) ساقطة من ت .

(٤) في ع ، د ، س : رجوع المقدور . وفي م : وقوع القدر .

(المقدور)[١] ، وإذا انتفت امتنع وجوده، فلهذا قال : « **فإن غلبك أمرٌ فلا تقل لو أني فعلتُ لكان كذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل** »[٢] ، فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين : حالة حصول مطلوبه ، وحالة فواته .

فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبداً، بل هو أشد شيء إليه ضرورة ، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار والقيام (بالعبودية)[٣] ظاهراً وباطناً، في حالتي حصول المطلوب وعدمه . وبالله التوفيق .

* * *

---

(١) في م : المعدوم .

(٢) وهذا لفظ رواية الإمام أحمد ، وابن ماجه في إحدى روايتيه ، كما سبق بيانه في التخريج .

(٣) في د ، س : والعبودية .



الباب الرابع

في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه ، وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله وسائر ما يلقاه ، وذكر الجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك







الباب الرابع

في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه، وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله (وعمله)[١] وسائر ما يلقاه، وذكر الجمع بين الأحاديث

عن عبدالله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق[٢] - : « إن أحدكم (يجمع)[٣] خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة[٤] مثل ذلك، ثم يكون مضغة[٥] مثل / ذلك ، ثم يرسل الله إليه المَلَك فينفخ ٢١أ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب[٦] رزقه وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ». متفق عليه[٧] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من د .

(٢) الصادق في قوله ، المصدوق فيما يأتيه من الوحي الكريم . انظر شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ١٩٠) .

(٣) في ع ، د ، س : ليجمع ، وما أثبت من م ، ت ، وصحيحي البخاري ومسلم .

(٤ ، ٥) العَلَقة : المني ينتقل بعد طوره فيصير دماً غليظاً متجمداً . ثم ينتقل طوراً آخر فيصير لحماً وهو المضغة ، سُمِّيت بذلك لأنها مقدار ما يمضغ . انظر المصباح المنير (ص٤٢٦) مادة (علق) . تأليف : أحمد الفيومي ، نشر المكتبة العلمية ، بيروت .

(٦) قال ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٨٢) : وضبط « بكتب » بوجهين : أحدهما : بموحدة مكسورة وكاف مفتوحة ومثناة ساكنة ثم موحدة على البدل . والآخر : بتحتانية مفتوحة بصيغة الفعل المضارع . وهو أوجه؛ لأنه وقع في رواية آدم : « فيؤذن بأربع كلمات فيكتب » وكذا في رواية أبي داود وغيره .

(٧) رواه البخاري (٧/ ٢١٠) كتاب القدر، في فاتحته عن أبي الوليد، وفي كتاب التوحيد (٨/ ١٨٨ باب : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ عن آدم، كلاهما عن شعبة . وفي كتاب بدء الخلق (٤/ ٧٨-٧٩) باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم. عن الحسن بن الربيع، عن أبي=

وعن حُذيفة بين أسيد يبلغ به النبي ﷺ قال : « **يدخل المَلَك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة، فيقول: يا رب أشقي أم سعيد، فيكتبان، فيقول : أي رب : أذكر أم أنثى ؟ فيكتبان ، ويُكتب عملُهُ وأثره وأجله ورزقه ، ثم تُطوى الصحيفة، فلا يزاد فيها ولا ينقص** » رواه مسلم(١) .

وعن عامر بن واثلة: أنه سمع عبدالله بن مسعود يقول : الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وُعظ بغيره، فأتى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يُقال له حذيفة بن أسيد الغفاري، فحدثه بذلك من قول ابن مسعود، فقال : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال له الرجل : أتعجب من ذلك ؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها مَلَكاً**

= الأحوص. وفي كتاب الأنبياء (٤/ ١٠٣-١٠٤) باب خلق آدم وذريته عن عمر بن حفص ابن غياث عن أبيه .

- ورواه مسلم (٤/ ٢٠٣٦) كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته .

- وأبوداود (١٢/ ٤٧٤-٤٧٥) كتاب السنة ، باب في القدر .

- والترمذي (٤/ ٣٨٨-٣٨٩) كتاب القدر ، باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم . وقال : وهذا حديث حسن صحيح .

- وابن ماجه (١/ ٢٩) المقدمة ، باب في القدر .

- والحميدي في مسنده (١/ ٦٩) تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(١) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٧-٢٠٣٨) كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله ، وشقاوته وسعادته. عن محمد بن نمير وزهير بن حرب، كلاهما عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة .. به ، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٧) ، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٠) ، والآجري في الشريعة (ص١٨٢)، والدولابي في الكنى (١/ ٧٤) ، وابن وهب في القدر (ص٤٤) .

فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها، ثم قال: يا رب، أذكَر أم أنثى؟ فيقضي ربك (ما شاء)[1] ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب، أجله؟ فيقضي ربك (ما شاء)[1]، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب، رزقه؟ فيقضي ربك (ما شاء)[1]، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك (بالصحيفة)[2] في يده فلا يزيد على ما أُمِرَ ولا ينقُص»[3].

وفي لفظ آخر: سمعت رسول الله ﷺ بأُذنيَّ هاتين يقول: «**إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور[4] عليها / المَلَك**». قال زهير[5] بن معاوية: أحسبه قال: (**الذي يخلقها**)[6] (**فيقول: يا رب، أذكَر أم أنثى؟ ثم يقول: يا رب أسوي أم**

---

(١) في ع، د: ما يشاء: وما أثبت من م و ت. ومن صحيح مسلم.

(٢) في م: الصحيفة.

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٠٣٧) كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.
- والإمام أحمد (٤/ ٦-٧).
- وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٩).
- والآجري في الشريعة (ص١٨٣).
- واللالكائي في السنة (٤/ ٥٩٣).

(٤) في صحيح مسلم: «يتصور» بالصاد. قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (٦/ ١٩٤): هكذا هو في جميع نسخ بلادنا: «يتصور» بالصاد، وذكر القاضي: «يتسور» بالسين، والمراد بـ «يتسور»: يقول: وهو استعارة من تسورت الدار: إذا نزلت فيها من أعلاها، ولا يكون التسور إلا من فوق، فيحتمل أن تكون الصاد الواقعة في نسخ بلادنا مبدلة من السين. والله أعلم.

(٥) هو: زهير بن معاوية بن حديج، أبوخيثمة الجعفي الكوفي، نزيل الجزيرة، ثقة ثبت، إلا أن سماعه عن أبي إسحاق بأخرة، من السابعة، مات سنة اثنتين وسبعين، أو ثلاث، أو أربع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة مائة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٦٥)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٥١)، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٨١).

(٦) في د: فيجعلها.

غير سوي ؟ فيجعله الله سوياً أو غير سوي ، ثم يقول : يا رب ، ما رزقه وما أجله وما خلقه ؟ ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً »[١] .

وفي لفظ آخر : **« إن مَلَكاً موكلاً بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئاً بإذن الله (لبضع)**[٢] **وأربعين ليلة»**، ثم ذكر نحوه[٣] . وهذا الحديث بطرقه انفرد به مسلم[٤].

وعن أنس بن مالك، قال : قال رسول الله ﷺ : **«إن الله عز وجل (قد)**[٥] **وكل بالرحم ملكاً ، فيقول : أي (رب)**[٦] **نطفة ؟ أي رب : علقة ؟ أي رب : مضغة ؟ وإذا أراد (الله)**[٧] **أن يقضي خلقاً قال الملك : أي رب ، ذكر أو أنثى ، شقي أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه »**. متفق عليه[٨] .

---

(١) رواه مسلم (٢٠٣٨/٤) كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته . عن محمد بن أحمد بن أبي خلف، عن يحيى بن أبي بكير، عن زهير بن معاوية ، عن عبدالله بن عطاء، عن عكرمة بن خالد ، عن أبي الطفيل.

(٢) في ع ، د ، س : ولبضع ، بزيادة الواو .

(٣) رواه مسلم (٢٠٣٨/٤) كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته . عن عبدالوارث بن عبدالصمد، عن أبيه ، عن ربيعة بن كلثوم، عن أبيه ، عن أبي الطفيل، به .

(٤) كما يتضح ذلك من خلال تخريج طرقه آنفة الذكر .

(٥) ساقطة من د ، س .

(٦) لفظة « رب » ليست في م .

(٧) لفظ الجلالة لم يرد في د ، س .

(٨) رواه البخاري (١/ ٨٢) في كتاب الحيض ، باب « مخلقة وغير مخلقة » عن مسدَّد . وفي كتاب الأنبياء (٤/ ١٠٤) خلق آدم وذريته عن أبي النعمان ، وفي كتاب القدر (٧/ ٢١٠) في فاتحته عن سليمان بن حرب.

– وورواه مسلم (٢٠٣٨/٤) كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته . عن أبي كامل الجحدري ـ أربعتهم عن حماد بن زيد عن عبيدالله بن أبي بكر، عن أنس بن مالك . =

وقال ابن وهب : أخبرني يونس[١] عن ابن شهاب[٢] أن (عبدالرحمن بن هنيدة[٣])[٤] حدثهم أن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله أن يخلق النسمة قال ملك الأرحام (معها)[٥] : يا رب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي الله بأمره، ثم يقول : يا رب شقي أم سعيد ؟ فيقضي الله أمره ، ثم يكتب بين عينيه ما هو لاقٍ حتى النكبة[٦] »[٧] .

= - ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١١٦-١١٧، ١٤٨) .
- ورواه عبدالله بن الإمام أحمد في كتاب السنة (٢/ ٣٩٦) .
- والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٢١) ، وفي كتاب الأسماء والصفات (ص١٧٨) .
- وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٢-٨٣) .
- والفريابي في القدر (ص٢٢١) ، ومن طريقه الآجري في الشريعة (ص١٨٤) .

(١) هو : يونس بن يزيد بن أبي النجاد ، ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً .

(٢) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري متفق على جلالته وإتقانه، وسبقت ترجمته في ص(١٤٥) .

(٣) في ع، د ، س : سعيد بن عبدالرحمن بن هنيدة ، وما أثبت من م ، ت ، ومن كتاب القدر لابن وهب .

(٤) هو : عبدالرحمن بن هنيدة أو ابن أبي هنيدة ، العدوي بالولاء ، المدني ، رضيع عبدالملك، ثقة من الطبقة الرابعة ، روى له أبوداود في القدر ، تقريب التهذيب (١/ ٥٠١) ، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٩١) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من م، وما أثبت من: ت، ع، وفي كتاب القدر لابن وهب: مُعَرِّضاً .

(٦) يُقال : نكبت أصبعه : أي أصابها حجر فأدماها . هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص ١٩٨) تحقيق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

(٧) انظر القدر لابن وهب (ص١٣٧) .

- ومن طريقه رواه الدارمي في كتاب الرد على الجهمية (ص٨٠) ، وقال الألباني : إسناده جيد، رجاله ثقات غير ابن هنيدة ، وقد وثقه أبوداود كما في خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي (ص٢٣٦) . =

قال ابن وهب : وأخبرني عبدالله بن لهيعة[(١)] عن بكر بن سوادة[(٢)] (الجذامي)[(٣)] عن أبي تميم[(٤)] الجيشاني عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : « إذا

= - وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٥٤) .
- واللالكائي في السنة (٤/ ٥٩٤-٥٩٥) .
- والحافظ المزي في تهذيب الكمال (١٧/ ٤٧٢-٤٧٣) في ترجمة عبدالرحمن بن هنيدة.
- وأبويعلى في مسنده (١٠/ ١٥٤-١٥٥) .
- والفريابي في القدر (ص٢١٦-٢١٧ من طريق يونس بن أبي النجاد .. به .
- وعنه الآجري في الشريعة (ص/ ١٨٤) .
- ورواه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢٣) من طريق سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه .
- وساقه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٣) وقال : رواه أبويعلى والبزار ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .
وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣/ ٧٥) وعزاه إلى أبي يعلى .

(١) هو : عبدالله بن لهيعة ـ بفتح اللام وكسر الهاء ـ ابن عقبة الحضرمي ، أبوعبدالرحمن المصري، القاضي ، صدوق ، من السابعة ، اختلط بعد احتراق كتبه ، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما، وله في مسلم بعض شيء مقرون ، مات سنة أربع وسبعين ومائة ، وقد ناف على الثمانين . روى له أبوداود والترمذي وابن ماجه .
تقريب التهذيب (١/ ٤٤٤) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٧٣-٣٧٩) .

(٢) هو : بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي ، أبوثمامة المصري، ثقة فقيه ، من الطبقة الثالثة ، مات سنة بضع وعشرين ومائة ، روى له البخاري تعليقاً ، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (١/ ١٠٦) وانظر تهذيب التهذيب (١/ ٤٨٣)، وتهذيب الكمال (٤/ ٢١٤) ، والتاريخ الكبير (٢/ ٨٩) .

(٣) في ع، د، س : الجدمي .

(٤) هو : عبدالله بن مالك بن أبي الأسحم ـ أبوتميم الجيشاني ـ بجيم وياء ساكنة وبعدها معجمة، مشهور بكنيته ، المصري، ثقة ، مخضرم ، من الثانية ، مات سنة سبع وسبعين . روى له مسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه وأبوداود في القدر . تقريب التهذيب (١/ ٤٤٤) ، وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ٣٧٩-٣٨٠) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٧٣) .

دخلت ـ يعني النطفة ـ في الرحم أربعين، أتى مَلَك النفس فعرج إلى الرب، فقال: يا رب، عبدك أذكر أو أنثى؟ فيقضي الله بما هو قاضٍ، (ثم يقول: يارب)[1] أشقي أم سعيد ؟ فيكتب ما هو كائن) .. وذكر بقية[2] الحديث[3] .

وقال ابن وهب : أخبرني ابن لهيعة عن كعب بن[4] علقمة عن عيسى (بن)[5] هلال[6] عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال : **إذا مكثت النطفة في رحم المرأة أربعين ليلة جاءها ملَك فاختلجها[7] ، ثم عرج بها إلى الله / عز وجل** ٢٢أ

---

(١) ما بين القوسين من القدر للفريابي (ص٢٠٧) ، وهي زيادة يقتضيها السياق .

(٢) وبقية الحديث هي : « فيكتب ما هو كائن بين عينيه ، فتلا أبوذر من فاتحة سورة التغابن خمس آيات » .

(٣) انظر القدر لابن وهب (ص١٤٩)، ورواه ابن جرير في تفسيره (٢٨/ ١١٩)، والفريابي في كتاب القدر (ص٢٠٦-٢٠٧) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٨٢) ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

ورجال إسناد هذا الحديث ثقات إلا ابن لهيعة فهو صدوق اختلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن وهب عنه صحيحة كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في التقريب . وقد صرَّح ابن لهيعة بالسماع عند ابن جرير .

(٤) هو : كعب بن علقمة بن كعب المصري ، التنوخي ، أبوعبدالحميد ، صدوق من الطبقة الخامسة ، مات سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل: بعدها ، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم وأبوداود والترمذي والنسائي . تقريب التهذيب (٢/ ١٣٥)، وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٦) .

(٥) في ع، د ، س : عن .

(٦) هو : عيسى بن هلال الصدفي ، المصري ، صدوق ، من الطبقة الرابعة ، روى له البخاري في الأدب المفرد ، وروى له أبوداود والترمذي والنسائي .

تقريب التهذيب (٢/ ١٠٣)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٣٦) .

(٧) الخلج : الجذب والنزع . انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ٥٩) .

(فقال)[١] : اخلق يا أحسن الخالقين، فيقضي الله فيها بما يشاء من أمره ، ثم تدفع إلى الملك فيسأل الملك عند ذلك، فيقول : يا رب أسَقْط[٢] أم يتم ؟ فيبين له، ثم يقول : يا رب أواحد أو توأم ؟ فيبين له ، ثم يقول : (يا رب أذكر أم أنثى؟ فيُبيّن له، ثم يقول : يا رب ، أناقص الأجل أم تام الأجل ؟ فيُبيّن له ، ثم يقول : يا رب)[٣] اقطع رزقه مع خلقه فيقضيهما جميعاً، فوالذي نفس محمد بيده، لا ينال إلا ما قسم له يومئذٍ، إذا أكل رزقه قُبض[٤] .

وقال عبدالله بن أحمد[٥] : (أخبرنا أحمد بن العلاء)[٦][٧] حدثنا أبوالأشعث[٨]

---

(١) ما بين القوسين من كتاب القدر لابن وهب (ص١٦٣) .

(٢) السِّقْط : هو الولد الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامه . انظر النهاية (٢/ ٣٧٨) .

(٣) مابين القوسين ساقط من ع، د ، س .

(٤) انظر القدر لابن وهب (ص١٦٣) ، ورواه الفريابي في القدر ص(٢٢٢-٢٢٣) . واللالكائي في السنة (٤/ ٦٧٥) .

(٥) هو : عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، أبوعبدالرحمن ، ولد الإمام ، ثقة من الثانية عشرة ، مات سنة تسعين ومائتين ، وله بضع وسبعون . روى له النسائي . تقريب التهذيب (١/ ٤٠١) ، وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ١٤١-١٤٣) ، وتهذيب الكمال (١٤/ ٢٨٥-٢٩٢) .

(٦) في ع، د ، س : أنبأنا العلاء .

(٧) هو: أحمد بن العلاء، الجوزجاني، ثم البغدادي، أبوعبدالله، ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين، وسمع أحمد بن المقدام، وغيره ، وحدَّث عنه : الدارقطني وآخرون، وكان شيخاً صالحاً ثقة، مات في ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٤٨) .

(٨) هو : أحمد بن المقدام ، أبوالأشعث العجلي ، بصري، صدوق ، صاحب حديث ، طعن أبوداود في مروءته؛ حيث قال : كان يُعلِّم المُجّان المجون ، وذلك أن بالبصرة مُجّاناً يلقون صرة الدراهم ثم يرقبونها ، فإذا جاء من يرفعها صاحوا به وخجّلوه ، فعلّم أبوالأشعث المارة أن يتخذوا صرة فيها زجاج ، فإذا أخذوا صرة الدراهم فصاح صاحبها ، وضعوا بدلها في الحال صرة الزجاج . قال ابن عدي : وهذا لا يؤثر فيه؛ لأنه من أهل الصدق . =

حدثنا أبوعامر[١] عن الزبير بن عبدالله[٢] حدثني جعفر بن[٣] مصعب، قال: سمعت عروة بن الزبير[٤] يحدث عن عائشة عن النبي ﷺ قال : **« إن الله سبحانه حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكاً فيدخل الرحم، فيقول : أي رب ماذا؟ فيقول : غلام أو جارية أو ما شاء أن يخلق في الرحم. فيقول : أي رب أشقي أم سعيد؟ فيقول : شقي أو سعيد ، فيقول : أي رب ما أجله ؟ فيقول : كذا وكذا ، فيقول : ما خلقه ؟ ما خلائقه ؟ فيقول : كذا وكذا ، فما شيء إلا وهو يخلق معه في الرحم »**[٥] .

= من الطبقة العاشرة ، مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، وله بعض وتسعون سنة . روى له البخاري ، والترمذي، والنسائي ، وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٢٦) ، وتهذيب التهذيب (١/ ٨١-٨٢)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٩-٢٢١)، والكامل لابن عدي (١/ ١٨٣-١٨٤) .

(١) هو : عبدالملك بن عمرو القيسي ، أبوعامر العقدي : بفتح المهملة والقاف، ثقة ، من التاسعة ، مات سنة أربع أو خمس ومائتين ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٥٢١) ، وانظر تهذيب التهذيب (٦/ ٤٠٩) .

(٢) هو : الزبير بن عبدالله بن أبي خالد الأموي ، مولاهم ، يقال له : ابن رهيمة ، مقبول من السابعة ، روى عن نافع والقاسم بن محمد وجعفر بن مصعب وغيرهم ، وروى عنه ابن المبارك ، وأبوعامر العقدي وغيرهما ، وذكره ابن حبان في الثقات . تقريب التهذيب (١/ ٢٥٨) ، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣١٦) ، والثقات لابن حبان (٦/ ٣٣٢) .

(٣) هو : جعفر بن مصعب بن الزبير ، قاله ابن حبان ، مقبول من السادسة ، روى عن عروة عن عائشة ، وعنه الزبير بن عبدالله بن أبي خالد مولى عثمان . روى له أبوداود في القدر . تقريب التهذيب ٠١/ ١٣٢) ، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٠٧-١٠٨) .

(٤) هو : عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد ، الأسدي ، أبوعبدالله المدني ، ثقة فقيه مشهور، من الطبقة الثانية ، مات سنة أربع وتسعين على الصحيح ، ومولده في أوائل خلافة عمر الفاروق، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ١٩)، وتهذيب التهذيب (٧/ ١٨٠-١٨٥).

(٥) رواه الآجري في الشريعة (ص١٨٤). ورواه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢٣-٢٤)=

وفي المسند من حديث إسماعيل[١] بن عبيدالله ـ وهو ابن (أبي)[٢] المهاجر ـ أن أم الدرداء[٣] حدثته عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**فرغ الله ـ عز وجل ـ (إلى كل)[٤] عبد من خمس: من أجله، ورزقه، ومضجعه، وأثره، وشقي أم سعيد**»[٥].

= عن محمد بن المثنى، قال: حدثنا أبوعامر .. به. وقال البزار: لا نعلمه يروى عن عائشة إلا بهذا الإسناد. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٣) وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات. ورواه ابن عدي في الكامل (٣/ ١٠٨٢) في ترجمة الزبير بن عبدالله، وذكر له عدة أحاديث، منها هذا الحديث، ثم قال: وأحاديث زبير هذا منكرة المتن والإسناد، لا تروى إلا من هذاا لوجه.

(١) هو: إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر المخزومي، مولاهم، الدمشقي، أبوعبدالحميد، ثقة من الرابعة، مؤدب ولد عبدالملك، واستعمله عمر بن عبدالعزيز على إفريقية. روى عن أنس وأم الدرداء وغيرهما، وروى عنه ربيعة بن يزيد والأوزاعي وغيرهما. مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وله سبعون سنة، روى له الستة إلا الترمذي. تقريب التهذيب (١/ ٧٢)، وتهذيب التهذيب (١/ ٣١٧-٣١٨)، وتهذيب الكمال (٣/ ١٤٣-١٥١).

(٢) ساقطة من ع.

(٣) أم الدرداء، زوج أبي الدرداء، اسمها هجيمة، وقيل: جهمية الأوصابية، الدمشقية، وهي الصغرى، وأما الكبرى فاسمها خيرة، ولا رواية لها في هذه الكتب، والصغرى ثقة، فقيهة، من الثالثة، ماتت سنة إحدى وثمانين، روى لها الستة. تقريب التهذيب (١/ ٦٢١)، وانظر تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٦٥-٤٦٦).

(٤) في م: لكل.

(٥) انظر مسند الإمام أحمد (٥/ ١٩٧)، وقد رواه بسندين، أحدهما ذكره المؤلف هنا، والآخر عن الفرج بن فضالة عن خالد بن يزيد، عن أبي حلبس، عن أم الدرداء، به.
- ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٣٢-١٣٤) من هذين الطريقين، ومن طرق أخرى عن يونس بن حلبس عن أم الدرداء، به، وقد صحح الألباني الحديث بهذه الطرق كما في تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم، وصحيح الجامع الصغير وزياداته (٤/ ٨٣). ورواه عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة (٢/ ٣٩٦). =

وقال ابن حميد[١] : حدثنا يعقوب[٢] بن عبدالله عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ، قال : « **إذا وقعت النطفة في الرحم (مكثت)[٣] أربعة أشهر وعشراً ، ثم تنفخ فيها الروح ثم (مكثت)[٤] أربعين ليلة، ثم يُبعث إليها ملك فنقفها [٥] في نقرة القفا**[٦] ،

= - ورواه الدولابي في الكنى (٢/ ١٥٤) لكنه قال : وعمله بدل قوله : وشقي أم سعيد.
وبمثله رواه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ١٨).
- ورواه الفريابي في القدر ص٢٢٨ .
- ورواه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢٤) عن عبدالله بن أحمد، قال : حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا العوام بن صبيح، حدثنا يونس بن ميسرة بن حلبس عن أم الدرداء، به وذكر أربعاً . وقال البزار : روي عن أبي الدرداء من غير وجه ، وهذا أحسنها .
- وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٥) وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، وأحد إسنادي أحمد رجاله ثقات . (يعني السند الذي ذكره المؤلف هنا) .
- ورواه الطيالسي في مسنده ص١٣٢ .
- واللالكائي في السنة (٤/ ٩٧) .
- والبيهقي في القدر ص٥٨ .
- والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٥٢) .

(١) هو : محمد بن حميد بن حيان الرازي ، حافظ ضعيف ، وكان ابن معين حسن الرأي فيه ، من العاشرة ، مات سنة ثلاثين ومائتين . روى له أبوداود والترمذي وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ١٥٦) ، وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ١٢٧-١٣١) .

(٢) هو : يعقوب بن عبدالله بن سعد الأشعري ، أبوالحسن القُمِّيّ ، بضم القاف وتشديد الميم، صدوق يهم ، من الثامنة ، مات سنة أربع وسبعين ومائة . روى له البخاري تعليقاً ، وروى له الأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٧٦)، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٣٩٠-٣٩١) .

(٣) في ع ، د ، س : تلبث .

(٤) في ع ، د ، س : تلبث .

(٥) نقفها : أي ضربها . انظر النهاية لابن الأثير (٥/ ١١٠) .

(٦) نقرة القفا : حفرة في آخر الدماغ . المصباح المنير (ص٦٢١) مادة « نقر » .

وكتب شقياً أو سعيداً »[١] .

وروى ابن أبي خيثمة[٢] : حدثنا عبدالرحمن بن المبارك[٣] : حدثنا حماد بن[٤] زيد ، عن أيوب[٥] ، عن محمد[٦] ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ / قال : « السعيد من سعد في بطن أمه». رواه أبوداود في القدر عبدالرحمن عن حمّاد (عن هشام[٧] بن حسان)[٨] عن محمد (به[٩])[١٠] .

٢٢ ب

(١) رواه اللالكائي في السنة (٤/ ٥٩٧-٥٩٨) . وفي إسناده محمد بن حميد وهو ضعيف، وهو موقوف على ابن عباس ﷺ . ومتنه شاذ لأنه مخالف لحديث عبدالله بن مسعود ﷺ المتفق على صحته ، والذي سبق تخريجه في ص(١١٨-١١٩) .

(٢) سبقت ترجمته في (ص١٧٢) .

(٣) هو : عبدالرحمن بن المبارك ، العيشي ، بالتحتانية والمعجمة ، الطفاوي، البصري، ثقة ، من كبار العاشرة ، روى له البخاري وأبوداود والنسائي . تقريب التهذيب (١/ ٤٩٦) ، وانظر تهذيب التهذيب (٦/ ٢٦٣) .

(٤) ثقة ، سبقت ترجمته في (ص١٩٥) .

(٥) هو: أيوب السختياني ، ثقة ، سبقت ترجمته في (ص١٩٤) .

(٦) هو : محمد بن سيرين الأنصاري ، أبوبكر بن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى ، من الثالثة ، مات سنة عشر ومائة ، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ١٦٩) ، وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٢١٤-٢١٧) .

(٧) هو : هشام بن حسان الأزدي القردوسي ، بالقاف وضم الدال ، أبوعبدالله البصري ، ثقة، من أثبت الناس في ابن سيرين ، وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال ؛ لأنه قيل: كان يرسل عنهما ، من السادسة ، مات سنة سبع أو ثمان وأربعين ومائة . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٣١٨) ، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٣٤-٣٧) .

(٨) ما بين القوسين ساقط من ت . وفي م : عن هناد : وما أثبت من ع، د، س ، والمعجم الصغير للطبراني .

(٩) ساقطة من م .

(١٠) رواه أبوداود في كتاب القدر كما أشار إليه المؤلف . =

وقال أحمد بن[1] (عبيد)[2] : أخبرنا علي بن عبدالله[3] (بن)[4] (مبشر)[5] حدثنا عبدالحميد بن بيان[6] ، حدثنا

= ورواه اللالكائي من طريق ابن أبي خيثمة هذا ومن طريقين آخرين . انظر السنة للالكائي (٤/ ٥٩٦) .

- والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٥) من طريق أبي داود هذا، وقال : لم يروه عن هشام إلا حماد ، تفرد به عبدالرحمن .

- ورواه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢٣) من طريق أبي داود هذا، وفيه زيادة : «**الشقي من شقي في بطن أمه**» وقال : لا نعلم رواه عن هشام إلا حماد ، ولا عنه إلا عبدالرحمن . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٣) وقال : رواه البزار والطبراني في الصغير ، ورجال البزار رجال الصحيح .

(١) هو : المحدث المعمّر الصدوق ، شيخ واسط ، أبوبكر أحمد بن عبيد بن الفضل بن سهل بن بيري الواسطي، آخر أصحاب علي بن عبدالله بن مُبَشّر الواسطي، حدَّث عنه ، وعن محمد بن الحسن الزعفراني وعبدالباقي بن قانع وعدة، وروى عنه الفقيه أبوالحسين محمد ابن علي الشافعي ، وأبوالحسين محمد بن محمد بن مخلد البزاز ، وغيرهما ، وسماع ابن مخلد منه في سنة نيف وأربع ومائة . سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٧-١٩٨) .

(٢) في ع، د ، س : عبد .

(٣) هو : الإمام الثقة المحدث ، أبوالحسن علي بن عبدالله بن مُبشّر الواسطي ، سمع عبدالحميد بن بيان ، وأحمد بن سنان القطان، وعمار بن خالد التمار وطبقتهم ، وحدَّث عنه أبوأحمد الحاكم، والدارقطني وزاهر بن أحمد، وآخرون كثير . مات سنة أربع وعشرين وثلاث مائة . سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥-٢٦) .

(٤) ساقطة من ت .

(٥) في ت ، د ، س : ميسرة .

(٦) هو : عبدالحميد بن بيان بن زكريا الواسطي، أبوالحسن السكري ، صدوق ، من العاشرة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال بحشل : توفي سنة أربع وأربعين ومائتين . روى له مسلم وأبوداود وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٤٦٧) وانظر تهذيب التهذيب (٦/ ١١١)، والثقات لابن حبان (٨/ ٤٠١) .

خالد بن عبدالله[(١)] عن يحيى (بن)[(٢)] عبيدالله[(٣)] عن أبيه[(٤)] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ / : **« الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من سعد في بطن أمه »**[(٥)] .

وقال سعيد[(٦)] عن (أبي)[(٧)] إسحاق[(٨)] عن (أبي)[(٩)]

---

(١) خالد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن يزيد الطحان الواسطي ، المزني مولاهم ، ثقة ، ثبت ، من الثامنة ، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وكان مولده سنة عشر ومائة . روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢١٥) ، وانظر تهذيب التهذيب (٣/ ١٠٠-١٠١) .

(٢) في ت ، د ، س : عن .

(٣) هو : يحيى بن عبيدالله بن مَوْهَب ـ بفتح الميم والهاء بينهما واو ساكنة ـ التيمي المدني، متروك، وأفحش الحاكم فرماه بالوضع، من السادسة . روى له الترمذي وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ٣٥٣) ، وتهذيب التهذيب (١١/ ٢٥٢-٢٥٤) ، والكامل لابن عدي (٧/ ٢٥٩) .

(٤) عبيدالله بن عبدالله بن مَوْهَب، أبويحيى التيمي المدني، مقبول، من الثالثة، روى له البخاري في الأدب المفرد ، وروى له أبوداود والترمذي والنسائي في مسند علي ، وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٥٣٥) ، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ٢٥-٢٦) .

(٥) رواه الآجري في الشريعة ص١٨٥. واللالكائي في السنة (٤/ ٥٩٦) . وفي إسناده يحيى بن عبيدالله بن موهب ، وهو متروك .

(٦) سعيد هذا لم أعرف من هو ، وقد بحثت عنه في تلاميذ أبي إسحاق السبيعي ـ المذكور في السند ـ ولم أعثر له على ذكر .

(٧) في ت : ابن .

(٨) هو : عمرو بن عبدالله الهمداني ، أبوإسحاق السبيعي ـ بفتح المهملة وكسر الموحدة ـ مكثر ، ثقة عابد ، من الثالثة ، اختلط بأخرة ، مات سنة تسع وعشرين ومائة ، وقيل: قبل ذلك . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٧٣) ، وتهذيب التهذيب (٨/ ٦٣-٦٧) ، وتهذيب الكمال (٢٢/ ١٠٢-١١٣) ، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩٢-٤٠١) .

(٩) ساقطة من ع .

الأحوص[(١)] (عن عبدالله)[(٢)] قال : « الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وُعظ بغيره »[(٣)] .

وقال شعبة[(٤)] عن مخارق[(٥)] عن طارق[(٦)] عن عبدالله بن مسعود قال : إن أصدق الحديث كتاب الله ، (وإن أحسن)[(٧)] الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، فاتبعوا ولا تبتدعوا، فإن الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من

---

(١) هو : عوف بن مالك بن نَضْلة ـ بفتح النون وسكون المعجمة ـ الجُشَمي ـ بضم الجيم وفتح المعجمة ـ الأحوص الكوفي ، مشهور بكنيته ، ثقة ، من الثالثة ، قتل في ولاية الحجاج على العراق، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٩٠) . وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ١٦٩) .

(٢) في م : عن ابن مسعود . وعبدالله هو ابن مسعود .

(٣) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة (٢/ ٣٩٩) . والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٠٣) ، وابن ماجه في سننه (١/ ١٨) المقدمة ، مطولاً ، وقد سبق تخريجه في (ص) في بداية حديث مرفوع رواه عامر بن واثلة .

(٤) هو : شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم، أبوبسطام الواسطي ، ثم البصري ، ثقة حافظ متقن ، كان الثوري يقول : هو أمير المؤمنين في الحديث . وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال ، وذبَّ عن السنة ، وكان عابداً ، من السابعة ، مات ستين ومائة ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٥١) ، وانظر تهذيب التهذيب (٤/ ٣٣٨-٣٤٦).

(٥) هو : مخارق بن خليفة ، وقيل : ابن عبدالله الأحمسي ، أبوسعيد الكوفي ، من الثالثة ، روى له البخاري ، وأبوداود في القدر ، والترمذي، والنسائي . تقريب التهذيب (٢/ ٢٣٣). وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٦٧) .

(٦) هو : طارق بن شهاب بن عبدشمس البجلي الأحمسي ، أبوعبدالله الكوفي ، قال أبوداود : رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه ، مات سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٦٧) . وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ٣) .

(٧) في م ، ع ، د ، س : وأحسن .

وُعظ بغيره (وكان عبدالله بن مسعود إذا كان ليلة الجمعة قام، فقال : إن أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أحسن الهدي هدي محمد، وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وُعظ بغيره)[١] ، وإن شر الرَّوَايا[٢] رَوَايا الكذب، وشر الأمور محدثاتها ، وكل ما هو آتٍ قريب) . رواهن أبوداود في القدر[٣] .

---

(١) ما بين القوسين ساقطة من : ع، د ، س .

(٢) هي جمع رَوِيَّة ، وهي ما يُروِّي الإنسان في نفسه من القول والفعل : أي يُزوِّرُ ويُفكِّر . وأصلها الهمز ، يقال: رَوَّأت في الأمر . وقيل: هي جمع رَاوِية ؛ للرجل الكثير الرواية ، والهاء للمبالغة . وقيل : جمع راوية : أي الذين يروُون الكذب : أي تكثر رواياتهم فيه . النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٧٩) .

(٣) رواه أبوداود في كتاب القدر كما ذكر المؤلف . وروى هذا الأثر الدارمي في سننه (١/ ٦١) بنحوه . المقدمة ، باب في كراهية أخذ الرأي.
ورواه البخاري (٨/ ١٣٩) كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنة الرسول ﷺ بنحوه دون قوله : « **وإن الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وُعظ بغيره** » . ورواه أيضاً (٧/ ٩٦) كتاب الأدب ، باب في الهدي الصالح مختصراً . ولفظه : قال عبدالله بن مسعود : إن أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ . ورواه الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٤٨) مختصراً . وورد قوله : « **إن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أحسن الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها** » مرفوعاً إلى النبي ﷺ من رواية جابر بن عبدالله لخطبته ﷺ. ورواه مسلم (٢/ ٥٩٢-٥٩٣) كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة. وأوله: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته .. وفيه : ويقول : « **أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة** » .
ورواه النسائي (٣/ ١٨٨) كتاب صلاة العيدين ، باب كيفية الخطبة ، وفيه : « **إن أصدق الحديث كتاب الله** » .
ورواه ابن ماجه (١/ ١٧) المقدمة ، باب اجتناب البدع والجهل .. وفيه : « **إن خير الأمور كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة** » .
ورواه الإمام أحمد (٣/ ٣١٠، ٣١٩، ٣٧١) .

وذكر (الطبراني[(١)])[(٢)] من رواية (أبي)[(٣)] إسحاق[(٤)] عن أبي (عبيدة[(٥)])[(٦)] عنه أنه كان يجيء كل يوم خميس يقوم قائماً لا يجلس فيقول : إنما هما اثنتان ، فأحسن الهدي هدي محمد، وأصدق الحديث كتاب الله، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدث ضلالة، وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، وإن السعيد من وُعظ بغيره، ألا فلا يطولنّ عليكم الأمد ، ولا يلهينّكم الأمل، فإن كل ما هو آتٍ قريب، وإنما البعيد ما ليس آتياً، وإن من شرار الناس بطال النهار جيفة الليــل، (وإن قتل المؤمن كفر، وإن سبابه فسـوق)[(٧)]، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه

---

(١) هو : أبوالقاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، الطبراني ، صاحب المعاجم الثلاثة ، الحافظ ، الثبت ، ولد سنة ستين ومائتين ، وإليه المنتهى في كثرة الحديث وعلوه ، فإنه عاش مائة سنة وعشرة أشهر، وسمع وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وحدَّث عن ألف شيخ أو يزيدون ، منهم أبوزرعة الدمشقي ، وإسحاق الدبري، وغيرهما، وحدَّث عنه ابن منده، وأبونعيم الأصبهاني ، وغيرهما، توفي سنة ستين وثلاثمائة بأصبهان . سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩-١٣٠) ، وطبقات الحفاظ (ص٣٧٢-٣٧٤) ط. الأولى ، ١٤٠٣هـ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) في ع، د، س : الطبري .

(٣) في ت : ابن .

(٤) هو : عمرو بن عبدالله الهمداني ، ثقة . سبقت ترجمته في (ص٢٤٨) .

(٥) في ع، د ، س : عبدة .

(٦) هو : أبوعبيدة بن عبدالله بن مسعود ، مشهور بكنيته ، والأشهر أنه لا اسم له غيرها، ويقال : اسمه عامر ، كوفي ثقة ، من كبار الثالثة ، والراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه، مات بعد سنة ثمانين ، روى له الأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٤٤٨) ، وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ٥٧-٧٦) .

(٧) قولـه : « قتل المؤمن كفر ، وإن سبابه فسوق » ورد مرفوعاً إلى النبي ﷺ من رواية عبدالله ابن مسعود نفسه، وأخرجه البخاري في (١/ ١٧-١٨) كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن =

١٢٣أ فوق ثلاث [١]، ألا إن شر الرَّوايا روايا الكذب ، وإنه لا / يصلح من

= من أن يحبط عمله وهو لا يشعر . وفي (٧/ ٨٤) كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن . وفي (٨/ ٩١) كتاب الفتن . باب قول النبي ﷺ : « **لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** » .

ورواه النسائي (٧/ ١٢١-١٢٢) كتاب تحريم الدم - باب قتال المسلم .

ومسلم (١/ ٨١) كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

والترمذي (٤/ ٣١١) كتاب البر والصلة ، باب سباب المسلم فسق وقتاله كفر . وفي (٥/ ٢٢) كتاب الإيمان، باب ما جاء: سباب المؤمن فسق . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧/ ١٢٢) كتاب تحريم الدم ، باب قتال المسلم .

والإمام أحمد (١/ ٤٣٩) . والحميدي في مسنده (١/ ٥٨) .

ورواه ابن ماجه (١/ ٢٧) المقدمة ، باب في الإيمان . وفي (٢/ ١٢٩٩) كتاب الفتن، باب سباب المسلم فسوق وقتاله كفر .

والإمام أحمد (١/ ٣٨٥، ٤١١، ٤٣٣، ٤٥٤) .

ورواه النسائي أيضاً (٧/ ١٢١) من رواية سعد بن أبي وقاص . والإمام أحمد (١/ ١٧٦) وزاد فيه : « **ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام** » وبمثله رواه عبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١٦٨) باب المهاجرة والحسد . تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ط. الثانية ١٤٠٣هـ ، نشر المجلس العلمي بالهند . قال ابن حجر في الفتح (١/ ١١٢) : قوله : المسلم - يعني قوله : « **سباب المسلم فسوق** » - كذا في معظم الروايات ، ولأحمد عن غندر عن شعبة « المؤمن » فكأنه رواه بالمعنى ، قال الترمذي : ومعنى الحديث : قتاله كفر ليس به كفراً مثل الارتداد عن الإسلام .. وقد رُوي عن ابن عباس وطاووس وعطاء ، وغير واحد من أهل العلم، قالوا : كفر دون كفر ، وفسوق دون فسوق . انظر جامع الترمذي (٥/ ٢٢) .

(١) قوله : « **ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث** » ورد ذلك جزءاً من حديث مرفوع إلى النبي ﷺ رواه عدد من الصحابة، منهم : أنس بن مالك ، وأبوأيوب الأنصاري بألفاظ متقاربة . ورواية أنس لفظها عند مسلم : أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق** =

الكذب جد ولا هزل، ولا أن يعد الرجل (صبيه)[١] ، ثم لا ينجزه[٢] ، ألا وإن

= **ثلاث»**. وقد أخرجها : مالك في الموطأ (٥٦٦) كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة . ومن طريقه البخاري (٧/ ٩١) كتاب الأدب، باب الهجرة . ورواه البخاري أيضاً (٧/ ٨٨) كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر .

ومسلم (٤/ ١٩٨٣) كتاب البر والصلة والآدب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر.

وأبوداود (١٣/ ٢٥٥) كتاب الأدب ، باب في هجرة الرجل أخاه .

والترمذي (٤/ ٢٩٠) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحسد. وقال: حديث حسن صحيح.

وعبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١٦٧-١٦٨) باب المهاجرة والحسد .

والإمام أحمد (٣/ ١١٠،١٦٥،١٩٩،٢٠٩،٢٢٥) .

ورواية أبي أيوب أخرجها : مالك في الموطأ (ص٥٦٥) كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في المهاجرة ، ومن طريقه البخاري (٧/ ٩١) كتاب الأدب ، باب الهجرة .

ورواه البخاري أيضاً (٧/ ١٢٨) كتاب الاستئذان ، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة .

ومسلم (٤/ ٤١٩٨٤) كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، وأبوداود (١٣/ ٢٥٦) كتاب الأدب .

وعبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١٦٨) باب المهاجرة والحسد .

والإمام أحمد (٥/ ٤١٦،٤٢١،٤٢٢) .

والحميدي في مسنده (١/ ١٨٦-١٨٧) .

وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما عند مسلم (٤/ ١٩٨٤) كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي .

وعن أبي هريرة ﷺ عند أبي داود (١٣/ ٢٥٦، ٢٥٨) كتاب الأدب ، باب في هجرة الرجل أخاه .

وعن عائشة رضي الله عنها عند أبي داود أيضاً (١٣/ ٢٥٧) كتاب الأدب ، باب في هجرة الرجل أخاه .

(١) في ع ، د ، س : صفية .

(٢) وقوله : **« وإنه لا يصلح من الكذب جد ولا هزل، ولا أن يعد الرجل صبيه ثم لا ينجزه»**. رواه البخاري في الأدب المفرد ص(١٤٠) باب لا يصلح الكذب. =

الكـذب يهـدي إلى الفجـور، وإن الفجـور يهدي إلى النار، وإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الصادق يقال لـه: صدق وبر، وإن الكاذب يقال لـه: كذب وفجر، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد ليصدق فيكتب عند الله صـدِّيقاً، وإنـه ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً، ألا هل تدرون ما العَضه**[1] **؟ هي**

= والإمام أحمد في مسنده (١/ ٤١٠) وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده . انظر المسند بتحقيقه (٥/ ٣٤٣) . وابن جرير في تفسيره (١١/ ٦٣) دون قولـه: « **ولا أن يعد الرجل ...** » ، وفي تهذيب الآثار ، مسند علي بن أبي طالب ص١٤٦-١٤٧ تخريج الشيخ محمود شاكر ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وابن عدي في الكامل (١/ ٤١) الباب الثامن عشر، الكاذب يكتب عند الله تعالى كذاباً، ويهديه كذبه إلى الفجور .

وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٥٩١) كتاب الأدب ، باب ما جاء في الكذب . مختصراً .

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣١٦) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه .

ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٢٧) عن ابن مسعود مرفوعاً إلى النبي ﷺ ومتصلاً مع الحديث الذي بعده، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين وإنما تواتر الروايات بتوقيف أكثر هذه الكلمات، فإن صح سنده، فإنه صحيح على شرطهما . ووافقه الذهبي . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣١٧) ولم ينسبه إلى غيرهما .

(١) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ١٥٩) هذه اللفظة رووها على وجهين :

أحدهما : العِضْه ـ بفتح العين وإسكان الضاد المعجمة ـ على وزن العده والزنه .

والثاني : العَضْه ـ بفتح العين وإسكان الضاد ـ على وزن الوجه .

وهذا الثاني هو الأشهر في روايات بلادنا ، والأشهر في كتب الحديث وكتب غريبه ، والأول أشهر في كتب اللغة . وتقدير الحديث ـ والله أعلم ـ : ألا أنبئكم ما العضه الفاحش الغليظ التحريم .

النميمة التي تفسد بين الناس »[(١)] ، وهذا متواتر[(٢)] عن عبدالله[(٣)] .

---

(١) روى هذا الجزء المرفوع مسلم (٤/ ٢٠١٢) كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم النميمة بتقديم وتأخير واختلاف يسير . وقد روى عبدالله بن مسعود نفسه عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب كذاباً** » .

وأخرجه البخاري (٧/ ٩٥) كتاب الأدب ، باب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ وما ينهى عن الكذب . ورواه مسلم (٤/ ٢٠١٢-٢٠١٣) كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، من عدة طرق. وأبوداود (١٣/ ٣٣٣-٣٣٤) كتاب الأدب، باب التشديد في الكذب . والترمذي (٤/ ٣٠٦) كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الصدق والكذب. وقال : حديث حسن صحيح. والإمام مالك في الموطأ ص٦١٢ كتاب الكلام ، باب ما جاء في الصدق والكذب ، موقوفاً على عبدالله بن مسعود . والإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٨٤، ٤٣٢) . وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٥٩٠-٥٩١) كتاب الأدب ، باب ما جاء في الكذب .

(٢) المتواتر هو : ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم من أوله إلى آخره . وذلك بأن يكونوا جمعاً لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم من أول الإسناد إلى آخره ، ولذلك يجب العمل به من غير بحث عن رجاله ، ولا يعتبر فيه عدد معين في الأصح . تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (٢/ ١٧٦) .

(٣) هذا الأثر رواه كاملاً من رواية ابن مسعود ـ كما ذكر المؤلف ـ الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٩٨، ١٠٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٠٠-٢٠١) ، وعبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١١٦) عن معمر، عن جعفر بن برقان ، قال : قال عبدالله بن مسعود . وأبويعلى في مسنده (٩/ ٢٤٥) بأكثره . ورواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٨) المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل. من رواية ابن مسعود مرفوعاً . والقضاعي في مسنده الشهاب (٢/ ٢٦٣-٢٦٤). وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٦) . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في إقامة الدليل (ص٥٩) : رواه ابن ماجه ، وابن أبي عاصم بأسانيد جيدة . ثم قال : لكن المشهور أنه موقوف على ابن مسعود .

وبلغ معاوية[١] أن الوباء اشتد بأهل دار، فقال : لو حوّلناهم عن مكانهم ، فقال له أبوالدرداء : وكيف لك يا معاوية بأنفس قد حضرت آجالها ؟! فكأن معاوية وَجَدَ[٢] على أبي الدرداء ، فقال له كعب[٣] : يا معاوية ، لا تجد على أخيك، فإن الله سبحانه لم يدعْ نفساً (حين)[٤] تستقر نطفتها في الرحم أربعين ليلة إلا كتب خَلقها ، وخُلقها ، وأجلها ، ورزقها، ثم لكل نفس ورقة خضراء معلقة بالعرش، فإذا دنا أجلها خَلُقَت[٥] تلك الورقة حتى تيبس ثم تسقط ، فإذا يبست سقطت تلك النفس وانقطع أجلها ورزقها . ذكره أبوداود عن محمود بن خالد[٦]،

---

(١) هو : معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي ، أبوعبدالرحمن ، الخليفة ، صحابي ، أسلم قبل الفتح ، وكتب الوحي ، ومات في رجب سنة ستين ، وقد قارب الثمانين . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٩) ، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٠٧) ، وأسد الغابة (٤/ ٤٣٣-٤٣٦) .

(٢) وَجَد عليه أي : غضب . النهاية لابن الأثير (٥/ ١٥٥) .

(٣) هو : كعب بن ماتع الحميري ، أبوإسحاق ، المعروف بكعب الأحبار ، ثقة من الثانية ، مخضرم ، كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في خلافة عثمان ، وقد زاد على المائة، وليس له في البخاري رواية ، وفي مسلم رواية لأبي هريرة عنه. روى له أبوداود والترمذي والنسائي ، وابن ماجه في التفسير . تقريب التهذيب (٢/ ١٣٥) ، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٨-٤٤٠) .

(٤) في م ، ت : حتى .

(٥) قال في المصباح المنير (١/ ١٨٠) مادة (خلق): خَلُقَ الثوب ـ بالضم ـ؛ إذا بلي، فهو خَلَقٌ ـ بفتحتين .

(٦) هو : محمود بن خالد السلمي ، أبوعلي الدمشقي ، ثقة ، من صغار العاشرة ، مات سنة سبع وأربعين ومائتين ، وله ثلاثة وسبعون سنة، روى له أبوداود والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ٢٣٢) . وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٦١) .

حدثنا مروان[١] حدثنا معاوية بن[٢] سلاَّم، حدثني أخي زيد بن سلاَّم[٣] عن جده ابن سلاَّم[٤] قال: بلغ معاوية .. فذكره[٥].

وقال أبوداود: حدثنا واصل بن عبد الأعلى[٦] حدثنا ابن فضيل[٧] عن الحسن بن عمرو الفُقَيمي[٨]

---

(١) هو: مروان بن محمد بن حسان الأسدي، الدمشقي، الطاطري ـ بمهملتين مفتوحتين ـ ثقة من التاسعة، مات سنة عشر ومائتين وله ثلاث وستون سنة. روى له مسلم في المقدمة، وروى له الأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٣٩)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٩٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٠).

(٢) هو: معاوية بن سلاَّم ـ بالتشديد ـ ابن أبي سلام، أبوسلام الدمشقي، وكان يسكن حمص، ثقة، من السابعة، مات في حدود سنة سبعين ومائة، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٩). وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٣) هو: زيد بن سلاَّم بن أبي سلاَّم ممطور الحبشي ـ بالمهملة والموحدة والمعجمة ـ ثقة، من السادسة، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (١/ ٢٧٥). وانظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٤١٥-٤١٦).

(٤) هو: ممطور الأسود الحبشي أبوسلاَّم، ثقة يرسل، من الثالثة، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٣) انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٩٦).

(٥) لم أعثر له على تخريج، ورجال إسناده ثقات، وهو من أخبار كعب.

(٦) هو: واصل بن عبدالأعلى بن هلال الأسدي، أبوالقاسم أو أبومحمد الكوفي، ثقة من العاشرة، مات سنة أربع وأربعين ومائتين. روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٢٨) وانظر: تهذيب التهذيب (١١/ ١٠٤).

(٧) هو: محمد بن فضيل بن غَزْوان ـ بفتح المعجمة وسكون الزاي ـ الضبي، مولاهم، أبوعبدالرحمن الكوفي، صدوق عارف، رُمي بالتشيع، من التاسعة، مات سنة خمس وتسعين ومائتين. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٠-٢٠١)، وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٤٠٥-٤٠٦).

(٨) هو: الحسن بن عمرو الفُقَيمي ـ بضم الفاء وفتح القاف ـ الكوفي، ثقة ثبت، من السادسة، =

عـن الحكم[١] عن مجاهد في قولـه تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[٢] قال : ما من مولود يُولد إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد[٣] .

وفي الصحيحين عن أُبيّ بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً** »[٤] .

= مات سنة اثنتين وأربعين ومائة . روى له البخاري وأبوداود والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ١٦٩) ، وانظر تهذيب التهذيب (٢/ ٣١٠-٣١١) .

(١) هو : الحكم بن عُتيبة ـ بالمثناة ثم الموحدة مصغراً ـ أبومحمد الكندي الكوفي، ثقة ثبت فقيه، إلا أنه ربما دلَّس، من الخامسة ، مات سنة ثلاث عشرة ومائة ، أو بعدها، وله نيف وستون سنة . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ١٩٢)، و انظر تهذيب التهذيب (٢/ ٤٣٢-٤٣٤) .

(٢) سورة الإسراء ، آية ١٣ .

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسير (١٥/ ٥١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٥٠) وزاد نسبته إلى أبي داود في كتاب القدر وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) رواه مسلم ـ واللفظ له ـ في (٤/ ٢٠٥٠) كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موتى أطفال الكفار ، وأطفال المسلمين . وأبوداود (١٢/ ٤٧٢-٤٧٣) كتاب السنة ، باب في القدر . والترمذي (٥/ ٢٩٢) أبواب التفسير، تفسير سورة الكهف . وقال: حديث حسن صحيح غريب . وعبدالله ابن الإمام أحمد في زياداته على المسند (٥/ ١٢١) . وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٦) . والبيهقي في القدر ص(٥٩-٦٠، ٣٦١) . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ١٠٨) . واللالكائي في السنة (٤/ ٦٠٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٢٦)، زاد نسبته إلى ابن مردويه . ورواه مسلم أيضاً في (٤/ ١٨٤٧-١٨٥٣) كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، من طرق أخرى عن أبي بن كعب رضي الله عنه مطولاً بنحو ما قصَّه الله سبحانه وتعالى عن موسى والخضر في سورة الكهف. وبمثله رواه البخاري مطولاً ومختصراً في المواضع التالية:

ـ (١/ ٢٦) كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام في البحر ، =

....

= وقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ .
- (١/ ٢٧-٢٨) كتاب العلم ، باب الخروج في طلب العلم .
- (١/ ٣٨) كتاب العلم ، باب ما يستحب للعالم إذا سُئل أي الناس أعلم ، فيَكِل العلم إلى الله .
- (٣/ ٤٩) كتاب الإجارة ، باب إذا استأجر أجيراً على أن يقيم حائطاً يريد أن ينقض جاز .
- (٣/ ١٧٦-١٧٧) كتاب الشروط ، باب الشروط مع الناس بالقول .
- (٤/ ٩٢) كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده .
- (٤/ ١٢٦-١٢٩) كتاب الأنبياء ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام .
- (٥/ ٢٣٠-٢٣١) كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ .
- (٥/ ٢٣٢-٢٣٤) كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ .
- (٥/ ٢٣٤-٢٣٥) كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ .
- (٧/ ٢٢٧) كتاب الأيمان والنذور ، باب إذا حنث ناسياً في الأيمان .
- (٨/ ١٩٣-١٩٤) كتاب التوحيد ، باب في المشيئة والإرادة .
- وأبوداود (١٢/ ٤٧٣) كتاب السنة ، باب في القدر .
- والترمذي (٥/ ٢٨٩-٢٩٢) أبواب التفسير ـ تفسير سورة الكهف . وقال : حديث حسن صحيح .
- والنسائي في كتاب التفسير (٢/ ١٢-٢١) من سننه الكبرى ، وفي كتاب (العلم) كما عزاه المزي في تحفة الأشراف (١/ ٢٤) .
- والإمام أحمد (٥/ ١١٦ ، ١٢٠) وابنه عبدالله في زيادته على المسند (٥/ ١١٧ ، ١١٨) .
- والحميدي في مسنده (١/ ١٨٢-١٨٤) ، والطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٨-٢٨٢) .
- وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١/ ٣٠٤-٣٠٥) .
- وبهذا يتبيَّن أن البخاري لم يخرج الرواية التي ذكرها الإمام ابن القيم هنا ، وقد ذكر المزي في تحفة الأشراف (١/ ٢٣-٢٤) الحديث بالرواية المطولة، وأشار إلى تخريج البخاري ومسلم =

٢٣ ب وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت : تُوفي صبي من الأنصار / فقلت : طوبى[1] له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه . فقال : «**أو غير ذلك يا عائشة ؟ إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، (وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم)[2]**»[3] .

ولا يناقض هذا حديث سمرة[4] بن جندب الذي رواه البخاري في صحيحه من رؤيا النبي ﷺ أطفال المشركين حول إبراهيم الخليل في الروضة[5]، فإن

= لها، ثم ذكر الرواية المختصرة ـ التي أوردها ابن القيم هنا ـ وعزاها إلى مسلم وأبي داود والترمذي، ثم قال : وهو بعض الحديث الأول ، ولعل هذا ما جعل ابن القيم ينسبه إلى الصحيحين .

(١) طُوبَى : اسم الجنة . وقيل: هي شجرة فيها . وأصلها : فُعْلى ، من الطيب ، فلما ضُمَّت الطاء انقلبت الياء واواً . النهاية (٣/ ١٤١) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٠) كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، عن سليمان بن معبد ، عن الحسين بن حفص . وعن إسحاق بن منصور ، عن محمد بن يوسف كلاهما عن سفيان الثوري . وعن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع . وعن محمد بن الصباح ، عن إسماعيل بن زكريا، ثلاثتهم عن طلحة بن يحيى، عن عمته عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ... به . ورواه أبوداود (١٢/ ٤٨٥) كتاب السنة ، باب ذراري المشركين . والنسائي (٤/ ٥٧) كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الصبيان . وابن ماجه (١/ ٣٢) المقدمة ، باب في القدر . والإمام أحمد (٦/ ٢٠٨) . وأبوداود الطيالسي في مسنده ص٢٢٠. والآجري في الشريعة ص١٩٥-١٩٦.

(٤) هو : سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، حليف الأنصار، صحابي مشهور، له أحاديث، مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٣٣) وتهذيب التهذيب (٤/ ٢٣٦) .

(٥) وهو حديث طويل وأوله: قال سمرة بن جندب رضي الله عنه : كان النبي ﷺ إذا صلى صلاةً أقبل علينا بوجهه فقال: «**من رأى منكم الليلة رؤيا**». قال: فإن رأى أحد قصَّها، فيقول : «**ما** =

الأطفال منقسمون إلى شقي وسعيد كالبالغين ، (فالذين رآهم)[1] حول إبراهيم

= **شاء الله »** ، فسألنا يوماً فقال : **« هل رأى أحدٌ منكم رؤيا ؟ »** قلنا : لا . قال : **« لكني رأيتُ الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي .. إلى أن قال : فانطلقا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان .. »** ثم ذكر تفسير ذلك بقوله : **«والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس»** . وقد رواه البخاري بتمامه في (٢/ ١٠٤-١٠٥) كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين. وفي (٨/ ٨٤-٨٦) كتاب التعبير ، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح . ورواه أيضاً مقطعاً ومختصراً في المواضع التالية :

- (١/ ٢٠٥) كتاب الصلاة ، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم .
- (٢/ ٤٦-٤٧) كتاب التهجد ، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل من الليل .
- (٣/ ١١) كتاب البيوع ، باب آكل الربا وشاهده وكاتبه .
- (٣/ ٢٠٢) كتاب الجهاد ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله .
- (٤/ ٨٤) كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى؛ غفر لـه ما تقدم من ذنبه .
- (٤/ ١١١) كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ .
- (٥/ ٢٠٧-٢٠٨) كتاب التفسير ، تفسير سورة براءة ، باب قوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ﴾ .
- (٧/ ٩٥) كتاب الأدب ، باب قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .
- ورواه مسلم (٤/ ١٧٨١) في آخر كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبي ﷺ مختصراً . والترمذي (٤/ ٤٧١) في آخر كتاب الرؤيا ، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ مختصراً، وقال : حديث حسن صحيح. والنسائي في السنن الكبرى بتمامه في كتاب الرؤيا، وبأكثر الحديث في كتاب التفسير (١/ ٥٥٥). وانظر تحفة الإشراف (٤/ ٨٢). ورواه الإمام أحمد (٥/ ٨، ٩، ١٤) . والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٨٦-٢٩٤) . والبغوي في شرح السنة (٨/ ٥٠-٥٣) . والبيهقي في سننه (٢/ ١٨٧-١٨٨) . و(٥/ ٢٧٥) . وفي كتاب القدر ص(٣٥٣) . وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٢٧-٤٣١) .

(١) في ع، د ، س : فالذي رآه .

السعداء من أطفال المسلمين والمشركين ، وأنكر على عائشة شهادتها للطفل المعيَّن (بأنه)[١] عصفورٌ من عصافير الجنة، (وقد يكون من القسم الآخر كالشهادة للبالغين، وبالله التوفيق) [٢] .

فاجتمعت هذه الأحاديث والآثار على تقدير رزق العبد وأجله وشقاوته وسعادته وهو في بطن أمه ، واختلفت في وقت هذا التقدير، وهذا تقدير بعد التقدير الأول السابق على خلق السماوات والأرض، وبعد التقدير الذي وقع يوم استخراج الذرية بعد خلق أبيهم آدم، ففي حديث ابن مسعود أن هذا التقدير يقع بعد مائة وعشرين يوماً من حصول النطفة في الرحم، وحديث أنس غير مؤقت ، وأما حديث حذيفة بن أسيد فقد وقَّت فيه التقدير بأربعين يوماً، وفي لفظ بأربعين ليلة، وفي لفظ ثنتين وأربعين ليلة ، وفي لفظ بثلاث وأربعين (ليلة)[٣]، وهو حديث انفرد به مسلم ولم يروه البخاري، وكثير من الناس يظن التعارض بين الحديثين ، ولا تعارض بينهما بحمد الله، (فإن)[٤] (المَلَك)[٥] الموكل بالنطفة يكتب ما يقدره الله سبحانه على رأس الأربعين الأولى حتى (يأخذ)[٦] في الطور الثاني وهو العلقة، وأما المَلَك الذي ينفخ فيه (الروح)[٧] فإنما ينفخها بعد الأربعين الثالثة / فيُؤمر عند نفخ الروح فيه بكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته. وهذا تقدير آخر غير التقدير الذي كتبه المَلَك الموكل بالنطفة، ولهذا قال

٢٤ أ

(١) في ع ، د ، س : أنه .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٣) ساقطة من م ، ت .

(٤) في ع ، د ، س : وإن .

(٥) ساقطة من م .

(٦) ساقطة من م .

(٧) ساقطة من ع، د ، س .

في حديث ابن مسعود : « **ثم يرسل إليه المَلَك فيُؤمر بأربع كلمات** » وأما المَلَك الموكل بالنطفة ، فذاك راتب معها ينقلها بإذن الله من حال إلى حال، (فتقدير)[١] الله سبحانه شأن النطفة حتى تأخذ في مبدأ التخليق وهو العلق ، (وتقدير)[٢] شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يوماً ، فهو تقدير بعد تقدير .

فاتفقت أحاديث رسول الله ﷺ وصدّق بعضها بعضاً ، ودلَّت كلها على إثبات القدر السابق ومراتب القدر، وما يُؤتى أحدٌ إلا من غلط في الفهم أو غلط في الرواية ، (ومتى)[٣] صحّت الرواية وفهمت كما ينبغي (تَبَيَّن)[٤] أن الأمر كله من مشكاة واحدة صادقة متضمنة لنفس الحق ، وبالله التوفيق .

* * *

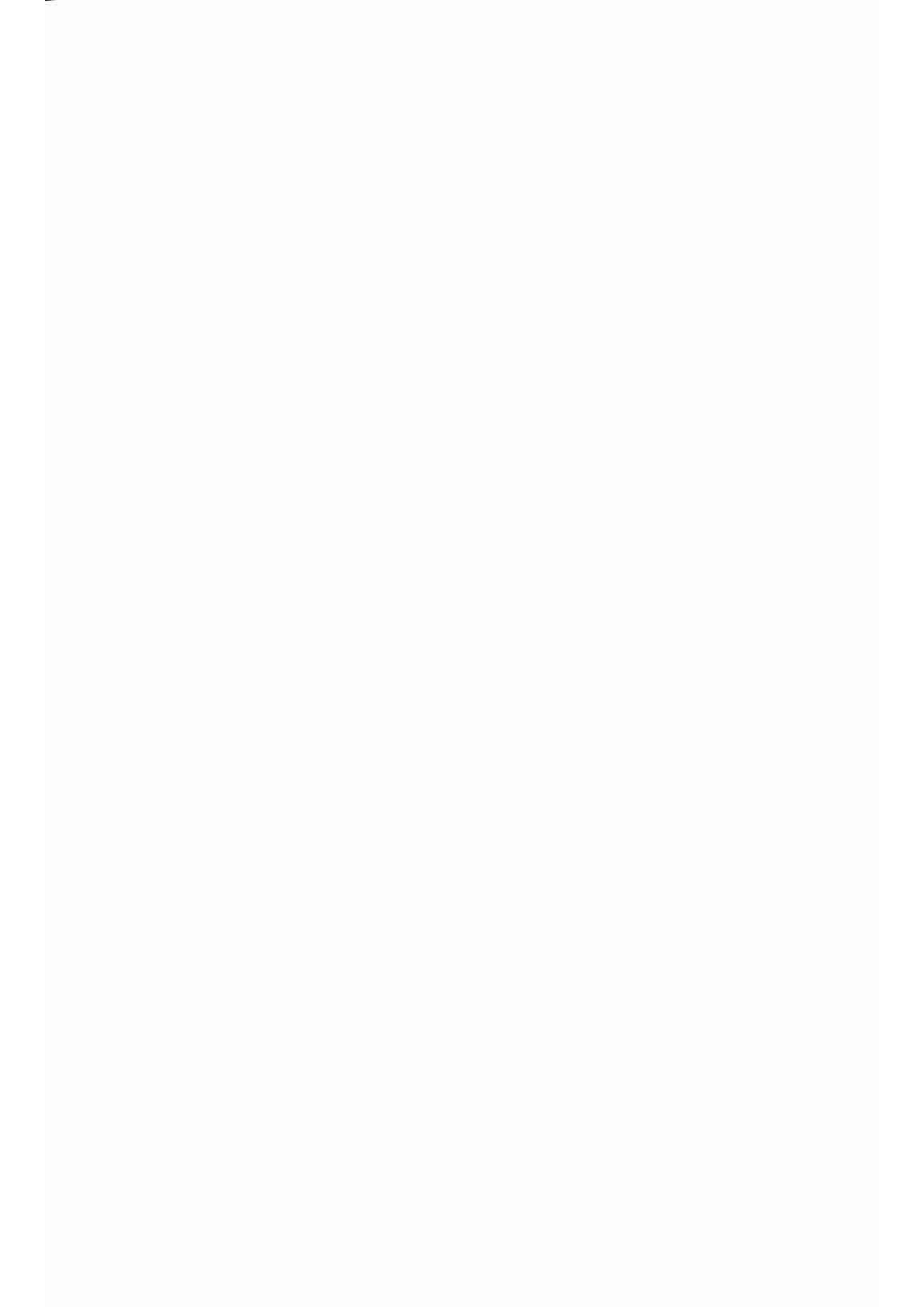
---

(١) في م ، ع ، د ، س : فيقدر .

(٢) في م ، ع ، د ، س : ويقدر .

(٣) في د : متى ـ دون الواو ـ .

(٤) في ع : تبين لنا .



الباب الخامس

في ذكر التقدير الرابع ليلة القدر






الباب الخامس
في ذكر التقدير الرابع ليلة القدر

قال الله تعالى : ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥﴾[١]، وهذه هي ليلة القدر قطعاً، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[٢]، ومن زعم أنها ليلة النصف من شعبان فقد غلط[٣] ، قال سفيان[٤] عن ابن

---

(١) سورة الدخان ، الآيات (١-٥) .

(٢) سورة القدر ، آية (١) .

(٣) وممن قال: إنها ليلة النصف من شعبان : عكرمة ، ورجَّح ابن جرير الطبري قول من قال: إنها ليلة القدر ، وحكاه عن عدد من علماء السلف ، انظر تفسيره (٢٥/١٠٨، ١٠٩) وقال ابن كثير في تفسيره (٤/١٣٧) هي ليلة القدر، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان، كما رُوي عن عكرمة، فقد أبعد النجعة .

(٤) أبهم هنا سفيان ، ولم يعيِّن ، ويحتمل أن يكون سفيان الثوري ، أو سفيان بن عيينة ، وذلك لأنهما متعاصران ويشتركان في أغلب شيوخهما وتلاميذهما ، ومنهم ابن أبي نجيح شيخ سفيان في هذه الرواية، كما يشتركان في كثير من الروايات ، وهذا ما جعل تحديد الراوي منهما هنا فيه صعوبة كبيرة ، واحتاج إلى وقت ليس بالقليل ، حيث إنني راجعت تهذيب الكمال ، وسير أعلام النبلاء وغيرهما من كتب التراجم، ولم يتبيَّن لي من المقصود بذلك ، والتميز بينهما في بعض الروايات أشكل على بعض العلماء ، كابن حجر وأحمد شاكر ، إلا أنني بعد ذلك وجدت هذا الأثر مخرجاً في تفسير عبدالرزاق ، وفي شعب الإيمان للبيهقي ، ومصرحاً فيه بأن سفيان : هو الثوري ، فزال الإشكال بحمد الله . وانظر فتح الباري (٨/ ٢٧٠) وتفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر (٨/ ٢٦١) ، وتفسير سفيان بن عيينة (ص٩-١٠) جمع وتحقيق أحمد محايري . ط. الأولى ١٤٠٣هـ نشر المكتب الإسلامي بدمشق ، وتهذيب الكمال (١١/ ١٥٤-١٧٧) ، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩) و (٨/ ٤٥٤) .

وسفيان الثوري هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبوعبدالله الكوفي، ثقة ، =

أبي نجيح[١] عن مجاهد : ليلة القدر : ليلة الحكم[٢] .

وقال سفيان عن محمد بن سوقة[٣] عن سعيد بن جبير : يُؤذن للحجاج في ليلة القدر ، فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، فلا يُغادرُ منهم أحدٌ ، ولا يُزادُ فيهم ، ولا يُنقَص (منهم)[٤][٥] .

وقال ابن عُليّة[٦] : حدثنا ربيعة بن كلثوم[٧] قال : قال رجل للحسن ـ وأنا

= حافظ ، فقيه ، عابد، إمام حجة ، من رؤوس الطبقة السابعة، وربما دلس ، مات سنة إحدى وستين ومائة ، وله أربع وستون سنة ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣١١) وتهذيب التهذيب (٤/ ١١١-١١٥) وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩) .

(١) هو : عبدالله بن أبي نجيح ، يسار المكي ، أبويسار الثقفي ، مولاهم ، ثقة ، رُمي بالقدر، وربما دلَّس ، من الطبقة السادسة ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة ، أو بعدها . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٥٦) ، وتهذيب التهذيب (٦/ ٥٤) ، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٢٥) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٥٩) وعبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٣٦٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٢١) ، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٦٧-٥٦٨) ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، ومحمد بن نصر ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) هو : محمد بن سُوقَة ـ بضم المهملة ـ الغَنَوي ـ بفتح المعجمة والنون الخفيفة ، أبوبكر الكوفي، العابد، ثقة، مرضي، عابد، من الطبقة الخامسة، وروى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ١٦٨)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٠٩-٢١٠) ، وانظر سير أعلام النبلاء (٦/ ١٣٤) .

(٤) ساقطة من ت .

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٥٩) .

(٦) هو : إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم ، أبوبشر البصري، المعروف بابن عُلَيَّة ـ بضم العين وفتح اللام وتشديد الياء المفتوحة ـ ثقة حافظ ، من الثامنة ، مات سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن ثلاث وثمانين . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٦٦)، وتهذيب التهذيب (١/ ٢٧٥-٢٧٩)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٧) ، والمغني في ضبط أسماء الرجال ص١٧٨ .

(٧) هو : ربيعة بن كلثوم بن جبر ـ بجيم وموحدة ساكنة ـ البصري، روى عن أبيه وبكر =

أسمع ـ: أرأيتَ ليلة القدر في كل رمضان هي ؟ قال : نعم ، والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي كل رمضان ، وإنها لليلة القدر، يفرق فيها كل أمر حكيم ، فيها يقضي الله كل أجل / وعمل ورزق ، إلى مثلها[١] . ٢٤ ب

وذكر يوسف بن مهران[٢] عن ابن عباس قال : يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر ، حتى الحجّاج يقال : يحجُّ فلانٌ ، ويحجّ فلان[٣] .

وذكر (عنه)[٤] سعيد بن جبير في هذه الآية : إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى[٥] .

= المزني والحسن البصري ، وعنه القطان وحجاج بن منهال وخالد بن الحارث وغيرهم ، صدوق يهم ، من السابعة . روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والنسائي . تقريب التهذيب (١/ ٢٤٨) ، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٦٣) .

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره : (٢٥/ ١٠٨) و (٣٠/ ٢٥٩) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٠٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ومحمد بن نصر .

(٢) هو : يوسف بن مهران البصري ، وليس هو يوسف بن ماهك ، ذاك ثقة ، وهذا لم يروِ عنه إلا ابن جُدعان ، هو لين الحديث من الطبقة الرابعة ، روى عن ابن عباس وابن عمر وابن جعفر وجابر ، وعنه زيد بن علي بن جدعان . تقريب التهذيب (٢/ ٣٨٢-٣٨٣) وتهذيب التهذيب (١١/ ٤٢٤-٤٢٥) .

(٣) ذكره الواحدي في تفسيره « البسيط » ق (١٣) مخطوط، مرجع سابق انظر ص(٢٥٤) . والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٩٩) ونسبه إلى محمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) في ع ، د ، س : عن .

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥/ ١٠٩) وعبدالله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٠٧) . والحاكم في المستدرك : (٢/ ٤٤٩) وصححه، ووافقه الذهـبي . والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٢١) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٠٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وقال مقاتل[١] : يقدّر اللهُ في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة[٢] .

وقال أبوعبدالرحمن السلمي[٣] : يقدّر أمر السنة كلها في ليلة القدر[٤] .

وهذا هو الصحيح . إن القَدْر مصدر قَدَر الشيء يَقْدُره قَدراً ، فهي ليلة الحُكم والتقدير .

وقالت طائفة[٥] : ليلة القدر : ليلة الشرف والعظمة من قولهم : لفلان قَدْر في الناس .

فإن أراد صاحب هذا القول أن لها قدراً وشرفاً، مع ما يكون فيها من التقدر

---

(١) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني ، أبوالحسن البلخي، المفسر ، نزيل مرو، ويقال له ابن دوال دوز ، كذّبوه وهجروه ، ورُمي بالتجسيم ، من السابعة ، مات سنة خمس ومائة ، روى له أبوداود في المسائل . تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٢)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٧٩)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١) .

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره البسيط ق(١٩٦) مخطوط، محفوظ أصله بالمكتبة الأزهرية بمصر تحت رقم (٣٠٣) مغاربة ، وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١٤٢٥/ ف) .

(٣) هو : عبدالله بن حبيب بن ربيعة ـ بفتح الموحدة وتشديد الياء ـ أبوعبدالرحمن السلمي الكوفي المقرئ، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، ثقة ثبت من الثانية ، مات بعد السبعين ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٠٨) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ١٨٣-١٨٤) .

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥/ ١٠٨) . وذكره الواحدي في تفسيره ق(١٩٦) مخطوط، المرجع السابق . والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٠٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ومحمد بن نصر .

(٥) ذكر الواحدي هذا القول ونسبه إلى الزهري، انظر تفسيره « البسيط » ق (١٩٦) مخطوط، المرجع السابق.

فقد أصاب، وإن أراد أن معنى القَدْر فيها هو : الشرف والخطر (فقط)[١] فقد غلط؛ (لأن)[٢] الله سبحانه أخبر أن فيها يُفْرق (كل أمر حكيم)[٣] أي : (يُفْصل)[٤] ويُبَيَّن ويُبْرم كل أمر حكيم .

* * *

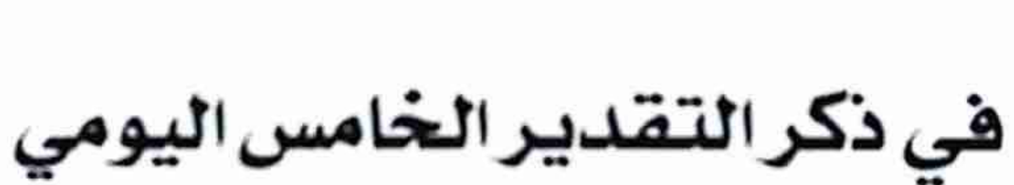
(١) ساقطة من ع، د ، س .

(٢) في ع ، د ، س : إن .

(٣) إضافة من م .

(٤) في م ، ع ، د ، س : يفصل الله . وما أثبت من ت ، ولعله الأنسب من ناحية لفظ الآية وإن كان المعنى واحداً .

الباب السادس



في ذكر التقدير الخامس اليومي







الباب السادس

في (ذكر)[١] التقدير الخامس اليومي

قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[٢].

ذكر الحاكم في صحيحه من حديث (أبي)[٣] حمزة الثمالي[٤] عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أن مما خلق الله لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، دفتاه من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة نظرة أو مرة، ففي كل نظرة منها يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[٥]».

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) سورة الرحمن، آية ٢٩.

(٣) في ت: ابن.

(٤) هو: ثابت بن أبي صفية، الثُمالي ـ بضم المثلثة ـ أبوحمزة، واسم أبيه دينار، وقيل: سعيد، كوفي، ضعيف رافضي، من الخامسة، مات في خلافة أبي جعفر، روى له أبوداود، والنسائي في مسند علي، وابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ١١٦)، وانظر تهذيب التهذيب (٢/ ٧-٨).

(٥) انظر المستدرك للحاكم (٢/ ٤٧٤) ك. التفسير، تفسير سورة الرحمن. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي، فقال: اسم أبي حمزة: ثابت، وهو واهٍ بمرة. ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٣٥)، واللالكائي في السنة (٤/ ٦٧٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٤٩٢، ٦٠٦-٦٠٧) وقال: وهذا موقوف، وأبوحمزة الثمالي ينفرد بروايته. وعبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٣-٢٦٣). وأبوالشيخ في العظمة (٢/ ٤٩٢-٤٩٣) تحقيق د. رضاء الله المباركفوري، ط. الأولى ١٤٠٨هـ نشر دار العاصمة بالرياض. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٩٩) وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن مردويه. اهـ. وهذا الأثر موقوف، وفي سنده أبوحمزة الثمالي، وهو ضعيف، ورُوِي مرفوعاً من طريق زياد بن عبدالله عن ليث بن أبي سليم، عن عبدالملك بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: ...، وأخرجه الطبراني في المعجم =

وقال مجاهد والكلبي[١] وعبيد بن عمير[٢] وأبوميسرة[٣] وعطاء[٤] ومقاتل : من شأنه أنه يحيي ويميت ، ويرزق ويمنع، وينصر ويعز ويذل، ويفك عانياً، ويُشفي مريضاً، ويجيب داعياً ، ويعطي سائلاً ، ويتوب على قوم، ويكشف كرباً ويغفر ذنباً ، ويضع أقواماً ويرفع آخرين ، دخل كلام بعضهم في بعض[٥] .

= الكبير (١٢/ ٧٢) ، وأبونعيم في الحلية (٤/ ٣٠٥) . وقال الألباني : ضعيف ، فيه زياد بن عبدالله، وهو البكائي، عن ليث ـ وهو ابن أبي سليم ـ كلاهما ضعيف . انظر تعليقه على شرح الطحاوية ص(٢٩٣) .

(١) هو : محمد بن السائب بن بشر ، الكلبي أبوالنضر الكوفي ، النسّابة المفسر ، متهم بالكذب ، ورُمي بالرفض . قال ابن عدي : وحدّث عنه ثقات من الناس، ورضوه في التفسير ، وأما في الحديث ففيه مناكير، خاصة إذا روى عن أبي صالح عن ابن عباس، من السادسة، مات سنة ست وأربعين ومائة . روى له الترمذي ، وابن ماجه في التفسير . تقريب التهذيب (٢/ ١٦٣) . وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ١٧٨-١٨١) والكامل لابن عدي (٦/ ٢١٣٢) .

(٢) هو : عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، أبوعاصم المكي، الواعظ المفسر، ولد على عهد النبي ﷺ ، قاله مسلم . وعدّه غيره في كبار التابعين ، وكان قاص أهل مكة ، مجمع على ثقته ، مات قبل ابن عمر بأيام يسيرة، وكانت وفاة ابن عمر رضي الله عنهما سنة ثلاث وسبعين في آخرها ، أو أول التي تليها . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٥٤٤) و (١/ ٤٣٥) وانظر تهذيب التهذيب (٦/ ٧١) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٦-١٥٧) .

(٣) هو : عمرو بن شُرَحبيل الهَمْداني ، أبوميسرة ، الكوفي ، ثقة عابد ، مخضرم ، مات سنة ثلاث وستين . روى له الستة إلا ابن ماجه. تقريب التهذيب (٢/ ٧٢)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٧) .

(٤) هو : عطاء بن دينار الهذلي، مولاهم، أبوالريان ـ بالراء والتحتانية الثقيلة ـ وقيل: أبوطلحة، المصري ، صدوق ، إلا أن روايته عن سعيد بن جبير من صحيفته ، من الطبقة السادسة . مات سنة ست وعشرين ومائة . روى له البخاري في الأدب المفرد ، وروى له أبوداود والترمذي . تقريب التهذيب (٢/ ٢١) ، وتهذيب التهذيب (٧/ ١٩٨-١٩٩) .

(٥) نص قول مجاهد : « من شأنه أن يعطي سائلاً ، ويفك عانياً ، ويجيب داعياً ، ويشفي سقيماً » . وفي رواية أخرى: « كل يوم هو يجيب داعياً، ويكشف كرباً، ويجيب مضطراً ، =

....

= ويغفر ذنباً ». رواهما الطبري في تفسيره (٢٧(١٣٥)، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٠٠) الرواية الثانية، وزاد نسبتها إلى عبد بن حميد . وقول الكلبي لم أعثر له على تخريج ، ونص قول عبيد بن عمير : « من شأنه أن يفك عانياً، ويجيب داعياً ، ويشفي مريضاً ، ويعطي سائلاً » . رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٣٥) وعبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٣) . والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٦) . وذكر السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٩٩-٧٠٠) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر. ونص قول أبي ميسرة : « من شأنه أن يميت من جاء أجله، ويصور ما شاء في الأرحام، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء، وأن يفدي الأسير » رواه أبوالشيخ في العظمة (٢/ ٤٨٦ -٤٨٥) . وأبونعيم في الحلية (٥/ ٢٥٣) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٠٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد . ولم أعثر على تخريج لقول عطاء ومقاتل . وروى البخاري في صحيحه (٦/ ٥٥) ك. التفسير ، تفسير سورة الرحمن ، هذا القول معلقاً بصيغة الجزم وموقوفاً على أبي الدرداء . ولفظه : (وقال أبوالدرداء : « كل يوم هو في شأن ، يغفر ذنبـاً، ويكشف كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين ») . ورواه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٦) وزاد فيه عن البخاري « ويجيب داعياً » ، وقال ابن حجر في فتح البـاري (٨/ ٦٢٣) : وصله المصنف في (التاريخ) ، وابن حبان في (الصحيح) وابن ماجه، وابن أبي عاصم ، والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً ، وأخرجه البيهقي في (الشعب) من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفاً ، وللمرفوع شاهد آخر عن ابن عمر ، أخرجه البزار، وآخر عـن عبـدالله بن منيب؛ أخرجه الحسـن بن سفيـان، والبزار ، وابن جرير، والطبراني . اهـ . والحديث أخرجه مرفوعاً ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٦٤) . وابن ماجه في سننه (١/ ٧٣) في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية . وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٢٩-١٣٠) وصححه الألباني لأن له متابعات. وأبونعيم في الحلية (٥/ ٢٥٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٩٨-٩٩)، وأبوالشيـخ في العظمـة (٢/ ٤٧٩-٤٨٠) ، والبزار ، كما في كشـف الأستار (٣/ ٧٣)، =

٢٥أ وقد ذكر الطبراني[١] / في المعجم ، والسنة ، وعثمان بن سعيد الدارمي[٢] في كتاب الرد على المريسي[٣] عن عبدالله بن مسعود قال : «إن ربكم عز وجل ليس

= كلهم من رواية أبي ذر . ورواه ـ أيضاً ـ مرفوعاً عبدالله بن منيب عن رسول الله ﷺ .
وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٣٥) ، وأبوالشيخ في العظمة (٢/ ٤٨١-٤٨٢)، والبزار كما في كشف الأستار (٣/ ٧٣) وقال : لا نعلم أسند عبدالله بن منيب إلا هذا . اهـ .

وفي سند هذه الرواية عمرو بن بكر السكسكي ، وهو متروك . كما في تقريب التهذيب (٢/ ٦٦) .

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٩٩) وزاد نسبته إلى الحسن بن سفيان في مسنده وابن مردويه. ورواه أيضاً عبدالله بن عمر مرفوعاً ، وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٧٤) بلفظ مختصراً . اهـ .

وفي سنده عبدالرحمن بن البيلماني ، وهو ضعيف . كما في تقريب التهذيب (٢/ ١٨٢) .

(١) سبقت ترجمته في ص(٢٥١) .

(٢) هو : أبوسعيد ، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد ، التميمي الدارمي ، السجستاني ، العلامة الحافظ ، صاحب المسند وغيره من التصانيف ، ولد قبل المئتين بيسير ، وطوف الأقاليم في طلب الحديث ، وقد أثنى عليه كثير من العلماء ، توفي سنة ثمانين ومائتين . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٩-٣٢٦) ، طبقات الحفاظ ص(٢٧٧-٢٧٨) ، طبقات الحنابلة (١/ ٢٢١) .

(٣) هو : بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي ، مولاهم ، البغدادي المريسي ، مبتدع ضال ، وإليه تنسب المريسية من المرجئة ، تفقه على أبي يوسف، فبرع وأتقن علم الكلام ، ثم جرد القول بخلق القرآن ، وناظر عليه ، ولم يدرك الجهم بن صفوان ، إنما أخذ مقالته ، واحتج لها ودعا إليها ، وسمع من حماد بن سلمة وغيره. وقال الخطيب : حُكِيَ عنه أقوال شنيعة ، أساء أهل العلم قولهم فيه ، وكفَّره أكثرهم لأجلها. قال الذهبي : وقد أُخذ بشر في دولة الرشيد وأُوذِي لأجل مقالته ، مات في آخر سنة ثماني عشرة ومئتين ، وقد قارب الثمانين. ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩-٢٠٢) ، وتاريخ بغداد (٧/ ٥٦-٦٧) ، والفَرْق بين الفِرَق ص(١٩٢) .

عنده ليل ولا نهار، نور السماوات والأرض (من)[١] نور وجهه، وإن مقدار (كل)[٢] يوم من أيامكم عنده ثنتي عشرة[٣] ساعة فتعرض عليه أعمالكم (بالأمس أول النهار اليوم، فينظر فيها ثلاث ساعات فيطلع)[٤] فيها على ما يكره فيغضبه ذلك، وأول من يعلم غضبه حملة العرش يجدونه يثقل عليهم، فيسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة، ثم ينفخ جبريل في القرن، فلا يبقى شيء إلا سمع صوته، فيسبحون الرحمن عز وجل ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن عز وجل رحمة، فتلك ست ساعات، ثم يؤتى بالأرحام فينظر فيها ثلاث ساعات، فذلك قوله في كتابه العزيز: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝ ﴾[٦] فتلك تسع ساعات، ثم يؤتى بالأرزاق، فينظر فيها ثلاث ساعات، فذلك قوله في كتابه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾[٧]، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[٨]

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) ساقطة من ت.

(٣) (ثنتي عشرة ساعة): هكذا في جميع النسخ، وكذا في المعجم الكبير، وفي رد الدارمي على بشر المريسي، وفي العظمة لأبي الشيخ، وهذا خلاف قواعد اللغة العربية، فإنها تقتضي أن تكون (ثنتا عشرة ساعة) كما في الحلية لأبي نعيم (١/ ١٣٧)؛ لأنها خبر (إن).

(٤) ما بين القوسين ساقطة من ع، د، س.

(٥) سورة آل عمران، آية ٦.

(٦) سورة الشورى، آية ٤٩-٥٠.

(٧) سورة الإسراء، آية ٣٠، وسورة سبأ، آية ٣٦، وسورة الزمر، آية ٥٢، وسورة الشورى، آية ١٢.

(٨) سورة الرحمن، آية ٢٩.

قال : هذا (من)[١] شأنكم وشأن ربكم تبارك وتعالى .

قال الطبراني : حدثنا بشر بن موسى[٢] حدثنا يحيى بن إسحاق[٣] (حدثنا)[٤] حماد بن سلمة عن أبي عبدالسلام[٥] عن عبدالله أو عبيد الله[٦] بن مكرز، عن ابن مسعود، فذكره[٧] .

---

(١) ساقطة من ع، د ، س .

(٢) هو : بشر بن موسى بن صالح الأسدي ، البغدادي ، أبوعلي ، الإمام ، الحافظ ، الثقة ، ولد سنة تسعين ومئة ، سمع من روح بن عبادة ويحيى بن إسحاق السيلحيني، والحميدي، وسعيد بن منصور وغيرهم، وحدَّث عنه إسماعيل الصفار، وأبوالقاسم الطبراني وغيرهما. قال الخطيب : كان ثقة أميناً . وقال الدارقطني : ثقة . وقال أبوبكر الخلال الفقيه : كان أحمد ابن حنبل يكرم بشر بن موسى . مات سنة ثمان وثمانين ومائتين . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٢-٣٥٤) ، وتاريخ بغداد (٧/ ٨٦-٨٨) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (٢٧٤) .

(٣) هو : يحيى بن إسحاق السيلحيني ـ بمهملة ممالة ، وقد تصير ألفاً ساكنة، وفتح اللام وكسر المهملة ثم تحتانية ساكنة ثم نون ـ أبوزكريا ، أو أبوبكر ، نزيل بغداد ، صدوق من كبار العاشرة، مات سنة عشرين ومائتين. روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٤٢)، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ١٧٦-١٧٧) .

(٤) في د ، س : أن ، وفي ع : أخبرنا .

(٥) قال الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة ص(١٣٥) : الزبير بن جواتشير، أبوعبدالسلام، البصري ، روى عن أيوب بن عبدالله بن مكرز، روى عنه حماد بن سلمة، ذكره الحاكم أبوأحمد في (الكنى) وسمى أباه ولم أره لغيره، وهو اسم فارسي، أوله جيم مضمومة، وبعد الألف مثناة فوقانية مفتوحة، ومعجمة مكسورة. ونقل عن ابن معين أنه ذكر برواية حماد ابن سلمة فقط ، و لم يذكر فيه جرحاً . وذكره ابن حبان في (الثقات) . وانظر الثقات لابن حبان (٦/ ٣٣٣) ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩/ ٤٠٦) ط. الأولى ١٣٧٣هـ نشر دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد في الهند .

(٦) لم أعثر له على ترجمة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٥) عبدالله بن مكرز ، أو عبيدالله ، على الشك ، لم أرَ من ذكره .

(٧) انظر المعجم الكبير (٩/ ٢٠٠٠) ومن طريقه رواه أبونعيم في الحلية (١/ ١٣٧) . =

وقال عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة عن (الزبير أبي عبدالسلام) [١] عن أيوب بن (عبدالله) [٢] الفهري [٣] أن ابن مسعود قال : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار .. فذكر الحديث إلى قوله : «فيسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة» [٤] .

فهذا تقدير يومي، والذي قبله تقدير حولي، والذي قبله عمري عند تعلق النفس به ، والذي قبله / كذلك (لكن) [٥] عند أول تخليقة وكونه مضغة، والذي ٢٥ب قبله تقدير سابق على (وجوده، لكن بعد) [٦] خلق السماوات والأرض (والذي قبله تقدير سابق على خلق السماوات والأرض) [٧] بخمسين ألف سنة ، وكل

= وابن منده في الرد على الجهمية ص٩٩ باختصار. والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٣١١) أيضاً باختصار. وقال : هذا موقوف وراويه غير معروف . وأبوالشيخ في العظمة (٢/ ٤٧٧) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٥) وقال : رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبوعبدالسلام ، قال أبوحاتم : مجهول ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات . وعبدالله بن مكرز أو عبيدالله على الشك لم أرَ من ذكره . وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٣٩)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

(١) في ع ، د، س : الزبير بن أبي عبدالسلام . وما أثبت من م ، ت ، وردُّ الدارمي على بشر المريسي .

(٢) في ع ، د ، س : عبيدالله .

(٣) هو : أيوب بن عبدالله بن مكرز العامري، القرشي ، الخطيب ، مستور من الثالثة ، روى عن ابن مسعود ووابصة، ولم يثبت أن أباداود روى له . تقريب التهذيب (١/ ٩٠) . وانظر تهذيب التهذيب (١/ ٤٠٧-٤٠٨) ، وميزان الاعتدال (١/ ٢٩٠) .

(٤) انظر رد الدارمي على بشر المريسي ص(٩١) .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

(٦) ما بين القوسين من ع ، د .

(٧) ما بين القوسين ساقط من ع ، د .

واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق، وفي ذلك دليل على كمال علم الرب وقدرته وحكمته، وزيادة تعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه (وصفاته)[١] وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٢] ، وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ ، فتستنسخ الملائكة ما يكون من أعمال بني آدم قبل أن (يعملوها)[٣] فيجدون ذلك موافقاً لما يعملونه ، فيثبت الله تعالى منه ما فيه ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو .

وذكر ابن مردويه[٤] في تفسيره[٥] من طرق إلى بقية[٦] عن أرطَأة بن المنذر[٧] عن مجاهد عن ابن عمر يرفعه : « **إن أول ما خلق الله القلمَ، فأخذه بيمينه**

(١) ساقطة من : ع ، د ، س .
(٢) سورة الجاثية ، آية ٢٩ .
(٣) في م : يعملون .
(٤) هو : أبوبكر ، أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهاني ، ولد سنة (٣٢٣هـ) حدّث عن أبيه ، وعن أبي سهل بن زياد القطان، وغيرهما، وحدّث عنه القاضي أبومنصور بن شكرويه ، وأحمد بن عبدالرحمن الذكواني وغيرهما . قال الذهبي : وكان فهماً يقظاً متقناً ، كثير الحديث جداً ، ومن نظر في تواليفه عرف محله من الحفظ . وله تصانيف منها : التفسير الكبير ، والمستخرج على صحيح البخاري ، وغيرهما. مات لست بقين من رمضان سنة (١٤١٠هـ) . سير أعلام النبلاء (٣٠٨/١٧) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص(٤١٢) .
(٥) أشار الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٠٨/١٧) إلى هذا التفسير ، وسماه التفسير الكبير، وذكره الدكتور فؤاد سزكين في كتابه تاريخ التراث العربي المجلد الأول ، الجزء الأول ص(٤٦٣) نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وأشار إلى أن ابن حجر نقل منه في كتابه (الإصابة) ، ولم يذكر (سزكين) نسخاً خطية له .
(٦) هو بقية بن الوليد ، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء ، سبقت ترجمته في ص(١٧٩) .
(٧) هو : أرطأة بن المنذر بن الأسود الألهاني ـ بفتح الهمزة ـ أبوعدي الحمصي ، ثقة ، من السادسة ، مات سنة ثلاث وستين ومائة . روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له أبوداود، والنسائي، وابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ٥٠)، وتهذيب التهذيب (١٩٨/١).

وكلتا يديه يمين ، فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول ، من بر أو فجور ، رطب أو يابس، فأحصاه عند الذكر ، وقال : اقرؤوا إن شئتم ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[1] فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فُرغ منه»[2].

وقال آدم[3] : حدثنا ورقاء[4] عن عطاء بن[5] السائب عن مقسم[6] عن ابن عباس ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[7] قال : تستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم ، فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم

---

(١) سورة الجاثية ، آية ٢٩ .

(٢) رواه الفريابي في كتاب القدر ص(٣٩١) ، ورواه الآجري في الشريعة ص(١٧٥، ٢٣٨) ، من طريقين أحدهما عن الفريابي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٣٠) ، ولم ينسبه إلا إلى ابن مردويه .

(٣) هو : آدم بن أبي إياس ، عبدالرحمن العسقلاني ، أصله خراساني ، يكنى أبا الحسن ، نشأ ببغداد ، ثقة عابد ، من التاسعة ، مات سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وكان مولده في سنة اثنتين وثلاثين ومائة . روى له البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٣٠) ، وانظر تهذيب الكمال (٢/ ٣٠١)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣٥)، وتهذيب التهذيب (١/ ١٩٦)، والكاشف (١/ ١٠١)، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص(١٧٢).

(٤) هو : ورقاء بن عمر اليشكري ، أبوبشر الكوفي ، نزيل المدائن ، صدوق ، في حديثه عن منصور لين ، من الطبقة السابعة ، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٣٠) ، وتهذيب التهذيب (١١/ ١١٣-١١٥) .

(٥) صدوق اختلط، سبقت ترجمته في ص(١٩٩) .

(٦) هو : مِقسم ـ بكسر أوله ـ ابن بُجْرة ـ بضم الموحدة وسكون الجيم ـ ، ويقال نجدة ـ بفتح النون وبدال ـ أبوالقاسم ، مولى عبدالله بن الحارث، ويقال له مولى ابن عباس، للزومه له ، صدوق ، وكان يرسل ، من الرابعة ، مات سنة إحدى ومائة ، وما له في البخاري سوى حديث واحد ، روى له البخاري والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٣) ، وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٨-٢٨٩) .

(٧) سورة الجاثية، آية ٢٩ .

الكتاب[١] .

وفي تفسير (الأشجعي[٢])[٣] عن سفيان[٤] عن منصور[٥] عن مقسم عن ابن عباس قال : كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن ، ثم بعث الحفظة على آدم وذريته (ووكَل)[٦] ملائكته ينسخون من الذكر ما يعمل العباد ، ثم قرأ ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ[٧] ﴾[٨] .

وفي تفسير[٩] الضحاك[١٠] عن ابن عباس في هذه الآية قال : هي أعمال أهل الدنيا ، الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية ، (ما)[١١] يصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة ، الذي يقتل ، والذي يغرق ، والذي يقع من فوق

---

(١) رواه البيهقي في كتاب القدر ص(٢٧) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٣٠-٤٣١) ونسبه إلى ابن مردويه .

(٢) في د ، س : الأشجع .

(٣) هو : عبيدالله بن عبدالرحمن الأشجعي ، أبوعبدالرحمن ، الكوفي ، ثقة مأمون، أثبت الناس كتاباً في سفيان الثوري، من كبار التاسعة ، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة في أولها . روى له البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٥٣٦)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٤-٣٥) .

(٤) هو : سفيان الثوري ، ثقة . سبقت ترجمته في ص (٢٦٧) .

(٥) هو : منصور بن المعتمر ، ثقة . سبقت ترجمته في ص (١٨٩) .

(٦) في د ، س : وكل .

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٣١) ونسبه إلى ابن مردويه .

(٨) سورة الجاثية ، آية ٢٩ .

(٩) ذكر الأستاذ فؤاد سزكين هذا التفسير في كتابه « تاريخ التراث العربي » ، الجزء الأول من المجلد الأول ص(٧١-٧٢) فقال : كان معروفاً للثعلبي بروايتين .. ويبدو أنه وصل إلينا عن الطبري في نقول أخذها تارة عن الأصل مباشرة وأخرى من مراجع مختلفة .

(١٠) مضت ترجمته في ص(١٩٩) .

(١١) في ت : مما .

بيت ، والذي يتردى من جبل، (والذي يقع في بئر)[١] ، والذي يُحرق بالنار، (فيحفظون)[٢] عليه ذلك كله ، وإذا كان (العشي)[٣] صعدوا به إلى السماء، فيجدونه كما في السماء مكتوباً في الذكر الحكيم[٤] .

❊ ❊ ❊

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٢) في ت : فيحفظوا .

(٣) في ع ، د ، س : الشيء .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٣٠) وقال : أخرجه ابن مردويه بسند ضعيف .



الباب السابع

في أن سبق المقادير بالشقاوة والسعادة لا يقتضي ترك الأعمال بل يقتضي الاجتهاد والحرص لأنها إنما سبقت بالأسباب






الباب السابع

في أن سبق المقادير بالشقاوة والسعادة لا يقتضي ترك الأعمال بل يقتضي الاجتهاد والحرص (لأنها إنما سبقت بالأسباب)[١]

يسبق إلى أفهام كثير من الناس أن القضاء والقدر إذا كان قد سبق، فلا فائدة في الأعمال، (فإن)[٢] ما قضاه الرب سبحانه وقدره لابد من وقوعه، فتوسطه العمل لا فائدة فيه، وقد سبق إيراد هذا السؤال من الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ فأجابهم بما فيه الشفاء والهدى .

ففي الصحيحين عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا رسول الله ﷺ ومعه مخصرة فنكّس فجعل ينكت بمخصرته ، ثم يقال : «ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » ، فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا وندَع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، فقال : « اعملوا ، فكلٌ ميسر ، أما أهل السعادة فيُسرون (إلى عمل)[٣] أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة (فيُسرون)[٤] لعمل أهل الشقاوة » . ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ[٥] ﴾[٦] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٢) في م ، ع ، د ، س : وإن .

(٣) في د ، س : لعلم .

(٤) في ع : فسيصير .

(٥) سورة الليل ، الآيات من ٥-١٠ .

(٦) سبق تخريج هذا الحديث في ص(١٥٩-١٦٠) .

وفي بعض طرق البخاري : « **أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ، فمن كان (منا)[١] من أهل السعادة، فسيصير إلى (عمل)[٢] أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة** »[٣] .

٣٦ب وعن أبي الزبير[٤] عن جابر بن عبدالله / قال : جاء سُراقة بن مالك بن جُعْشُم، فقال : يا رسول الله ، بيِّن لنا ديننا كأننا خُلقنا الآن، (فيم)[٥] العمل اليوم، أفيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير ، أم فيما يستقبل ؟ قال : « **لا ، بل فيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير** » . قال : ففيم العمل؟ فقال : « **اعملوا ، فكل ميسَّر** » . رواه مسلم[٦] .

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) لفظة (عمل) : ساقطة من ت ، م ، وذلك يوافق إحدى روايتي البخاري ، وموجودة في ع، د ، س وفي الرواية الأخرى للبخاري .

(٣) انظر صحيح البخاري (٢/ ٩٩) ك. الجنائز ، باب موعظة المحدث عند القبر، وقعود أصحابه حوله . و(٦/ ٨٥) ك. التفسير ، تفسير سورة ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ .

(٤) هو : محمد بن مسلم بن تَدْرُس ـ بفتح المثناة وسكون الدال المهملة وضم الراء ـ الأسدي، مولاهم ، أبوالزبير المكي، صدوق، إلا أنه يدلس ، من الرابعة، مات سنة ست وعشرين ومائة . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٧) . وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٠) وتاريخ الثقات للعجلي ص(٤١٣) .

(٥) في ع ، د ، س : ففيم .

(٦) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٠) ك. القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته . ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٩٢-٢٩٣) مطولاً و(٣/ ٣٠٤) مختصراً من طريق محمد بن المنكدر عن جابر. وأبوداود الطيالسي في مسنده ص٢٤٠، والبغوي في شرح السنة (١/ ١٣٤-١٣٥) . والآجري في الشريعة ص(١٧٤) . وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٣) عن طاوس عن سراقة . وابن ماجه (١/ ٣٥) عن مجاهد عن سراقة . والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٤٠) . =

وعن عمران بن حصين، قال : قيل : يا رسول الله ، أعُلم أهل الجنة من أهل النار؟ فقال : «نعم» . قيل : ففيم يعمل العاملون ؟ فقال : «كل ميسر لما خُلق له» . متفق عليه[١] . وفي بعض طرق البخاري : «كل يعمل لما خُلق له، أو لما يُسر له»[٢] .

ورواه الإمام أحمد أطول من هذا، فقال : حدثنا صفوان[٣] بن عيسى، حدثنا (عزرة)[٤] بن ثابت[٥] عن يحيى بن عُقَيل[٦] (عن ابن يعمر[٧])[٨] عن أبي الأسود

وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٩) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٥) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٣٧-٥٣٨) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(١) سبق تخريج هذا الحديث في ص(١٦١-١٦٢) .

(٢) انظر صحيح البخاري (٧/ ٢١٠) ك. القدر ، باب جف القلم على علم الله . وسبق أن ذكر المؤلف هذا الطريق في ص(١٦١) .

(٣) هو : صفوان بن عيسى الزهري، أبومحمد البصري ، القسّام، ثقة ، من التاسعة ، مات سنة مائتين ، وقيل: قبلها بقليل أو بعدها . روى له البخاري تعليقاً ، وروى له مسلم الأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٣٦٨) . وانظر تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٩-٤٣٠) .

(٤) في ت ، ع ، د ، س : عروة ، وما أثبت من م ، والمسند .

(٥) هو : عزرة بن ثابت بن أبي زيد بن أخطب الأنصاري، بصري ، ثقة من السابعة ، روى له البخاري ومسلم وأبوداود في القدر ، والترمذي والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب (٢/ ٢٠) ، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ١٩٢) .

(٦) هو : يحيى بن عُقَيل ـ بالتصغير ـ البصري، نزيل مرو ، صدوق ، من الثالثة ، روى له البخاري في الأدب المفرد . وروى له مسلم ، وأبوداود والنسائي ، وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ٣٥٤) ، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٢٥٩) .

(٧) في جميع النسخ : عن أبي نعيم ، وما أثبت من المسند .

(٨) هو : يحيى بن يَعْمَر ـ بفتح التحتانية والميم، بينهما مهملة ساكنة ـ البصري، نزيل مرو وقاضيها ، ثقة فصيح ، وكان يرسل ، من الثالثة ، مات قبل المائة ، وقيل: بعدها ، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٦١) ، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٣٠٥) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤١-٤٤٢) .

الدؤلي[١] قال : غدوت على عمران بن حصين يوماً من الأيام، فقال : إن رجلاً من جهينة [٢] أو مُزينة [٣] أتى [٤] النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيتَ ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، شيء قُضي عليهم أو مضى عليهم في قدر قد سبق أو فيما (يستقبلون)[٥] مما أتاهم به نبيهم، واتخذت عليهم (به)[٦] الحجة؟ قال : «بل شيء قضي عليهم (ومضى عليهم)[٧]» . قال : فلمَ يعملون إذاً يا رسول الله؟ قال : « من كان الله عز و جل خلقه لواحدة من المنزلتين (يهيأه)[٨] لعملها ، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا[٩]﴾[١٠] .

وقال[١١] المحاملي[١٢] : حدثنا أحمد بن

(١) ثقة ، سبقت ترجمته في ص (١٦١) .

(٢) هم : بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة . معجم قبائل العرب (١/ ٢١٦) .

(٣) سبق التعريف بها في ص(١٦٢) .

(٤) في م ، ع ، د ، س : أتى إلى النبي ﷺ بزيادة (إلى) وما أثبت من ت ، ومن المسند .

(٥) في د ، س : يستقبلونه . وما أثبت من م ، ت ، ع ، والمسند .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

(٧) ما بين القوسين ساقط من د ، س .

(٨) في ع ، د ، س : فهيأه . وما أثبت من م ، ت والمسند .

(٩) سورة الشمس ، آية ٧-٨ .

(١٠) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل (٤/ ٤٣٨). وقد سبق تخريج هذا الحديث في ص(١٦٢).

(١١) في ت : وقال عبدالله بن دينار المحاملي. ولعله سهو من الناسخ .

(١٢) هو : القاضي الإمام العلاّمة الحافظ، الثقة ، شيخ بغداد ومحدثها، أبوعبدالله الحسين بن إسماعيل بن محمد الضبي البغدادي، ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين . وسمع من الفلاس، وأحمد السهمي صاحب مالك، وأحمد بن المقدام العجلي وغيرهم، وصنف وجمع ، روى عنه دعلج ، والدارقطني ، وكان فاضلاً ديّناً صدوقاً ، ولي قضاء الكوفة ستين سنة، ثم =

المقدام[١] حدثنا المعتمر[٢] بن سليمان قال : سمعت أبا سفيان[٣] يحدث عن عبدالله بن[٤] دينار عن عبدالله بن عمر أنه قال : نزل ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[٥] فقال عمر : يا نبي الله ، علامَ نعمل ؟ على أمر قد فُرغ منه أم لم يُفرغ منه ؟ قال : « **لا، على أمرٍ قد فُرغ منه (وجرت)[٦] به الأقلام، ولكن كل (امرئ)[٧] ميسر** » ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝[٨]﴾[٩] .

= استعفى ، وكان يحضر بمجلسه عشرة آلاف رجل، مات في ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلاثمائة . طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٣٤٥) ، وانظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٥٨، ٢٦٣) .

(١) صدوق ، سبقت ترجمته في ص (٢٤٢) .

(٢) ثقة ، سبقت ترجمته في ص (١٩٧) .

(٣) هو: سليمان بن سفيان التيمي ، مولاهم ، أبوسفيان المدني ، روى عن بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيدالله ، وعبدالله بن دينار . وعنه سليمان التيمي ، وابنه معتمر بن سليمان ، وأبوداود الطيالسي . ضعيف من الثامنة . روى له الترمذي . تقريب التهذيب (١/ ٣٢٥)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١٩٤) .

(٤) هو : عبدالله بن دينار ، العدوي مولاهم ، أبوعبدالرحمن المدني ، مولى ابن عمر ، ثقة من الرابعة ، مات سنة سبع وعشرين ومائة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤١٣) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٠١-٢٠٢) .

(٥) سورة هود ، آية ١٠٥ .

(٦) في د ، س : قد جرت .

(٧) ساقطة من ع ، د ، س .

(٨) سورة الليل ، آية ٥-١٠ .

(٩) رواه الترمذي (٥/ ٢٧٠) ك. تفسير القرآن ، تفسير سورة هود ، عن بندار ، عن أبي عامر العقدي ، عن سليمان بن سفيان، به . وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث عبدالملك بن عمرو العقدي . وتعقَّبه الألباني ، فقال : ولو قال : =

= حديث حسن، لكان أقرب إلى الصواب؛ لأن سليمان بن سفيان هذا ضعيف كما في التقريب ، فهو ـ أي الحديث ـ حسن ، بل صحيح لغيره لطرقه وشواهده . انظر تخريجه للسنة لابن أبي عاصم (١/ ٧٢) . ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٤-٨١) من طريق أبي عامر العقدي عن أبي سفيان، به . ومن طريق معتمر بن سليمان عن أبي سفيان، به . وقال فيهما الشيخ الألباني : إسناده ضعيف من أجل أبي سفيان . ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره من طريق أبي عامر العقدي، به . وقال الشيخ أحمد شاكر : وهذا خبر ضعيف الإسناد ، لكن معناه له شواهد في الصحيح . انظر تفسير الطبري بتحقيقه (١٥/ ٤٨٠-٤٨١) . ورواه ابن عدي في الكامل (٣/ ١١٢١-١١٢٢) في ترجمة سليمان بن سفيان ، وقال بعد أن ذكر له حديثاً آخر فيما يقال عند رؤية الهلال : وسليمان بن سفيان يعرف بهذين الحديثين ، وما أظن أن له غيرهما، إلا شيئاً يسيراً . وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٢٠٩) . ونقل كلام ابن عدي هذا . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه . اهـ .

والحديث في إسناده ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ سليمان بن سفيان ، قال فيه ابن معين : ليس بشيء . وقال مرة : ليس بثقة . وكذا قال النسائي . وقال المديني : روى أحاديث منكرة . وقال أبوحاتم : ضعيف الحديث، يروي عن الثقات أحاديث مناكير . وقال الدارقطني : ضعيف . انظر : تهذيب التهذيب (٤/ ١٩٤) والضعفاء والمتروكين للنسائي ص(١٢٠) تحقيق بوران الضناوي ، ط. الأولى ١٤٠٥هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

والحديث قد روي من طرق أخرى عند ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧١-٧١) وقد صححها الشيخ الألباني كما في تخريجه للسنة . ورواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٩) و(٢/ ٥٢، ٧٧) وقال فيه الشيخ أحمد شاكر : إسناده ضعيف لضعف عاصم بن عبيد الله ابن عمر . انظر المسند بتحقيقه (١/ ٢٤٠) و(٧/ ١٢٩، ٢٣٦) . ورواه الآجري في الشريعة ص(١٧١) . والترمذي (٤/ ٣٨٧-٣٨٨) ك. القدر ، باب ما جاء في الشقاء والسعادة . وقال : حديث حسن صحيح . وأبويعلى في مسنده (٩/ ٣٥٣-٣٥٤، ٢١-٤٢٢) . وأبوداود الطيالسي في مسنده (١/ ٣٢) ترتيب الساعاتي .

فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل / ولا ١٢٧أ يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجد والاجتهاد؛ ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال : ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن [١] .

وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة، ودقة أفهامهم، وصحة علومهم ، فإن النبي ﷺ أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالأسباب، وإن العبد ينال ما قُدِّر له بالسبب الذي أقدر عليه ومكن منه وهيئ له ، فإذا أتى بالسبب، أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب، وكلما زاد اجتهاداً في تحصيل السبب كان حصول (المقدر له)[٢] أدنى إليه ، وهذا كما إذا قُدِّر له أن يكون من أعلم أهل زمانه، فإنه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلُّم وأسبابه، وإذا قُدِّر له أن يرزق الولد لم ينلْ ذلك إلا بالنكاح أو التسرِّي والوطء ، وإذا قُدِّر له أن يستغل من أرضه من (المغل)[٣] كذا وكذا، لم ينله إلا بالبذر وفعل أسباب الزرع، وإذا قُدِّر (له)[٤] الشبع والرِيُّ (والدفء)[٥] فذلك موقوف على الأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب واللبس، وهذا شأن أمور المعاش والمعاد، فمن عطَّل

= وفي أسانيدهم عاصم بن عبيدالله بن عاصم بن عمر بن الخطاب؛ عدَّه البخاري في الضعفاء ، وقال : منكر الحديث . وقال النسائي : ضعيف . انظر : الضعفاء الصغير للبخاري ص(١٨٠) تحقيق بوران الضناوي ، ط. الأولى ١٤٠٤هـ ، نشر عالم الكتب ، بيروت ، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص(١٨١). لكن الحديث له شواهد صحيحة من رواية سراقة بن مالك عن النبي ﷺ سبق تخريجها في ص(١٦٧) .

(١) كما ورد عن سراقة بن جُعشُم رضي الله عنه عند ابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٩) .

(٢) في ع ، د س : المقدور .

(٣) في ع : الغلة .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

العمل اتكالاً على القدر السابق، فهو بمنزلة من عطَّل الأكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتكالاً على ما قُدِّر له . وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على الأسباب التي بها (قوام معايشهم)[١] ومصالحهم الدنيوية ، بل فطر (الله)[٢] على ذلك سائر الحيوانات ، فهكذا الأسباب التي بها مصالحهم الأخروية في معادهم، فإنه سبحانه رب الدنيا والآخرة، وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد، وقد يسَّر كلاً من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة، فهو مهيأ له، ميسَّر له ، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها، كان أشدّ اجتهاداً في فعلها (والقيام)[٣] بها ، منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه .

وقد فَقُه هذا كل الفقه من قال : « ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن »، فإن العبد إذا علم / أن سلوك هذا الطريق يفضي به إلى رياض مونقة[٤] ، وبساتين معجبة، ومساكن طيبة ، ولذة ونعيم لا يشوبه نكد ولا تعب ، كان حرصه على سلوكها ، واجتهاده في (السير)[٥] فيها بحسب علمه بما يفضي إليه، ولهذا قال أبوعثمان النهدي لسلمان : « لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره »[٦] ، وذلك لأنه إذا كان قد سبق له من الله سابقة، وهيأه ويسّره للوصول إليها، كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي بها ، فإنها

(١) في ع ، د، س : مرام معاشهم .
(٢) لفظ الجلالة لم يرد في ت .
(٣) في ع ، د ، س : من القيام .
(٤) قال ابن فارس في مادة : (أنق) : الهمزة والنون والقاف يدل على أصل واحد ، وهو الـمُعجِبُ والإعجاب . انظر معجم مقاييس اللغة (١/ ١٤٨) .
(٥) في د ، س : المسير .
(٦) سبق تخريجه في ص (٢٢) .

سبقت له من الله قبل الوسيلة منه ، وعلمها الله وشاءها وكتبها وقدّرها وهيّأ له أسبابها ليوصله إليها، فالأمر كله من فضله وجوده السابق، فسبق له من الله سابقة السعادة ووسيلتها وغايتها ، فالمؤمن أشد فرحاً بذلك من كون أمره مجعولاً إليه، كما قال بعض السلف : « والله ما أحب أن يجعل أمري إليَّ، إنه إذا كان بيد الله (خير)[1] من أن يكون بيدي »[2] .

فالقدر السابق مُعِينٌ على الأعمال (وباعث)[3] عليها، ومقتضٍ لها ، لا أنه منافٍ لها وصادّ عنها، وهذا موضع مزلة قدم ، من ثبتت قدمه (عليه)[4] فاز بالنعيم المقيم، ومن زلَّت عنه هوى إلى قرار الجحيم ، فالنبي ﷺ أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سببا السعادة :

* الإيمان (والإقرار به) [5] فإنه نظام التوحيد .

* والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره ، وتحجز عن شره ، وذلك نظام الشرع .

فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر ، فأبى المنحرفون إلا القدح بإنكاره في أصل التوحيد ، أو القدح بإثباته في أصل الشرع ، ولم تتسع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه ، وهو القدر والشرع ، والخلق والأمر : ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[6] ، والنبي ﷺ شديد الحرص على جمع هذين

---

(١) في س : خيراً .

(٢) لم أعثر له على تخريج .

(٣) في ع ، د ، س : وما يحث .

(٤) ساقط من ع ، د ، س .

(٥) في ع ، د، س : بالأقدار .

(٦) اقتباس من آية ٢١٣ سورة البقرة .

١٢٨أ الأمرين / للأمة . وقد تقدم قولـه : « احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ، ولا تعجز »[١] ، وإن العاجز من لم يتسع للأمرين . وبالله التوفيق .

* * *

---

(١) في ص (٢٣٠) .

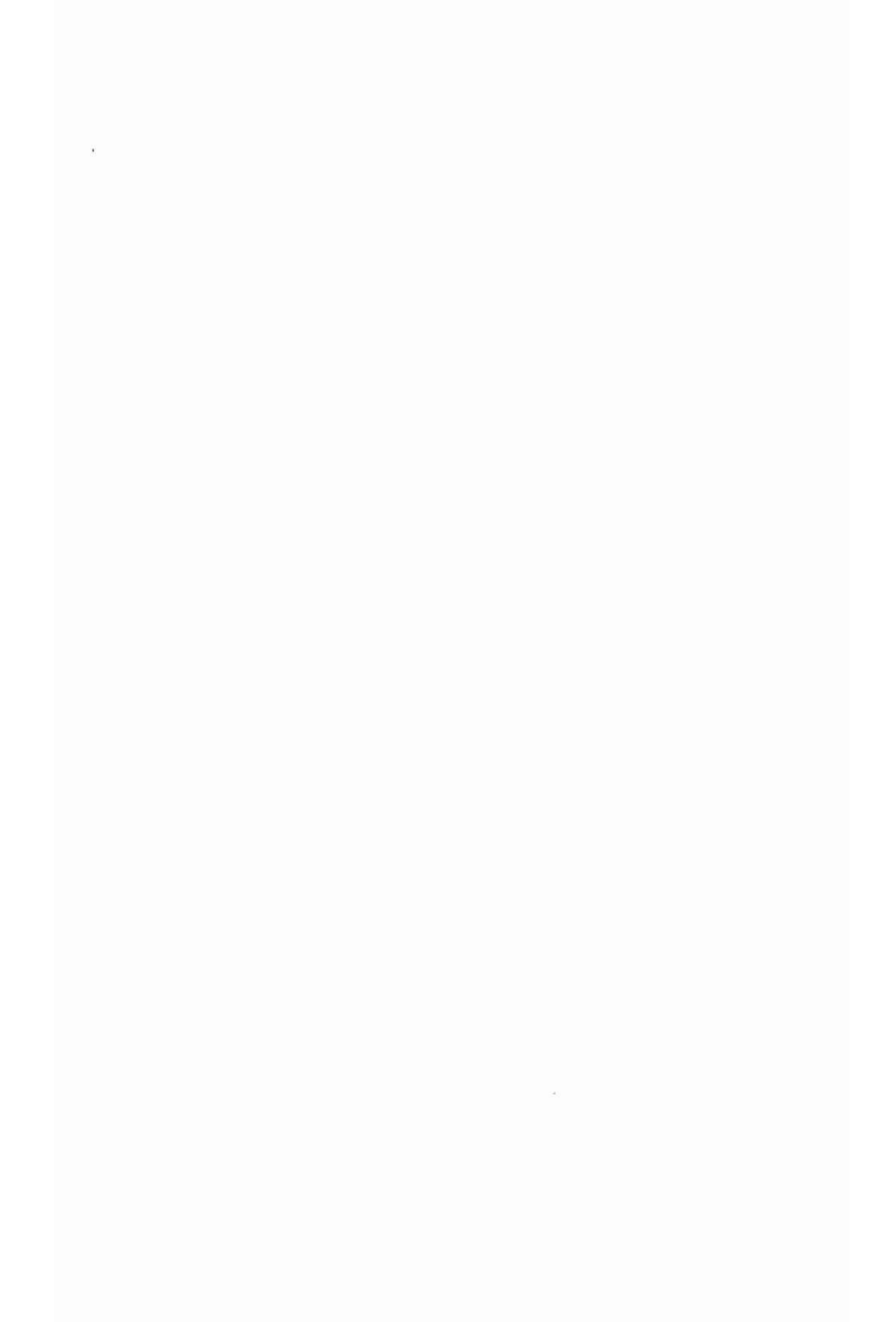



الباب الثامن

في قوله تعالى

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾



الباب الثامن

في قوله تعالى

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[١].

قد تقدمت الأحاديث بوقوع أهل السعادة في إحدى القبضتين، وكتابتهم بأسمائهم وأسماء آبائهم في ديوان السعداء قبل خلقهم[٢].

وفي صحيح الحاكم من حديث الحسين بن[٣] واقد عن يزيد النحوي[٤] عن عكرمة[٥] عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٦] قال المشركون: فالملائكة وعيسى وعزير يُعْبدون من دون الله. قال فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[٧]

---

(١) سورة الأنبياء، آية ١٠١.

(٢) في الباب الثاني.

(٣) هو: الحسين بن واقد المروزي، أبوعبدالله القاضي، ثقة، له أوهام، من السابعة، مات سنة تسع، ويقال: سبع وخمسين ومائة، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (١/ ١٨٠)، وانظر تهذيب التهذيب (٢/ ٣٧٣-٣٧٤).

(٤) هو: يزيد بن أبي سعيد النحوي، أبوالحسن، القرشي مولاهم، المروزي، ثقة عابد، من السادسة، قتله أبومسلم ـ ظلماً ـ لأمره إياه بالمعروف سنة إحدى وثلاثين ومائة، روى له البخاري في الأدب المفرد. وروى له الأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٦٥)، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٣٣٢).

(٥) هو: عكرمة بن عبدالله، مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعة، من الثالثة، مات سنة سبع ومائة، وقيل: بعد ذلك، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٠)، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٣-٢٧٣).

(٦) سورة الأنبياء، آية ٩٨.

(٧) سورة الأنبياء، آية ١٠١.

وهذا إسناد صحيح[١] .

وقال علي بن المديني[٢]: حدثنا يحيى بن آدم[٣] حدثنا أبوبكر بن عيَّاش[٤] عن عاصم[٥]

---

(١) انظر المستدرك للحاكم (٢/ ٣٨٤-٣٨٥) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي . ورواه ابن جرير الطبري في تفسير (١٧/ ٩٧) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧٩) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي داود في ناسخه .

(٢) هو : علي بن عبدالله بن جعفر السعدي ، مولاهم ، أبوالحسن البصري، أحد الأعلام الأثبات ، وحفاظ الإسلام، روى عن أبيه وحماد بن زيد وابن عيينة وغيرهم ، وعنه أحمد، والبخاري ، وأبوداود ، وخلق كثير . قال أبوحاتم : كان علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل ، وكان أحمد لا يسميه تبجيلاً له، إنما يكنيه، مات سنة أربع وثلاثين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة. طبقات الحفاظ للسيوطي ص١٨٧ . وتذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٤٢٨).

(٣) هو : يحيى بن آدم بن سليمان الكوفي، أبوزكريا ، مولى بني أمية ، ثقة حافظ فاضل ، من كبار التاسعة، مات سنة ثلاث ومائتين . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٤١)، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ١٧٥) .

(٤) هو : أبوبكر بن عياش ـ بتحتانية ومعجمة ـ ابن سالم الأسدي ، الكوفي المقرئ، الحنَّاط ـ بمهملة ونون ـ مشهور بكنيته ، والأصح أنها اسمه ، وقيل: اسمه : محمد أو عبدالله ، أو سالم ، أو شعبة ، أو رؤبة، أو مسلم ، أو خداش ، أو مطرف، أو حماد، أو حبيب ، عشرة أقوال . ثقة عابد ، إلا أنه لما كبر ساءَ حفظه ، وكتابه صحيح، من السابعة، مات سنة أربع وتسعين ومائة، وقيل: قبل ذلك بسنة أو ستين ، وقد قارب المائة، وروايته في مقدمة مسلم، وروى له الأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٩٩) ، وانظر تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٤-٣٧) .

(٥) هو : عاصم بن بَهْدلة ، وهو ابن أبي النجود ـ بنون وجيم ـ الأسدي مولاهم ، الكوفي ، أبوبكر المقرئ ، صدوق له أوهام ، حجة في القراءة ، وحديثه في الصحيحين مقرون ، من السادسة ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٨٣)، وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨-٤٠) .

قال أخبرني أبورزين[١] عن أبي يحيى[٢] عن ابن عباس أنه قال: آية لا يسأل الناس عنها، لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها، أو جهلوها فلا يسألون عنها. فقيل له: وما هي؟ فقال: لما نزلت ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[٣] شق ذلك على قريش وعلى أهل مكة، وقالوا: يشتم آلهتنا[٤]. فجاء ابن الزبعرى[٥] فقال: ما لكم؟ قالوا: يشتم آلهتنا. قال: وما قال؟ قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ قال: ادعوه لي. فلما دُعِيَ النبيُّ ﷺ قال: يا محمد، هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عُبِدَ من دون الله؟ فقال: «**لا بل لكل من عُبِدَ من دون الله**» (قال)[٦] فقال ابن الزبعرى: خُصمت ورب هذه

---

(١) هو: مسعود بن مالك، أبورزين الأسدي، الكوفي، ثقة فاضل، من الثانية، مات سنة خمس وثمانين، وهو غير أبي رُزين عُبيد، الذي قتله عبيد الله بن زياد بالبصرة، ووهم من خلطهما، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٣)، وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ١١٨-١١٩).

(٢) هو: مِصْدَع ـ بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه ـ أبويحيى الأعرج، المعرقب، مقبول من الثالثة، روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٥١)، وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ١٥٧-١٥٨).

(٣) سورة الأنبياء، آية ٩٨.

(٤) في م: قال فجاء. بزيادة (قال).

(٥) هو: عبدالله بن الزبعرى بن قيس السهمي القرشي، أبوسعد: شاعر قريش في الجاهلية، كان شديداً على المسلمين إلى أن فُتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه حسّان أبياتاً، فلما بلغته عاد إلى مكة، فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحُلَّة. الأعلام (٤/ ٨٧)، وانظر طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (١/ ٢٣٥-٢٤٤) شرح محمود شاكر، طبع مطبعة المدني، القاهرة.

(٦) في ع، د، س: قال.

البَنِيَّة - يعني الكعبة - ألستَ تزعم أن الملائكة عباد صالحون، وأن عيسى عبد صالح ، وأن عزيراً عبد صالح، وهذه بنو مليح[(١)] تعبد الملائكة ، وهذه النصارى تعبد عيسى ، وهذه اليهود تعبد عزيراً[(٢)] . قال : فضجَّ أهل مكة، فأنزل الله / عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ (الملائكة وعزير وعيسى)[(٣)] ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾[(٤)] .

٢٨ ب

قال : ونزلت : ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾[(٥)] قال : هو الضجيج[(٦)] .

وهذا الإيراد الذي أورده ابن الزبعرى لا يرد على الآية ، فإنه سبحانه قال : ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ولم يقل: ومن تعبدون و « ما » لما لا يعقل، فلا يدخل فيها الملائكة والمسيح وعزير ، وإنما ذلك للأحجار ونحوها التي لا تعقل، وأيضاً فإن السورة مكية ، والخطاب فهيا لعبَّاد الأصنام، فإنه قال : ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ فلفظة « إنكم » ، ولفظة « ما » تبطل سؤاله وهو رجل (من فصحاء العرب)[(٧)] لا يخفى عليه ذلك . ولكن إيراده إنما كان من جهة

---

(١) هم : بطن من إلياس بن مضر . معجم قبائل العرب (٥/ ٢٣٤) .

(٢) في م : وهذه اليهود تعبد عزيراً عبد صالح .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٤) سورة الأنبياء ، آية ١٠١، ١٠٢ .

(٥) سورة الزخرف ، آية ٥٧ .

(٦) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص٢٣٠) . والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٥٣) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٩) وقال : رواه الطبراني، وفيه عاصم بن بهدلة، وقد وثق ، وضعفه جماعة . اهـ . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧٩) وزاد نسبته إلى أبي داود في ناسخه ، وابن المنذر ، وابن مردويه .

(٧) في ع ، د ، س : فصيح من العرب .

القياس والعموم المعنوي الذي يعم الحكم فيه بعموم علته، أي إن كان كونه معبوداً يوجب أن يكون حصب جهنم . فهذا المعنى بعينه موجود في الملائكة وعزيرٍ والمسيح، فأُجيب بالفارق، وذلك من وجوه :

أحدها : أن الملائكة والمسيح وعزيراً ممن سبقت لهم (من الله)[١] الحسنى ، فهم سعداء لم يفعلوا ما يستوجبون به النار، فلا يُعذبون بعبادة غيرهم مع بغضهم ومعاداتهم لهم ، فالتسوية بينهم وبين الأصنام أقبح من التسوية بين البيع والربا، (والميتة)[٢] (والذكى)[٣] وهذا شأن أهل الباطل، وإنما يسوون بين ما فرق الشرع والعقل والفطرة بينه ، ويفرقون بين ما سوّى الله ورسوله بينه .

الفرق الثاني : أن الأوثان حجارة غير مكلفة ولا ناطقة، فإذا حصبت بها جهنم إهانة لها ولعابديها، لم يكن في ذلك (تعذيب)[٤] من لا يستحق العذاب ، بخلاف الملائكة والمسيح وعزير، فإنهم أحياء ناطقون، فلو حُصِبت بهم النار، كان ذلك إيلاماً وتعذيباً لهم .

الثالث : أن من عبد هؤلاء بزعمه، فإنه لم يعبدهم في الحقيقة ، فإنهم لم يدعوا إلى عبادتهم / وإنما عبد المشركون الشياطين وتوهّموا أن العبادة لهؤلاء ، فإنهم عبدوا بزعمهم من ادّعى أنه معبود مع الله، وأنه معه إله ، وقد برّأ الله سبحانه ملائكته والمسيح وعزيراً من ذلك، وإنما ادعى ذلك الشياطين، وهم بزعمهم يعتقدون (أنهم)[٥] يرضون بأن يكونوا معبودين مع الله ، ولا يرضى بذلك إلا

١٢٩أ

---

(١) في ت : منا .

(٢) في د، س : والميت .

(٣) في ت : والمذكى . قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ١٦٤) : يقال : ذكَّيتُ الشاةَ تذكية ، والاسم : الذكاة ، والمذبوح : ذكيٌّ .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) ساقطة من ع .

الشياطين، ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[3]. فما عبد غير الله إلا الشيطان، وهذه الأجوبة (منتزعة)[4] من قوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾[5] فتأمّل الآية تجدها تلوح في صفحات ألفاظها، وبالله التوفيق، والمقصود ذكر الحسنى التي سبقت من الله لأهل السعادة قبل وجودهم .

وقال عبدالرحمن بن[6] أبي حاتم : حدثنا أبوسعيد[7]

---

(١) سورة سبأ ، آية : ٤٠، ٤١ .

(٢) سورة يس ، آية ٦٠ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآيات ٢٦-٢٩ .

(٤) في م : مأخوذة .

(٥) سورة الأنبياء ، آية ١٠١ .

(٦) هو : الإمام الحافظ الثبت أبومحمد عبدالرحمن ابن الحافظ الكبير محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، ولد سنة أربعين ومائتين، سمع من أبي سعيد الأشج ويونس بن عبدالأعلى وطبقتهما . ورحل به أبوه فأدرك الأسانيد العالية . له «الجرح والتعديل» و«التفسير» و «الرد على الجهمية» ، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة . طبقات الحفاظ للسيوطي ص٣٤٦-٣٤٧، وميزان الاعتدال ٠٢/ ٥٨٧)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٧٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٦٣) .

(٧) هو: أحمد بن بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، أبوسعيد البصري، صدوق من الحادية =

(ابن محمد)[١] بن يحيى بن سعيد حدثنا أبوعامر العقدي[٢] حدثنا عزرة[٣] بن ثابت الأنصاري، حدثنا الزهري عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف[٤] أن عبدالرحمن بن عوف مرض مرضاً شديداً أغمي فيه عليه ، فأفاق فقال : أغمي عليَّ ؟ قالوا : نعم . قال : إنه أتاني رجلان غليظان، فأخذا بيدي، فقالا : انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين . فانطلقا بي، فتلقاهما رجل (فقال)[٥] : أين تريدان به؟ قال : نحاكمه إلى العزيز الأمين . فقال : دعاه ، فإن هذا ممن سبقت له السعادة وهو في بطن أمه[٦] .

= عشرة، مات سنة ثمان وخمسين ومائتين. روى له ابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٢٥) ، وتهذيب التهذيب (٨/ ٨٠) .

(١) ما بين القوسين ساقط من جميع النسخ ، وما أثبت من كتب تراجم الرجال، حيث إن شيخ ابن أبي حاتم هو : أبوسعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، حدّث عن أبي عامر العقدي وغيره. انظر تهذيب الكمال (١/ ٤٨٣-٤٨٤) .

(٢) هو : عبدالملك بن عمرو ، ثقة، سبقت ترجمته في ص(٢٤٣) .

(٣) ثقة ، سبقت ترجمته في ص(٢٩١) .

(٤) هو : إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري ، قيل : له رؤية ، وسماعه من عمر أثبته يعقوب بن شيبة، مات سنة خمس، وقيل: سنة ست وتسعين. روى له الستة سوى الترمذي. تقريب التهذيب (١/ ٣٨) ، وانظر تهذيب التهذيب (١/ ١٣٩) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٢) ، والثقات للعجلي ص(٥٣) .

(٥) في د ، س : وقال .

(٦) رواه اللالكائي في السنة (٤/ ٦٦٩) ، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٢١٠-٢١٢) ، والفريابي في كتاب القدر ص(٤٠٤-٤٠٦) . ومن طريقه الآجري في الشريعة ص(٢١٠) . ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٠٧) من رواية حميد بن عبدالرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة . وسكت عنه هو والذهبي. وعبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١١٢) من رواية حميد بن عبدالرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة. وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٣٤-١٣٥) في ترجمة عبدالرحمن بن عوف . والبيهقي في كتاب القدر ص(٦٧). وذكره المزي في =

وقال عبدالله بن محمد البغوي[١]: حدثنا داود بن رُشَيْد[٢]، حدثنا ابن عُلية[٣]، حدثني محمد بن محمد القرشي[٤]، عن عامر بن سعد[٥] قال: أقبل سعد[٦] من

= تهذيب الكمال (٢/ ٨٠٩) في ترجمة عبدالرحمن بن عوف معلقاً عن الزهري . وابن حجر في الإصابة (٢/ ٤١٦) في ترجمة عبدالرحمن بن عوف معلقاً عن إبراهيم .

(١) هو : الحافظ الكبير الثقة ، أبوالقاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المرزبان، البغوي الأصل البغدادي، سمع ابن الجعد ، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني ، وداود بن رشيد وخلقاً . قال الدارقطني : كان قل أن يتكلم على الحديث ، فإذا تكلم كان كلامه كالمسمار في الساج، ثقة جليل إمام ، أقل المشايخ خطأً . وقال الخليلي : حافظ عارف ، توفي ليلة الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة عن مائة وثلاث سنين، وكان مولده في رمضان سنة أربع عشرة ومائتين . طبقات الحفاظ (ص٣١٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٤٠-٤٥٦) .

(٢) هو : داود بن رُشَيْد ـ بالتصغير ـ الهاشمي ، مولاهم ، الخوارزمي ، نزيل بغداد ، ثقة من العاشرة ، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين ، روى له الستة سوى الترمذي . تقريب التهذيب (١/ ٢٣١). وانظر تهذيب التهذيب (٣/ ١٨٤-١٨٥)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٣) .

(٣) هو : إسماعيل بن إبراهيم ، ثقة . سبقت ترجمته في ص (٢٦٨) .

(٤) هو : محمد بن محمد بن الأسود، الزهري المدني ، روى عن خاله عامر بن سعد بن أبي وقاص، مستور، من الطبقة السادسة ، روى له الترمذي في الشمائل. تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٥) ، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٣١) .

(٥) هو : عامر بن سعد بن أبي وقاص ، الزهري المدني ، ثقة من الثالثة ، مات سنة أربع ومائة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٨٧) ، وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ٦٣) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٩) ، وتهذيب الكمال (١٤/ ٢١-٢٣) .

(٦) هو : سعد بن أبي وقاص : مالك بن وهيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب الزهري ، أبوإسحاق ، أحد العشرة، وأول من رَمَى بسهم في سبيل الله ، ومناقبه كثيرة . مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور ، وهو آخر العشرة وفاة . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٢٩٠) ، وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٨٣-٤٨٤)، وأسد الغابة (٢/ ٢١٤-٢١٧) .

أرض له، فإذا الناس عكوف على رجل، فاطّلع فإذا (هو)[١] يسب طلحة[٢] والزبير وعليًا فنهاه ، فكأنما زاده إغراءً ، فقال : (ويلك ، تريد أن تسب أقواماً هم خير منك ؟! لتنتهينَّ أو لأدعونَّ عليك)[٣] فقال : كأنما يخوفني نبي من الأنبياء . فانطلق فدخل داراً فتوضأ ودخل المسجد، ثم قال : اللهم إن كان هذا قد سبَّ أقواماً قد (سبق)[٤] لهم منك (الحسنى)[٥] أسخطك سبُّه إياهم ، فأرني اليوم (آية تكون آية)[٦] للمؤمنين. (قال : وتخرج)[٧] بختية[٨] من دار بني فلان لا يردها شيء حتى تنتهي إليه ويتفرق الناس وتجعله بين قوائمها وتطؤه حتى طفا[٩]، قال : فأنا رأيت سعداً يتبعه الناس يقولون : استجاب الله لك يا أبا إسحاق ، استجاب الله

---

(١) في د ، س : فإذا هو رجل يسب طلحة . بزيادة (رجل) .

(٢) هو : طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي ، أبومحمد المدني ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، مشهور ، استشهد يوم الجمل ، سنة ست وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٧٩) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٠-٢٢) ، وأسد الغابة (٢/ ٤٦٧-٤٧١) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من : م .

(٤) في د، س : سبقت .

(٥) في ت : خير . وفي ع ، د ، س : حسنى .

(٦) في ت، م : أنه يكون آية .

(٧) في د ، س : وقال : تخرج .

(٨) البختية هي : الأنثى من الجمال البُخت ، والذكر بختي ، وهي جمال طوال الأعناق ، واللفظة معربة . النهاية لابن الأثير (١/ ١٠١) .

(٩) يقال : طفا الماء طَفْواً وطُفُواً : علا ، والخوصة فوق الشجر : ظهرت . والنور : علا الأكم، والظبي : اشتد عَدْوه . وفلان : مات ، ودخل في الأمر . القاموس المحيط ص(١٦٨٥) مادة : طفا .

(لك)[١] يا أبا إسحاق[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴾[٣] أي : الله سماكم (المسلمين)[٤] من قبل القرآن، وفي القرآن ، فسبقت تسمية الحق سبحانه لهم مسلمين قبل إسلامهم وقبل وجودهم . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝١٧٣ ﴾[٥] .

وقال ابن عباس في رواية الوالبي[٦] عنه في قولـه تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

(١) ساقطة من م .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٤٠)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ١١٦) ، وابن الأثير في أسد الغابة (٢/ ٤٧١) في ترجمة طلحة بن عبيدالله . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٥٤) وقال : رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح . ورواه بنحو مختصراً، من رواية مصعب بن سعيد: ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٨٧-٨٨) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٩٩) وسكت عنه هو والذهبي .

(٣) سورة الحج ، آية ٧٨ .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) سورة الصافات ، الآيات : ١٧١-١٧٣ .

(٦) هو : علي بن أبي طلحة، كما صرح بذلك الطبري في تفسيره عند تخريجه لقول ابن عباس هذا ، وقولـه الذي أورده المؤلف في ص(٩٠٤)، وانظر أيضاً كشف الظنون (١/ ٤٦٠) . والوالبي : نسبة إلى والب بن الحارث بن ثعلبة، بطن من بني أسد، ينسب إليه جماعة، منهم سعيد بن جبير . انظر اللباب في تهذيب الأنساب للجزري (٣/ ٣٥٠) . والمراد هنا ـ كما سبق بيانه : هو علي بن أبي طلحة ـ سالم بن مخارق ـ مولى بني العباس ، أصله من الجزيرة. وانتقل إلى حمص ، لم يرَ ابن عباس ، وإنما أخذ تفسيره عن مجاهد، فلم يذكر مجاهداً، بل أرسله عن ابن عباس، وهو من الطبقة السادسة ، صدوق قد يخطئ ، مات سنة ثلاثة ، وأربعين ومائة، وروى له مسلم وأبوداود والنسائي وابن ماجه. ميزان الاعتدال (٣/ ٣٤)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٩) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٣٩) .

أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[١] قال : سبقت لهم السعادة في الذكر الأول[٢] .

وهذا لا يخالف قول من قال : إنه الأعمال الصالحة التي قدّموها ، ولا قول من قال : إنه محمد ﷺ ، فإنه سبق لهم من الله في الذكر الأول السعادة بأعمالهم على يد محمد ﷺ ، فهو خير تقدم لهم من الله ، ثم قدمه لهم على يد رسوله ، ثم يقدمهم عليه يوم (لقائه)[٣] ، وقد قال تعالى : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ / عَظِيمٌ ﴾[٤] . ٨ب

وقد اختلف السلف في هذا الكتاب السابق ، فقال جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم : لولا قضاء من الله سبق لكم يا أهل بدر في اللوح (المحفوظ)[٥] أن الغنائم حلال لكم، لعاقبكم[٦] .

وقال آخرون : لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحداً إلا بعد الحجة لعاقبكم[٧] .

---

(١) سورة يونس ، آية ٢ .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٨٢) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٣) في ع : القيامة .

(٤) سورة الأنفال ، آية ٦٨ .

(٥) ساقطة من م .

(٦) وهذا مروي عن ابن مسعود، وأبي هريرة ، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وعطاء . انظر تفسير ابن جرير (١٠/ ٤٥)، وتفسير القرطبي (٨/ ٣٣) ط. الأولى، ١٤٠٨هـ نشر دار الكتب العلمية ، بيروت . وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٦) .

(٧) وهذا مروي عن ابن عباس، ومجاهد . انظر تفسير ابن جرير (١٠/ ٤٧) ، وتفسير القرطبي (٨/ ٣٣) ، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٦) .

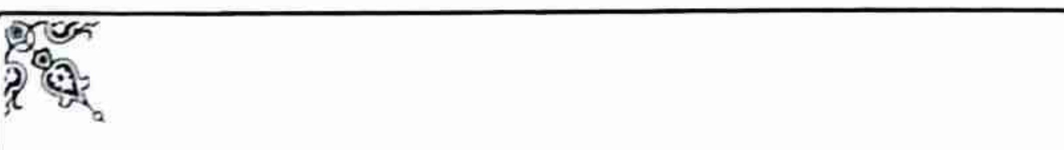
وقال آخرون : لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أنه مغفور لهم ، وإن عملوا ما شاؤوا، لعاقبهم[١] .

وقال آخرون ـ وهو الصواب ـ : لولا كتاب من الله سبق بهذا كله، لمسَّكُم فيما أخذتم عذاب عظيم[٢] . والله أعلم .

* * *

(١) وهذا مروي عن سعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن جبير ، والأعمش. انظر تفسير ابن جرير (١٠/ ٤٦-٤٧) . وتفسير القرطبي (٨/ ٣٣) ، وتفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٦) .

(٢) وهذا قول ابن جرير . انظر تفسيره (١٠/ ٤٤، ٤٨) ، وتفسير القرطبي (٨/ ٢٣) ، وتفسير الشوكاني (فتح القدير) (٢/ ٣٢٦) نشر دار المعرفة، بيروت .




الباب التاسع

في قوله تعالى

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾






الباب التاسع

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[1].

قال سفيان[2] عن زياد بن إسماعيل[3] المخزومي: حدثنا محمد بن عباد بن جعفر[4] حدثنا أبوهريرة، قال: جاء مشركو قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمون في القدر، فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[5] رواه مسلم[6].

---

(١) سورة القمر، آية ٤٩.

(٢) هو: سفيان الثوري، سبقت ترجمته في ص (٢٦٧).

(٣) هو: زياد، ويقال: يزيد بن إسماعيل المخزومي أو السهمي المكي، صدوق سيئ الحفظ، من السادسة، روى له البخاري في كتاب خلق أفعال العباد، وروى له مسلم والترمذي وابن ماجه، تقريب التهذيب (١/ ٢٦٥)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٥٤).

(٤) هو: محمد بن عباد بن جعفر بن رفاعة بن أمية بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي المكي، ثقة من الثالثة، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ١٧٤)، وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٢٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٦).

(٥) سورة القمر، آية ٤٧-٤٩.

(٦) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٦) ك. القدر، باب كل شيء بقدر. فقد رواه عن أبي بكر ابن أبي شيبة وأبي كريب. ورواه الترمذي (٤/ ٣٩٩) ك. القدر، باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ عن أبي كريب. وقال: هذا حديث صحيح. ورواه أيضاً في (٥/ ٣٧٢) ك. تفسير القرآن، باب تفسير سورة القمر، عن أبي كريب، وعن أبي بكر محمد ابن بشار (بندار) وقال: هذا حديث حسن صحيح. رواه ابن ماجه (١/ ٣٢) المقدمة، باب في القدر، عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعن علي بن محمد: أربعتهم عن وكيع عن سفيان الثوري، به. ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٤٤، ٤٧٦)، وابن أبي عاصم في =

(روى)[١] الدارقطني[٢] من حديث حبيب بن (عمر)[٣] الأنصاري[٤] عن أبيه[٥] قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين خصماء الله؟ وهم القدرية** » . ولكن حبيب هذا ـ قال الدارقطني ـ : مجهول . والحديث مضطرب الإسناد ، ولا يثبت[٦] .

= السنة (١/ ١٥٥) . وابن جرير في تفسيره (٢٧/ ١١٠-١١١) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٨٢-٦٨٣) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر ، وابن مردويه .

(١) في ع ، د ، س : وقد روى .

(٢) هو : أبوالحسن ، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي، الحافظ الشهير ، صاحب السنن والعلل والأفراد ، وغير ذلك ، سمع البغوي وابن أبي داود وابن صاعد وغيرهم، حدَّث عنه : الحاكم والبرقاني وأبونعيم وغيرهم . قال الحاكم : أوحد عصره في الفهم والحفظ والورع ، مات ثامن ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، وكان مولده سنة ست وثلاثمائة . طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٣٩٣-٣٩٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٩) .

(٣) في م ، ت ، د ، س : عمرو ، وما أثبت من ع ، ومن كتب التخريج ، وكتب تراجم الرجال .

(٤) هو : حبيب بن عمر الأنصاري ، روى عن أبيه ، روى عنه بقية. قال أبوحاتم : مجهول، ضعيف الحديث ، لم يرو عنه غير بقية . وقال ابن عدي : له أحاديث ليست بالكثيرة ، وأرجو أنه لا بأس به . وذكره ابن حبان في الثقات . الجرح والتعديل (٢/ ١٠٥) ، والثقات (٦/ ١٨٣) ، والكامل لابن عدي (٢/ ٨١٥-٨١٦) ، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٢/ ١٧١-١٧٢) ، نشر مطبعة دائرة المعارف النظامية بالهند ، سنة ١٣٣١هـ.

(٥) لم أعثر له على ترجمة .

(٦) انظر كتاب العلل للدارقطني (٢/ ٧١) تحقيق د. محفوظ الرحمن السلفي. ط. الأولى ١٤٠٥هـ نشر دار طيبة ، الرياض ، وسأنقل قوله كاملاً لما فيه من الفائدة . قال : هو حديث مضطرب الإسناد ، يرويه بقية بن الوليد، عن حبيب بن عمر الأنصاري ـ وهو مجهول ـ عن أبيه عن ابن عمر عن عمر . وقيل أيضاً : عن أبيه عن رجل من الأنصار، عن ابن =

والمخاصمون في القدر نوعان :

أحدهما : من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره ، كالذين قالوا : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾[1] .

والثاني : من ينكر قضاءه وقدره السابق .

والطائفتان خصماء الله . قال عوف[2] : من كَذَّبَ بالقدر فقد كَذَّب بالإسلام، إن الله تبارك وتعالى قدَّر أقداراً ، وخلق الخلق بقدر ، وقسَّم الآجال بقدر، وقسَّم الأرزاق بقدر، وقسم البلاء بقدر ، وقسم العافية بقدر (وأمر ونهي[3])[4] .

= عمر ، عن عمر . ورواه المحاربي عن أبي سليمان التيمي ـ وهو مجهول ـ . وقال ضرار بن صرد عن المحاربي ، عن أبي سليمان التيمي ووهم . ثم قالوا : عن عمر بن حبيب الأنصاري عن أبيه ، عن ابن عمر، عن عمر . وقول من قال : حبيب بن عمر أصح، وهو مجهول ، والحديث غير ثابت . والله أعلم .

والحديث رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٤٨) . وقال الألباني : إسناده ضعيف . والبيهقي في كتاب القدر ص(٢٥٥) ، وذكره ابن أبي حاتم في كتاب علل الحديث (٢/ ٤٣٥) في علل الأخبار المروية في القدر . ونقل عن أبيه قوله : هذا حديث منكر ، وحبيب بن عمر ضعيف الحديث، مجهول ، لم يروه عنه غير بقية . كتاب علل الحديث، نشر دار السلام بحلب ، مصورة عن طبعة القاهرة سنة ١٣٤٣هـ وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٤٢) من طريق الدارقطني، وذكر قوله فيه . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٦) وقال : رواه الطبراني في الأوسط من رواية بقية، وهو مدلس، وحبيب بن عمر، وهو مجهول .

(١) سورة الأنعام ، آية ١٤٨ .

(٢) هو : عوف بن أبي جميلة ـ بفتح الجيم ـ الأعرابي العبدي البصري ، ثقة ، رُمي بالقدر وبالتشيع ، من السادسة ، مات سنة ست أو سبع أو أربعين ومائة ، وله ست وثمانون ، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٨٩) ، وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ١٦٦-١٦٧) ، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٣) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٤) رواه الفريابي في كتاب القدر ص(٥٣) بنحوه من رواية عوف عن الحسن . ومن طريقه =

(وقال)[١] الإمام أحمد : القدر : قدرة الله[٢]، واستحسن ابن عقيل[٣] هذا الكلام جداً، وقال/ : هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين[٤]. ٢٠ب

وهو كما قال أبوالوفاء : فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الرب على خلق أعمال

= الآجري في الشريعة ص(٢١٧) . ورواه البيهقي في كتاب القدر ص(٢٩٤) من رواية عوف عن الحسن ، ورواه اللالكائي في السنة (٤/ ٦٨٢) . من رواية عوف عن الحسن .

(١) في ع ، د ، س : قال .

(٢) رواه ابن هانئ في كتابه (مسائل الإمام أحمد (٢/ ١٥٥) تحقيق زهير الشاويش ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .

(٣) هو : أبوالوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي ، الحنبلي المتكلم، قال الذهبي : وافق المعتزلة في عدة بدع ، نسأل الله السلامة . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان الأشعري أقرب إلى مذهب أحمد وأهل السنة من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد، الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة كابن عقيل .. » وقد ذكر ابن رجب الحنبلي أنه تاب من ذلك . وله مصنفات منها : كتاب الفنون، وكتاب الواضح في الأصول ، وكتاب الانتصار لأصحاب الحديث . مات سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وكان مولده سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . ميزان الاعتدال (٣/ ١٤٦) . سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣-٤٥١) ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٠ و (٨/ ٦٠-٦١) تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط. الأولى ١٤٠١هـ نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وطبقات الحنابلة للقاضي أبي يعلى (٢/ ٢٥٩)، وفيه أن مولده سنة (٤٣٢هـ) ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ١٤٢-١٦٥) . نشر دار المعرفة ، بيروت.

(٤) لم أعثر على قول ابن عقيل هذا ، وقد صاغ المؤلف رحمه الله هذا الكلام شعراً في نونيته فقال :

حقيقة القدر الذي حار الورى ... في شأنه هو قدرة الرحمن

واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد ... لما حكاه عن الرضي الرباني

قال الإمام شفا القلوب بلفظة ... ذات اختصار وهي ذات بيان

القصيدة النونية المطبوعة ، مع شرح ابن عيسى (١/ ٢٥٤) .

العباد (وكتابتها)[١] وتقديرها ، وسلف القدرية كانوا ينكرون علمه بها وهم الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم ، وسنذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله[٢] .

وفي تفسير علي بن أبي طلحة[٣] عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[٤] قال: الذين يقولون[٥]: إن الله على كل شيء قدير[٦] .

وهذا من فقه ابن عباس وعلمه بالتأويل ومعرفته بحقائق الأسماء والصفات ، فإن أكثر أهل الكلام لا يوفون هذه الجملة حقها (وإن)[٧] كانوا يقرون بها ، فمنكرو القدر وخلق أفعال العباد لا يقرون بها على وجهها ، ومنكرو أفعال الرب تعالى القائمة به لا يقرون بها على وجهها ، بل يصرحون أنه لا يقدر على فعل يقوم به ، ومن لا يقر بأن الله سبحانه كل يوم في شأن ، يفعل ما يشاء، لا يقر بأن الله على كل شيء قدير ، ومن لا يقر بأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء[٨] ـ وأنه سبحانه مقلب القلوب حقيقة ، وأنه إن شاء أن يقيم القلب أقامه ، وإن شاء أن يزيغه أزاغه[٩] ـ لا يقر (بأن الله على كل

---

(١) في م ، ع ، د ، س : وكتابها .

(٢) في الباب العاشر (ص وما بعدها) .

(٣) سبقت ترجمته في ص(٣١٠) .

(٤) سورة فاطر ، آية ٢٨ .

(٥) في تفسير ابن جرير ، وابن كثير ، والدر المنثور للسيوطي : يعلمون .

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٣٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٠)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم. وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٥٣) .

(٧) في ع ، د ، س : ولو .

(٨) هذه العبارة مقتبسة من حديث رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وذكره المؤلف في ص٢٧٦ ، وسيأتي تخريجه هناك .

(٩) قوله: «وإن شاء أن يقيم القلب أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه» مقتبس من الحديث الذي رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه، وذكره المؤلف رحمه الله في ص(٢٧٧)، وقد خرجته هناك.

شيء قدير، ومن لا يقر)[١] بأنه استوى على عرشه بعد أن خلق السماوات والأرض، وأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا يقول : من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له[٢]، وأنه نزل إلى الشجرة[٣] فكلّم موسى

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٢) كما ورد في الحديث الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟** » . والحديث أخرجه مالك في الموطأ ص(١٤٩-١٥٠) ك. القرآن ، ومن طريقه رواه البخاري في المواضع التالية :

- (٢/ ٤٧) ك. التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل .
- (٧/ ١٤٩) ك. الدعوات ، باب الدعاء نصف الليل .
- (٨/ ١٩٧) ك. التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ .

ورواه مسلم (١/ ٥٢١-٥٢٢) ك. صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه . ورواه أبوداود (٤/ ١٩٩) ، أبواب قيام الليل ، باب أي الليل أفضل؟ . ورواه أيضاً (١٣/ ٥٨) ك. السنة ، باب في الرد على الجهمية . ورواه الترمذي (٢/ ٣٠٧-٣٠٨) أبواب الصلاة ، باب ما جاء في نزول الرب عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة، ورواه أيضاً (٥/ ٤٩٢) ك. الدعوات ، باب رقم (٧٩) وقال : حديث حسن صحيح، ورواه النسائي في الكبرى ك. النعوت انظر تحفة الأشراف (١٠/ ٩٩) . ورواه أيضاً في كتاب عمل اليوم والليلة ص(٣٣٩-٣٤٠) . ورواه ابن ماجه (١/ ٤٣٥) ك. إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل؟ . ورواه الدارمي في سننه (١/ ٢٨٦) ك. الصلاة ، باب ينزل الله إلى السماء الدنيا . ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٤-٢٦٥،٢٦٧،٢٨٢،٤٨٧، ٥٠٤). ورواه البخاري في الأدب المفرد (ص٢٦٤) باب الدعاء إذا بقي ثلث الليل، ورواه عبدالرزاق في مصنفه (١٠/ ٤٤٤)، وابن حبان في صحيحه . كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ١٩٩-٢٠٠) . ورواه البيهقي في الأسماء والصفات ص(٥٦٥) ، وفي السنن الكبرى (٣/ ٢) . وقد جمع كثيراً من ألفاظ هذا الحديث وأسانيده ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٩٢ وما بعدها) .

(٣) ذكر النزول في هذا الموضع فيه نظر، فإنه لم يرد في الآيات التي أخبر الله فيها عن تكليمه =

(كليمه)[١] منها ، وأنه ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة حين تخلو من سكانها ، (وأنه يجيء يوم القيامة، فيفصل بين عباده، وأنه يتجلّى لهم يضحك، وأنهم يريهم نفسه المقدسة)[٢] ، (وأنه يضع رجله على النار (فيضيق بها)[٣] أهلها وينزوي بعضها إلى بعض)[٤] إلى غير ذلك من شؤونه وأفعاله التي من لم يقر بها (لم)[٥] يقر بأنه على كل شيء قدير، فيا لها كلمة من حبر الأمة وترجمان القرآن رضي الله عنه ، وقد كان ابن عباس شديداً على القدرية، وكذلك / الصحابة، كما سنذكر ذلك إن ١٣١أ شاء الله تعالى[٦] .

= لموسى من الشجرة ذكر النزول، وإذا لم يثبت التصريح بالنزول في هذه القصة في كتاب الله سبحانه وتعالى ولا سنة رسوله ﷺ فالواجب الإمساك والوقوف مع ما نطقت به النصوص.

(١) في ع ، د ، س : كلمة .

(٢) ويدل على ذلك الحديث الذي رواه أبوهريرة وأبوسعيد الخدري عن رسول الله ﷺ وأوله : أن الناس قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ .. وفيه : « كذلك **يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبّعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، الشمس .. وفيه : فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم . فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاءنا ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول : أنا ربكم، فيقولون : أنت ربنا .. ، وفيه : ثم يتجلّى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ... ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة .. فيقول : أي رب لأكونن أشقى خلقك ، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه ، فإذا ضحك منه قال له : ادخل الجنة ..»** الحديث . وانظر تخريج هذا الحديث في ص(٤٢٤). وانظر كتاب الرد على الجهمية للدارمي ص(٢٣٨، ٤٢٠) .

(٣) في ت، م : فيضيق .

(٤) هذه العبارة مقتبسة من حديث رواه أبوهريرة في احتجاج الجنة والنار . سيأتي تخريجه في ص(٤٢٠) .

(٥) ساقطة من د ، س .

(٦) في ص() .

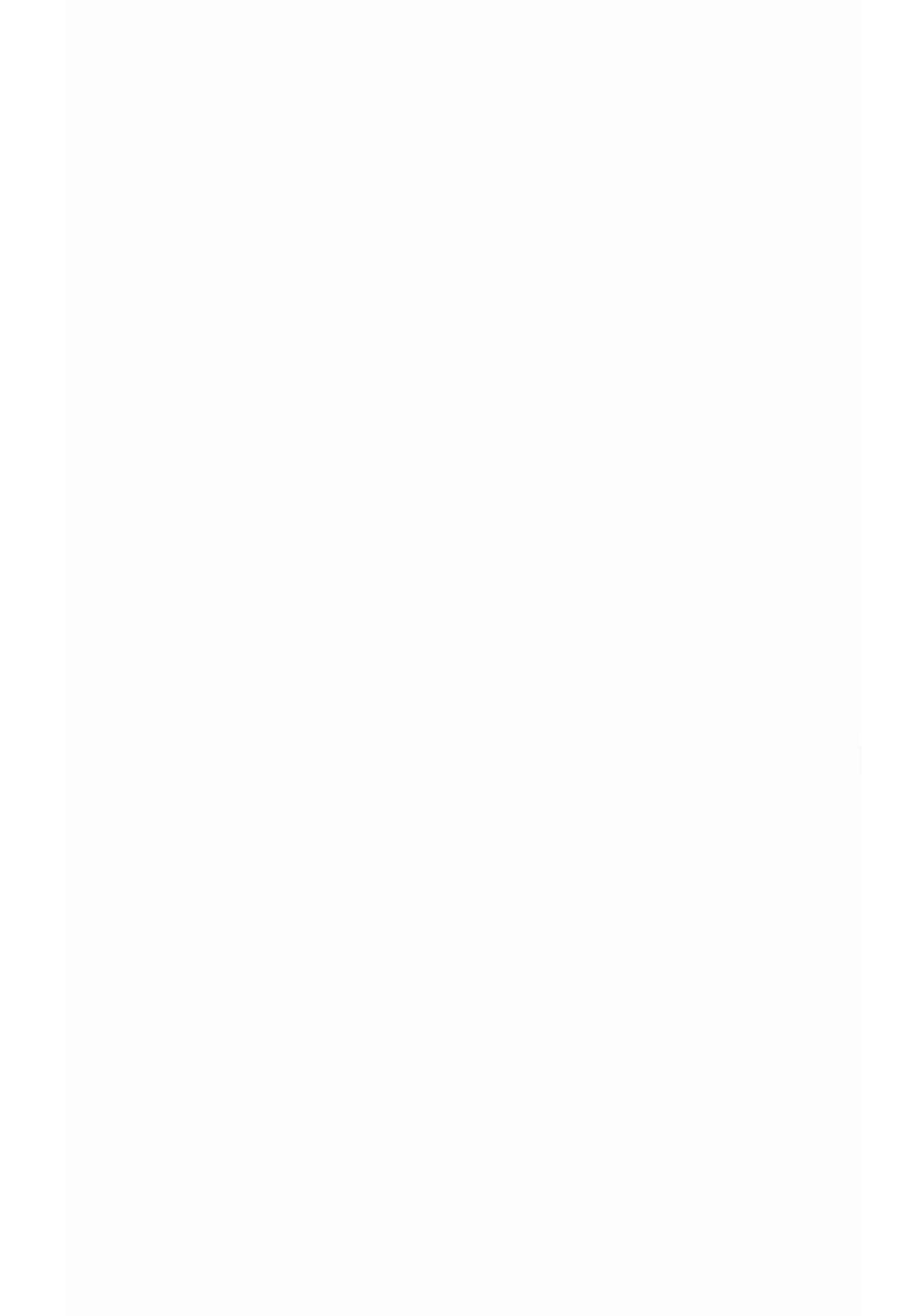


الباب العاشر

في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر







الباب العاشر
في مراتب القضاء والقدر
(التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر)[(١)]

وهي : أربع مراتب :

المرتبة الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها .

المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها .

المرتبة الثالثة : مشيئته لها .

الرابعة[(٢)] : خلقه لها .

فأما المرتبة الأولى، وهي : العلم السابق ، فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم ، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة ، وخالفهم (في ذلك)[(٣)] مجوس الأمة .

وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(٤)] **قال مجاهد** : علم من إبليس المعصية وخلقه لها (وعلم من آدم الطاعة وخلقه لها[(٥)])[(٦)] .

---

(١) ما بين القوسين ساقطة من م .

(٢) قوله « الرابعة » : هكذا وردت في جميع النسخ ، وسياق الكلام يقتضي أن يقال : المرتبة الرابعة .

(٣) ساقطة من ع، د ، س .

(٤) سورة البقرة ، آية ٣٠ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ع، د ، س .

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٢١٢) بسنده من طريق عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه، به . وعبدالوهاب هذا ضعيف جداً ، كذبه سفيان الثوري ، وقال وكيع : كانوا =

وقال قتادة[١] : كان في علمه أنه سيكون من تلك (الخليقة)[٢] أنبياء ورسل وقوم صالحون ، وساكنو الجنة[٣] .

وقال ابن مسعود : أعلم ما لا تعلمون من (شأن)[٤] إبليس[٥] .

= يقولون : إنه لم يسمع من أبيه ، وقال أحمد : ليس بشيء ، وضعفه أيضاً ابن معين وأبوحاتم، وقال النسائي : متروك الحديث . انظر تهذيب التهذيب (٦/ ٤٥٣) والضعفاء الصغير للبخاري (ص١٥٦) ، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص١٦٣ . ورواه ابن جرير (١/ ٢١٢-٢١٣) من طرق أخرى عن مجاهد، ولكن دون قوله : وعلم من آدم الطاعة وخلقه لها . وقد صحح أغلبها الشيخ أحمد شاكر، وقال عن هذه الزيادة : بأنه لم يجدها في موضع آخر . انظر تفسير ابن جرير الطبري بتحقيقه (١/ ٤٧٧-٤٧٩) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١١٤) وزاد نسبته إلى وكيع وسفيان بن عيينة وعبدالرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد .

(١) هو : قتادة بن دِعَامة بن قتادة السدوسي ، أبوالخطاب البصري ، ثقة ثبت ، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشرة ومائة، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ١٢٣) ، وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥١-٣٥٦) .

(٢) الخليقة ـ بالقاف ـ هكذا وردت في جميع النسخ ما عدا (م) فإنها غير معجمة فيها . وقال أحمد شاكر : ورد عند ابن كثير (١/ ٧٢) ، والدر المنثور (١/ ١١٤) ، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٦٤) الخليقة ـ بالقاف ـ وهو خطأ الصواب الخليفة . اهـ . انظر تخريجه لتفسير الطبري (١/ ٤٧٩) .

قلت : وقد ورد عند ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١١٥) الخليفة بالفاء الموحدة . تحقيق د. أحمد الزهراني ، ط. الأولى ١٤٠٨هـ ، نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ودار طيبة بالرياض ، ودار ابن القيم بالدمام .

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٢٠٥ ، ٢١٣). وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١١٥) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١١٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) روا ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٢١٢) .

وقال مجاهد أيضاً : علم من إبليس أنه لا يسجد لآدم [١] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [٢] .

وفي المسند من حديث لقيط [٣] بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال : يا رسول الله، ما عندك من علم الغيب؟ فقال: «ضنَّ [٤] ربُّك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله » وأشار بيده، فقلت : ما هن ؟ قال : « علم المنية (قد علم) [٥] متى منية أحدكم (ولا) [٦] تعلمونه ، وعلم المني حين يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمونه، وعلم ما في غد، قد علم ما أنت طاعم ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث، يشرف / عليكم مشفقين [٧] ، فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب » قال لقيط : لن نعدم من ربٍّ يضحك خيراً - « وعلم يوم الساعة » [٨] .

٢١ب

---

(١) لم أعثر له على تخريج .

(٢) سورة لقمان : ٣٤ .

(٣) هو : لقيط بن صَبِرَة - بفتح المهملة وكسر الموحدة - صحابي مشهور ، ويقال: إنه جده ، واسم أبيه عامر ، وهو أبورزين العقيلي ، والأكثر على أنهما اثنان . روى له البخاري في الأدب المفرد ، وروى له الأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ١٣٨) ، وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٦) ، وأسد الغابة (٤/ ٢٢٣) .

(٤) ضَنَّ : اختص . النهاية لابن الأثير (٣/ ١٠٤) .

(٥) في م : وهي .

(٦) في ت : ولم .

(٧) مشفقين : خائفين . النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٨٧) .

(٨) انظر المسند (٤/ ١٣) وما ذكره المؤلف هنا - كما هو ظاهر من كلامه - طرفٌ من الحديث الطويل الذي رواه لقيط بن عامر في قصة وفادته على النبي ﷺ وأوله : خرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ لانسلاخ رجب، فأتينا رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة (الفجر) فقام في الناس خطيباً، فقال: «أيها الناس ألا إني =

وقد تقدم حديث علي المتفق على صحته : « مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ

= قد خبأتُ لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم .. » إلخ . وهذا الحديث رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في زياداته على مسند أبيه (٤/ ١٣) ، وفي كتابه « السنة » له (٢/ ٤٨٥) فقال : كتب إليَّ إبراهيم بن حمزة الزبيري : كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرفته وسمعته على ما كتبت به إليك ، فحدث بذلك عني ، حدثني عبدالرحمن بن المغيرة الحزامي ، حدثني عبدالرحمن بن عياش السمعي الأنصاري القبائي - من بني عمرو بن عوف - عن دلهم بن الأسود بن عبدالله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر . قال دلهم : وحدثنيه ابن أبي الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ .. إلخ . ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢١١ -٢١٤) من طريق عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر .. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٣٨-٣٤٠) وقال : رواه عبدالله والطبراني بنحوه، وأحد طريقي عبدالله إسنادها متصل ورجالها ثقات . والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً . ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٨٦-٢٨٩) عن إبراهيم بن المنذر الحزامي عن عبدالرحمن بن المغيرة الحزامي، به . ورواه أيضاً مختصراً (١/ ٢٣١) إلا أنه قال في كلا الموضعين : عن « جده » بدل أبيه وقال الشيخ الألباني : إسناده ضعيف ، دلهم بن الأسود وجده عبدالله بن حاجب، قال الذهبي : لا يعرفان ، ومثلهما عبدالرحمن بن عياش الأنصاري، وكذا الأسود بن عبدالله والد « دلهم » . وانظر تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٣١) وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٢٨، ٤٠٥، ٥٨٠) و(١/ ٢٥٦) .

ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٤٦١-٤٧٠) من طريق يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري، عن المغيرة، به . وقال الشيخ الألباني: إسناده ضعيف. انظر تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٠٠). ومن الطريق نفسه رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٠- ٥٦٤) وقال : هذا حديث جامع في الباب صحيح الإسناد، كلهم مدنيون ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي فقال : يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري ضعيف . وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٨٠-٨٣) وقال : هذا حديث غريب جداً ، وألفاظه في بعضها نكارة . وذكره المؤلف (ابن القيم) في كتابه زاد المعاد (٣/ ٥٦-٥٧) وصححه ، وأطال الكلام فيه . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٥٦-٣٥٨) ونسبه إلى عبد الله بن أحمد والحاكم .

مَنفُوسَةٍ إلاَّ وَقَدْ علم مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ أو النَّارِ »[١] .

وقال البزار[٢] : حدثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي[٣] ، حدثنا عبيدالله بن موسى[٤]، حدثنا (فضيل)[٥] بن مرزوق[٦] عن عطية[٧] عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أحسبه قال : « يُؤتى بالهالك في الفترة[٨] والمعتوه والمولود ، فيقول الهالك في

---

(١) في ص(١٥٩-١٦٠) .

(٢) هو : أبوبكر ، أحمد بن عمرو بن عبدالخالق ، البصري ، البزار ، صاحب المسند الكبير ، الذي تكلم على أسانيده ، ولد سنة نيف عشرة ومائتين ، وقد ذكره الدارقطني، فقال : ثقة، يخطئ ويتكل على حفظه ، مات بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٥٤-٥٥٧)، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص(٢٨٩-٢٩٠) .

(٣) هو : محمد بن عمر بن هياج الهمْداني أو الأسدي الكوفي ، صدوق ، من الحادية عشرة ، مات سنة خمس وخمسين ومائتين، روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ١٩٤) ، وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٣٦٢-٣٦٣) .

(٤) هو : عبيدالله بن موسى بن أبي المختار، باذام ، العبسي مولاهم ، الكوفي ، أبومحمد، ثقة ، كان يتشيع ، من التاسعة ، قال أبوحاتم : كان أثبت في إسرائيل من أبي نعيم ، مات سنة ثلاث عشرة ومائتين على الصحيح ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٥٣٩-٥٤٠)، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ٥٠-٥٣) .

(٥) في ت ، م : فضل .

(٦) هو : فضيل بن مرزوق الأغر ـ بالمعجمة والراء ـ الرقاشي الكوفي، أبوعبدالرحمن ، صدوق يهم ، ورُمي بالتشيع ، من السابعة ، مات في حدود سنة ستين ومائة ، روى له البخاري في جزء رفع اليدين، روى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ١١٣) ، وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ٢٩٨-٣٠٠) .

(٧) هو : عطية بن سعد بن جُنادة ـ بضم الجيم بعدها نون خفيفة ـ العوْفي ، الجَدَلي ـ بفتح الجيم والمهملة ـ الكوفي ، أبوالحسن ، صدوق يخطئ كثيراً ، كان شيعياً مدلساً، من الثالثة ، مات سنة إحدى عشرة ومائة ، روى له البخاري في الأدب المفرد ، وروى له أبوداود والترمذي وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ٢٤) ، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٤-٢٢٦) .

(٨) الفترة هي : ما بين الرسولين من رسل الله تعالى من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة . النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٠٨) .

الفترة : لم (يأتني)[١] كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه : أي رب، لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً. ويقول المولود: (رب)[٢] لم أدرك العملَ. قال : فترفع لهم نار، فيقال لهم : رِدوها ـ أو قال : ادخلوها ـ فيردها من كان في علم الله سعيداً أن لو أدرك العمل ، قال : ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً أن لو أدرك العمل ، فيقول تبارك وتعالى : إياي عصيتم فكيف (برسلي)[٣] بالغيب »[٤].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة (أن)[٥] النبي ﷺ قال : « ما من مولود يُولد إلا على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه كما تنتج البهيمة جمعاء[٦] هل تحسون فيها من جدعاء[٧] حتى تكونوا أنتم تجدعونها » .قالوا : يا رسول الله، أفرأيت من يموت منهم وهو صغير ؟ قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين »[٨].

---

(١) في ت : ياتي .

(٢) في ع ، د ، س : أي رب .

(٣) في ع ، د ، س : رسلي .

(٤) انظر كشف الأستار عن زوائد البزار : (٣/ ٣٥) ك. القدر ، باب فيمن لم يبلغه الدعوة وغير ذلك . وقال البزار : لا نعلمه يُروى عن أبي سعيد إلا من حديث فضيل. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١٦) وقال : رواه البزار ، وفيه عطية ، وهو ضعيف .

(٥) في ع ، د ، س : عن .

(٦) جمعاء : أي سليمة من العيوب ، مجتمعة الأعضاء كاملتها، فلا جدع بها ولا كي . النهاية لابن الأثير (١/ ٢٩٦) .

(٧) جدعاء : أي مقطوعة الأطراف ، أو واحدها . ومعنى الحديث : أن المولود يُولد على نوع من الجِبِلَّة ، وهي فطرة الله تعالى، وكونه متهيئاً لقبول الحق طبعاً وطوعاً ، لو خلَّته شياطين الإنس والجن وما يختار لم يختر غيرها، فضرب لذلك الجمعاء والجدعاء مثلاً . يعني أن البهيمة تولد مجتمعة الخلق ، سوية الأطرف ، سليمة من الجدع، لولا تعرض الناس إليها، لبقيت كما ولدت سليمة . النهاية لابن الأثير (١/ ٢٤٧) .

(٨) انظر : صحيح البخاري (٧/ ٢١١) ك. القدر ، باب : الله أعلم بما كانوا عاملين . عن إسحاق بن نصر . في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٨) ك. القدر ، باب معنى كل مولود يولد=

ومعنى الحديث : الله أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا .

وقد قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[(١)] ، قال ابن عباس : علم ما يكون قبل أن يخلقه[(٢)] .

وقال أيضاً : على علم قد سبق عنده[(٣)] .

وقال أيضاً : يريد الأمر الذي سبق له في أم الكتاب[(٤)] .

وقال سعيد بن جبير ومقاتل : على علمه فيه[(٥)] .

وقال أبوإسحاق[(٦)] : أي على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه[(٧)] .

وهذا الذي ذكره جمهور المفسرين .

= على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ، عن محمد بن رافع ، كلاهما عن عبدالرزاق عن معمر ، عن همام عن أبي هريرة، به . ورواه عبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١١٩) ك. القدر .

(١) سورة الجاثية ، آية ٢٣ .

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره ق (٢٠) مخطوط، مرجع سابق.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٥/ ١٥١) .

(٤) رواه اللالكائي في السنة (٤/ ٥٦٦) ، وذكره الواحدي في تفسيره ق(٢٠) المرجع السابق.

(٥) ذكره الواحدي في تفسيره ق(٢٠) مخطوط ، المرجع السابق .

(٦) هو : إبراهيم بن محمد بن السري، أبوإسحاق الزجاج، البغدادي، نحوي زمانه، لزم المبرِّد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهماً ، فنصحه وعلَّمه . اخذ عنه علم العربية أبوعلي الفارسي وجماعة، وله تآليف جمة، منها: معاني القرآن وإعرابه، مات سنة (٣١١هـ). سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠)، وطبقات النحويين واللغويين لمحمد بن الحسن الزبيدي ص(١٢١-١٢٢) تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط. الأولى ١٣٧٣هـ ، نشر محمد الخانجي ، مصر .

(٧) انظر كتاب معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٤/ ٤٣٣) تحقيق د. عبدالجليل شلبي ، ط. الأولى ١٤٠٨هـ ، نشر عالم الكتب ، بيروت .

١٣٢أ وقال الثعلبي[(١)] : على علم منه بعاقبة أمره . / قال : وقيل : على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه[(٢)] . وكذلك ذكر البغوي[(٣)(٤)] .

---

(١) هو : أبوإسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، قال السمعاني : يقال له الثعلبي والثعالبي ، وهو لقب له لا نسب . كان أحد أوعية العلم ، حدث عن ابن خزيمة وغيره ، وكان صادقاً موثقاً ، بصيراً بالعربية ، طويل الباع في الوعظ ، حدَّث عنه أبوالحسن الواحدي وجماعة . له كتاب (الكشف والبيان في تفسير القرآن) . قال ابن تيمية : الثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع . وقال ابن كثير : كان كثير الحديث، واسع السماع ، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير . مات سنة سبع وعشرين وأربعمائة . انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٣٥-٤٣٦) ، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٩٠) ، وانظر فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٣٥٤) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٤٠) .

(٢) انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٠٣، مخطوط محفوظ بالمكتبة المحمودية بالمدينة النبوية تحت رقم (١٠٥) تفسير ، وتوجد منه صورة محفوظة في قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم ٣٨ ف .

(٣) انظر معالم التنزيل (٧/ ٤٤٦) المطبوع مع تفسير ابن كثير، ونص قول البغوي : وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك .

(٤) هو : الشيخ الإمام الحافظ ، الملقب بمحيي السنة ، أبومحمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي نسبة إلى (بغا) من قرى خراسان، الشافعي ، الفقيه المحدِّث المفسر، صاحب التصانيف ، كشرح السنة ، ومعالم التنزيل ، والمصابيح ، والتهذيب ، وغيرها ، تفقه على شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد المروذي ، وحدث عنه ، مات بمرو الروذ سنة ست عشرة وخمسمائة عن ثمانين سنة . سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩-٤٤٣) ، طبقات الحفاظ (ص٤٥٦-٤٥٧) . وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ص٢٩. نشر دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٩٨هـ . وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٥٧). وطبقات المفسرين للسيوطي ص(١٢) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

وأبوالفرج ابن الجوزي[١] قال : على علمه السابق (فيه)[٢] أنه لا يهتدي[٣] .

وذكر طائفة؛ منهم المهدوي[٤] وغيره قولين في الآية، هذا أحدهما[٥] .

قال المهدوي : فأضله الله على علم علمه منه (وقيل : المعنى أضله عن الثواب على علم منه)[٦] بأنه لا يستحقه . قال : وقيل : على علم من عابد الصنم أنه لا ينفع ولا يضر[٧] .

وعلى الأول يكون « على علم » (حال)[٨] من الفاعل ، (المعنى)[٩] : أضله الله عالماً بأنه من أهل الضلال في سابق علمه .

---

(١) هو : الإمام العلامة جمال الدين ، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن عبدالرحمن بن علي بن عبدالله القرشي البكري ، البغدادي ، الحنبلي ، الواعظ ، صاحب التصانيف ، وعرف جدهم بـ « الجوزي » ، لجوزة كانت بدارهم لم يكن بواسط سواها، ومن مصنفاته : زاد المسير في التفسير ، والموضوعات، والمنتظم ، وغيرها . قال السيوطي : وما علمت أحداً من العلماء صنف ما صنف . وكانت له مجالس وعظ مشهورة ، ولد سنة عشر وخمسمائة أو قبلها، ومات سنة سبع وتسعين وخمسمائة . طبقات الحفاظ للسيوطي ص٤٨٠، تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٣٤٢) ، وشذرات الذهب (٤/ ٣٢٩) .

(٢) في م ، ت : منه . وما أثبت من ع ، ومن زاد المسير .

(٣) انظر : زاد المسير (٧/ ٣٦٢-٣٦٣) ط. الثالثة ١٤٠٤هـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

(٤) هو : أحمد بن عمار بن أبي العباس ، المهدوي ، التميمي ، أبوالعباس ، مقرئ، أندلسي ، أصله من المهدية بالقيروان، رحل إلى الأندلس في حدود سنة ٤٠٨هـ وصنف كتباً، منها: التفصيل الجامع لعلوم التنزيل. مات سنة ٤٤٠هـ . الإعلام (١/ ١٨٤) ، وطبقات المفسرين للداودي ص(٥) .

(٥) لم أعثر له على تخريج .

(٦) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٧) لم أعثر له على تخريج .

(٨) في د ، س : حالاً .

(٩) في د ، س : فالمعنى .

وعلى الثاني : (حال)[1] من المفعول ، أي أضله الله في حال علم الكافر بأنه ضال .

(قلت)[2] : وعلى الوجه الأول، فالمعنى : أضله الله عالماً به وبأقواله وما يناسبه (ويليق)[3] به، ولا يصلح له غيره قبل خلقه وبعده ، وأنه أهل للضلال وليس أهلاً أن يُهدى ، وأنه لو هُدي لكان قد وضع الهدى في غير محله وعند من لا يستحقه ، والرب تعالى حكيم (إنما)[4] يضع الأشياء في محالها اللائقة بها، فانتظمت الآية على هذا القول (إثبات)[5] القدر والحكمة التي لأجلها قدر عليه الضلال . وذكر العلم؛ إذ هو الكاشف المبين لحقائق الأمور ووضع الشيء في (موضعه)[6] وإعطاء الخير من يستحقه ، ومنعه من لا يستحقه ، فإن هذا لا يحصل بدون العلم ، فهو سبحانه أضله على علمه بأحواله التي تناسب ضلاله وتقتضيه وتستدعيه ، وهو سبحانه كثيراً ما يذكر ذلك مع إخباره بأنه (الذي)[7] أضل الكافر كما قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[8] ، وقال تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ / ٣٢أ

(١) في د ، س : حالاً .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) في ع : ما لا يليق .

(٤) ساقط من ت .

(٥) في ع ، د ، س : في إثبات .

(٦) في ع، د ، س : مواضعه .

(٧) ساقطة من ع ، د ، س .

(٨) سورة الأنعام ، آية ١٢٥ .

ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[3]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾[4]. ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾[5]. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾[6]. ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾[7]. ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[8].

وقد أخبر الله أنه يفعل ذلك عقوبةً لأرباب هذه الجرائم، وهذا إضلال ثان بعد الإضلال الأول؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[9]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[10]، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[11]، وقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾[12]، وقال:

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦- ٢٧.
(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٨، وسورة التوبة، آية ١٠٩، وسورة الجمعة، آية ٥.
(٣) سورة المائدة، آية ١٠٨، وسورة التوبة، آية ٢٤، وآية ٨٠، وسورة الصف، آية ٥.
(٤) سورة الزمر، آية ٣.
(٥) سورة إبراهيم، آية ٢٧.
(٦) سورة غافر، آية ٣٤.
(٧) سورة غافر، آية ٣٥.
(٨) سورة الروم، آية ٥٩.
(٩) سورة النساء، آية ١٥٥.
(١٠) سورة الأنعام، آية ١٠٩-١١٠.
(١١) سورة الصف، آية ٥.
(١٢) سورة البقرة، آية ١٠.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[١] أي : إن تركتم الاستجابة (لله ورسوله عاقبكم بأن يحول بينكم وبين قلوبكم، فلا تقدرون على الاستجابة)[٢] بعد ذلك .

ويشبه هذا إن لم يكن (هو)[٣] بعينه قوله : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾[٤] .

وفي موضع آخر : ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[٥] . وفي هذه الآية ثلاثة أقوال (هذا)[٦] أحدها.

(وقال)[٧] أبوإسحاق : هذا إخبار عن قوم لا يؤمنون ، كما قال عن نوح: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا / مَن قَدْ آمَنَ﴾[٨]، واحتج على هذا بقوله : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[٩] قال : وهذا يدل على أنه قد طبع على قلوبهم[١٠] .

٣٢ب

(١) سورة الأنفال ، آية ٢٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٣)ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) سورة يونس ، آية ١٣ .

(٥) سورة الأعراف ، آية ١٠١ .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

(٧) في م ، ع ، د ، س : قال . دون الواو .

(٨) سورة هود ، آية ٣٦ .

(٩) سورة يونس ، آية ١٣ .

(١٠) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٢/ ٣٦١-٣٦٢) .

وقال ابن عباس : فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند إرسال الرسل (بما)[١] كذبوا يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم، فآمنوا كرهاً، وأقروا باللسان وأضمروا التكذيب[٢] .

وقال مجاهد : فما كانوا لو أحييناهم بعد هلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به قبل هلاكهم[٣] .

قلت[٤] : وهو نظير قوله : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾[٥] .

وقال آخرون : لما جاءتهم رسلهم بالآيات (التي)[٦] اقترحوها وطلبوها، ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤيتها ومعاينتها بما كذبوا به من قبل رؤيتها، فمنعهم تكذيبهم السابق بالحق لما عرفوه من الإيمان (به)[٧] بعد ذلك ، وهذه عقوبة من رد الحق (أو)[٨] أعرض عنه فلم يقبله ، فإنه يصرف عنه، ويحال بينه وبينه ، ويقلب قلبه عنه ، فهذا إضلال العقوبة وهومن عدل الرب تعالى في عبده . وأما الإضلال السابق الذي ضل به عن قبوله أولاً والاهتداء به ، فهو إضلال ناشئ عن علم الله السابق في عبده أنه لا يصلح للهدى ولا يليق به ، وأن محله غير قابل له ، فالله أعلم حيث يضع هداه وتوفيقه ، كما هو أعلم حيث يجعل رسالته ، فهو

---

(١) في د ، س : لما .

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (٣/ ٢٣٦) .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١١) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٠٧) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) (قلت) هكذا وردت في جميع النسخ ، وفي تفسير ابن جرير ، والدر المنثور : قال : (أي مجاهد) : كقوله : ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴾ .

(٥) سورة الأنعام ، آية ٢٨ .

(٦) ساقطة من ت .

(٧) ساقطة من م .

(٨) في م : إذ .

أعلم حيث يجعلها أصلاً وميراثاً ، وكما أنه ليس كل محل أهلاً لتحمل الرسالة عنه وأدائها إلى الخلق، فليس كل محل أهلاً لقبولها والتصديق بها، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1] ، أي : ابتلينا واختبرنا بعضهم ببعض ، فابتلى الرؤساء والسادة بالأتباع والموالي والضعفاء ، فإذا نظر الرئيس والمطاع إلى المولى والضعيف (قد آمن ، حمى أنفه)[2] وأنِفَ أن يُسْلِم، وقال : (أهذا)[3] يمن الله عليه بالهدى والسعادة دوني، قال الله تعالى : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وهم الذين يعرفون النعمة وقدرها ، ويشكرون الله / عليها بالاعتراف والذل والخضوع والعبودية ، فلو كانت قلوبكم مثل قلوبهم تعرفون قدر نعمتي ، وتشكرونني عليها، وتذكرونني بها، وتخضعون لي كخضوعهم ، وتحبونني كحبهم ، لَمَنَنتُ عليكم كما مَنَنتُ عليهم، ولكن (لِمِنَني)[4] ونعمي محال لا تليق إلا بها ، ولا تحسن إلا عندها، ولهذا يقرن سبحانه كثيراً (ومطرداً)[5] بين التخصيص والعلم؛ كقوله ها هنا ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ (رسالاته)[6]﴾[7] ، وقوله تعالى :

٣٣ب

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٥٣ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٣) في د ، س : هذا .

(٤) في م : لمنتي ، وفي ت ، د ، س : لمني .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س.

(٦) في ع ، د ، س : (رسالته) بالتوحيد ونصب التاء، وهي قراءة ابن كثير المكي وحفص . و(رسالاته) بالجمع وكسر التاء هي قراءة الباقين : (نافع ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وابن عامر ، وأبي عمرو). انظر كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ص١٠٦) .

(٧) سورة الأنعام ، آية ١٢٤.

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) ﴾[١] .

أي : (هو)[٢] سبحانه المنفرد بالخلق والاختيار مما خلق، وهو الاصطفاء والاجتباء، ولهذا كان الوقف التام (على)[٣] قوله ﴿ وَيَخْتَارُ ﴾[٤] ، ثم نفى الاختيار الذي اقترحوه بإرادتهم، وأن ذلك ليس إليه ، بل إلى الخلاّق العليم الذي هو أعلم بمحال الاختيار ومواضعه، لا من قال : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٥] فأخبر سبحانه أنه لا يبعث الرسل باختيارهم، وأن البشر ليس لهم أن يختاروا على الله ، بل هو الذي يخلق ما يشاء ويختار ، ثم نفى سبحانه أن تكون لهم الخيرة كما ليس لهم الخلق .

ومن زعم أن « ما » مفعول « يختار » فقد غلط، إذ لو كان هذا هو المراد، لكانت الخيرة منصوبة على أنها خبر كان، ولا يصح (أن يقال)[٦]: المعنى : (ما كان لهم الخيرة فيه) وحذف العائد (فإن العائد)[٧] هاهنا مجرور بحرف لم يجر الموصول بمثله ، فلو حذف مع الحرف لم يكن عليه دليل، فلا يجوز حذفه،

---

(١) سورة القصص ، آية ٦٨-٦٩ .

(٢) سقاطة من ع ، د ، س .

(٣) في ع ، د ، س : عند .

(٤) وهذا اختيار الزجَّاج وابن كثير . انظر معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥١) ، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٧) .

(٥) كما حكاه الله عنه في سورة الزخرف ، آية ٣١ .

(٦) سقاطة من ع ، د ، س .

(٧) ساقطة من م .

وكذلك لم يفهم معنى الآية من قال : إن الاختيار هاهنا هو الإرادة كما (يقول)[١] المتكلمون: إنه سبحانه فاعل بالاختيار، فإن هذا (اصطلاح)[٢] حادث منهم لا يحمل عليه كلام الله، بل لفظ الاختيار ، في القرآن مطابق لمعناه في اللغة، وهو اختيار الشيء على غيره، وهو يقتضي ترجيح ذلك المختار وتخصيصه وتقديمه على / غيره، وهذا أمر أخص من مطلق الإرادة والمشيئة . ١٢٤أ

قال في الصحاح : الخِيَرةُ : الاسم من قولك: (خار اللهُ لك في هذا الأمر) . والخيرة أيضاً يقول محمد خِيَرَةُ الله في خلقه، وخِيْرةُ الله أيضاً بالتسكين .

والاختيار : الاصطفاء ، وكذلك (التَّخَيُّرُ)[٣] .

والاستخارة : طلب الخِيَرَة ، يقال : استَخِرِ الله يَخِرْ لك ، وخيَّرته بين الشيئين : فوضت إليه (الخيار)[٤] . انتهى[٥] .

فهذا هو الاختيار في اللغة ، وهو أخص مما اصطلح عليه أهل الكلام، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا

(١) في ع ، د ، س : يقوله .

(٢) في م ، د ، س : الاصطلاح .

(٣) في ع ، د ، س : التخيير ، وما أثبت من م ، ت ، والصحاح .

(٤) في ع ، د ، س : الاختيار ، وما أثبت من م ، ت ، والصحاح .

(٥) انظر : الصحاح للجوهري (٢/ ٦٥٢) مادة : خير ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ط. الثالثة ١٤٠٤هـ ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت .

(٦) سورة الأحزاب ، آية ٣٦ .

لِمِيقَٰتِنَا ﴾[(١)] أي : اختار منهم .

وبهذا يحصل جواب السؤال الذي تورده القدرية (وهو ما)[(٢)] يقولون في الكفر والمعاصي . هل هي واقعة باختيار الله ، أم بغير اختياره ؟ .

فإن قلتم: باختياره، فكل مختار مرضي مصطفى محبوب ، فتكون مرضية محبوبة له، وإن قلتم بغير اختياره لم تكن بمشيئته واختياره .

وجوابه أن يقال : ما تعنون بالاختيار ؟ (تعنون به الاختيار)[(٣)] العام في اصطلاح المتكلمين وهو المشيئة والإرادة ؟ أم تعنون به الاختيار الخاص الواقع في القرآن والسنة وكلام العرب ؟ ، (فإن)[(٤)] أردتم بالاختيار الأول، فهي واقعة باختياره بهذا الاعتبار ، ولكن لا يجوز أن يطلق ذلك عليها، لما في لفظ الاختيار من معنى الاصطفاء والمحبة ، بل يقال: واقعة (بمشيئة وقدرته)[(٥)] .

(وإن أردتم بالاختيار معناه في القرآن ولغة العرب، فهي غير واقعة)[(٦)] باختياره بهذا المعنى، وإن كانت واقعة بمشيئته .

فإن قيل : فهل تقولون: إنها واقعة بإرادته أم لا تطلقون ذلك ؟ قيل : لفظ الإرادة في كتاب الله نوعان :

* **إرادة كونية شاملة :** لجميع المخلوقات، كقولـه تعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[(٧)]،

(١) سورة الأعراف ، آية ١٥٥ .
(٢) ساقطة من ع ، د ، س .
(٣) ساقطة من ع ، س ، وفي د : هو .
(٤) في ع ، د ، س : وإن .
(٥) ما بين القوسين ساقط من ت .
(٦) ما بين القوسين ساقط من ت .
(٧) سورة البروج ، آية ١٦ .

وقوله : ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾[١]، وقوله : ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[٢] ونظائر ذلك .

* **وإرادة دينية أمرية** : لا يجب وقوع مرادها كقوله : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾[٣] ، وقوله : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[٤] ، فهي مرادة بالمعنى الأول غير مرادة بالمعنى الثاني ، وكذلك إن قيل : (هل هي)[٥] واقعة بإذنه أم لا؟

٢٤ب (فالإذن)[٦] أيضاً نوعان : /

* **كوني** : كقوله ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٧] .

* **وديني أمري** : كقوله : ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[٨]، وقوله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾[٩] ولفظ الاختيار مشتق من الخير المخالف للشر، ولما كان الأصل في الحي أنه يريد ما ينفعه وما هو خير، سميت الإرادة اختياراً ، وهذا يتضمن إن الإرادة لا ترجح نوعاً على نوع إلا (لترجح ذلك)[١٠] النوع عند الفاعل، والمقصود أنه سبحانه يذكر العلم عند التخصيصات كقوله تعالى :

---

(١) سورة الإسراء، آية ١٦ .
(٢) سورة هود ، آية ٣٤ .
(٣) سورة البقرة ، آية ١٨٥ .
(٤) سورة النساء ، آية ٢٧ .
(٥) في ت : هي هل . وفي م : ساقطة (هل) .
(٦) في ع ، د ، س : والأذن .
(٧) سورة البقرة ، آية ١٠٢ .
(٨) سورة يونس ، آية ٥٩ .
(٩) سورة الحج ، آية ٣٩ .
(١٠) في ع : لمرجح ذلك ، وفي د ، س : لمرجح رجح ذلك .

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(١)] لا خلاف بين الناس أن المعنى : على علم منا بأنهم أهل الاختيار، فالجملة في موضع نصب على الحال، أي اخترناهم عالمين بهم وبأحوالهم ، وما يقتضي اختيارهم من قبل خلقهم، (فذكر)[(٢)] سبحانه اختيارهم . وحكمته في اختياره إياهم ، وذكر علمه الدال على (مواقع)[(٣)] حكمته واختياره ، ومن هذا قوله سبحانه : ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾[(٤)]، وأصح الأقوال في الآية أن المعنى : من قبل نزول التوراة ، فإنه سبحانه قال : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾[(٥)] ، (ثم قال :)[(٦)] ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[(٧)] ، ثم قال : ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾[(٨)] . (أي من قبل)[(٩)] ذلك ، ولهذا قطعت (قبل) عن الإضافة وبُنيت ؛ لأن المضاف منوي معلوم، وإن كان غير مذكور في اللفظ . وذكر سبحانه هؤلاء الثلاثة، وهم أئمة الرسل وأكرم الخلق عليه (وهم)[(١٠)] (محمد)[(١١)] وإبراهيم وموسى صلوات الله عليهم وسلامه.

---

(١) سورة الدخان ، آية ٣٢ .

(٢) في ع، د ، س : ذكر .

(٣) في ع ، د ، س : مواضع .

(٤) سورة الأنبياء ، آية ٥١ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية ٤٨ .

(٦) في ع ، د ، س : وقال .

(٧) سورة الأنبياء ، آية ٥٠ .

(٨) سورة الأنبياء ، آية ٥١ .

(٩) ما بين القوسين ساقط من م ، ع .

(١٠) ساقطة من ع ، د ، س .

(١١) في د ، س : محمداً .

وقد قيل : (من قبل) أي في حال صغره قبل البلوغ، وليس في اللفظ ما يدل على هذا ، والسياق إنما يقتضي « من قبل ما ذكر » وقيل : المعنيُّ بقوله : (من قبل) أي في سابق علمنا، وليس في الآية أيضاً ما يدل على ذلك، ولا هو أمر مختص بإبراهيم ، بل كل مؤمن فقد قدر الله هداه في سابق علمه، والمقصود قوله : ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ . قال البغوي : أنه أهل للهداية والنبوة[١] / وقال ١٢٥أ أبوالفرج : أي عالمين بأنه موضع (لإيتاء)[٢] الرشد[٣] .

وقال صاحب الكشاف[٤] : (ومعنى)[٥] علمه به : أنه علم منه أحوالاً بديعة وأسراراً عجيبة ، وصفات قد رضيها (وأحمدها)[٦] حتى أهّله لمخالته ومخالصته، وهذا كقولك في (خيّر)[٧] من الناس : أنا عالم بفلان، (فكلامك)[٨] هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف (بمنزل[٩])[١٠] وهذا كقوله : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ

---

(١) انظر تفسير البغوي المسمى « معالم التنزيل » (٥/ ٤٩٣) المطبوع مع تفسير ابن كثير .

(٢) في ع : لاتيان .

(٣) انظر تفسير أبي الفرج الجوزي المسمى زاد المسير (٥/ ٣٥٧) .

(٤) هو : محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، أبوالقاسم ، ولد في زمخشر من قرى خوارزم سنة ٤٦٧هـ وجاور بمكة زمناً، فلقب بجار الله . من كتبه : « الكشاف » في تفسير القرآن الكريم ، و « أساس البلاغة » ، و « الفائق في غريب الحديث » . قال ابن حجر : « صالح، لكنه داعية إلى الاعتزال ـ أجارنا الله ـ فكن حذراً من كشّافه » . توفي سنة ٥٣٨هـ . سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٥١) ، ولسان الميزان (٦/ ٤) .

(٥) في ع، د ، س : المعنى .

(٦) في ع ، د، س : وحمدها . وما أثبت من م ، ت وهو المطابق لما في الكشاف .

(٧) في ع ، د ، س : حر ، وما أثبت من م، ت ، وهو المطابق لما في الكشاف .

(٨) في م : وكلامك .

(٩) إضافة من الكشاف للزمخشري .

(١٠) انظر الكشاف (٢/ ٥٧٥) تفسير آية ٥١ من سورة الأنبياء. نشر مكتبة ومطبعة مصطفى =

يَجۡعَلُ (رسالاته)[١]﴾[٢]. وقوله ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾[٣] ونظيره قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾[٥]. (فلما ذكر ما خص به نبيه سليمان وخص به الأرض التي بارك فيها قال: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾)[٦] حيث وضعنا هذا التخصيص في المحل الذي يليق به من الأماكن والأناسي.

فصل

وهو سبحانه كما هو العليم الحكيم في اختياره من (يختار)[٧] من خلقه، وإضلاله من يضل منهم، فهو العليم الحكيم بما في أمره وشرعه من العواقب الحميدة والغايات العظيمة، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٨].

= البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٨٥هـ.

(١) في ع، د، س: رسالته. بالإفراد، وقد سبق بيان أن في ذلك قراءتين. انظر ص(٣٣٨).

(٢) سورة الأنعام، آية ١٢٤.

(٣) سورة الدخان، آية ٣٢.

(٤) سورة آل عمران، آية ٣٣، ٣٤.

(٥) سورة الأنبياء، آية ٨١.

(٦) ما بين القوسين ساقط من د، س.

(٧) في م، ع، د، س: يختاره.

(٨) سورة البقرة، آية ٢١٦.

بَيَّنَ الله سبحانه أن ما أمرهم به يعلم ما فيه من المصلحة والمنفعة لهم التي اقتضت (أنه)[١] (يختاره)[٢] ويأمرهم به ، وهم قد يكرهونه إما لعدم العلم ، وإما لنفور الطبع ، فهذا علمه بما في عواقب أمره مما لا يعلمونه ، (وذاك)[٣] علمه بما في اختياره من خلقه بما لا يعلمونه .

فهذه الآية تضمنت الحض على التزام أمر الله، وإن شق على النفوس ، وعلى الرضا بقضائه ، وإن كرهته النفوس .

وفي حديث الاستخارة : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ / وَلاَ أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ** ٣٥ب **الغيوب، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ (هَذَا)[٤] الأَمْرَ (خَيْراً)[٥] لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ (تَعْلَمُهُ)[٦] شَراً لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ**»[٧] .

---

(١) في م ، د ، س : أن .

(٢) في ع : يختارهم .

(٣) في ع ، د ، س : وذلك .

(٤) في ع ، د، س : أن هذا .

(٥) في ع ، د ، س : خير .

(٦) في ت : تعلم أن هذا .

(٧) رواه البخاري في (٢/ ٥١) ك. التهجد ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ، عن قتيبة بن سعيد . وفي (٧/ ١٦٢) ك. الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة ، عن أبي مصعب مُطرِّف بن عبدالله . وفي (٨/ ١٦٨) ك. التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿قل هو القادر﴾ عن إبراهيم بن المنذر ، عن معن بن عيسى . ورواه أبوداود (٤/ ٣٩٦-٣٩٩) ك. الوتر ، باب الاستخارة عن القعنبي، وعبدالرحمن بن مقاتل ـ خال القعنبي ـ ومحمد بن عيسى بن =

ولما كان العبد (محتاجاً)[١] في فعل ما ينفعه في معاشه ومعاده إلى علم (بما)[٢] فيه من المصلحة وقدرته عليه وتيسره له ، وليس له من نفسه شيء من ذلك، بل علمه ممن علم الإنسان ما لم يعلم ، وقدرته منه ، (فإن)[٣] لم يُقْدره عليه وإلا فهو عاجز ، وتيسيره منه فإن (لم)[٤] ييسره (عليه)[٥] وإلا فهو متعسر عليه بعد إقداره ـ أرشده النبي ﷺ إلى محض العبودية، وهو (طلب)[٦] الخيرة من العالم

= الطبّاع . ورواه الترمذي (٢/ ٣٤٥-٣٤٦) ك. الوتر ، باب ما جاء في صلاة الاستخارة . وقال : وفي الباب عن عبدالله بن مسعود ، وأبي أيوب ، وحديث جابر حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن أبي الموال، وهو شيخ مدني ثقة . ورواه النسائي (٦/ ٨٠-٨١) ك. النكاح ، باب كيف الاستخارة . ورواه أيضاً في الكبرى، ك. النعوت . انظر تحفة الأشراف للمزي (٢/ ٣٦٩) ، ورواه أيضاً في عمل اليوم والليلة ص(٣٤٦-٣٤٧) جميعاً عن قتيبة . ورواه ابن ماجه (١/ ٤٤٠) ك. إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في صلاة الاستخارة . عن أحمد بن يوسف السلمي ، عن خالد بن مخلد ـ سبعتهم عن عبدالرحمن بن أبي الموال المدني ، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله السلمي عن رسول الله ﷺ . ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٣٤٤) عن إسحاق بن عيسى عن عبدالرحمن بن أبي الموال، به . ورواه عبدالله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه (٣/ ٣٤٤) عن منصور بن أبي مزاحم عن عبدالرحمن بن أبي الموال، به . وقد أطال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ١٨٣) في شرح هذا الحديث والكلام عليه ، وذكر من رواه من الصحابة .

(١) في ع ، د ، س : يحتاج .

(٢) في د ، س : ما .

(٣) في م : وإن .

(٤) ساقطة من م .

(٥) ساقطة من ع .

(٦) في ع ، د، س : جلب .

بعواقب الأمور وتفاصيلها ، وخيرها وشرها، وطلب القدرة منه ، فإنه إن لم يقدره وإلا فهو عاجز ، وطلب فضله منه ، فإن لم ييسره ويهيئه له وإلا فهو متعذر عليه ، ثم إذا اختاره له (بعلمه)[١] وأعانه عليه بقدرته ، وبسره له من فضله (فهو)[٢] يحتاج إلى أن يبقيه عليه ويديمه (بالبركة)[٣] التي يضعها فيه، (والبركة)[٩] تتضمن ثبوته ونموه، وهذا قدر زائد على إقداره عليه وتيسيره له[٤] * (ثم إذا فعل (به)[٥] ذلك كله، فهو محتاج إلى أن يرضيه به ، فإنه قد (يهيئ)[٦] له ما يكرهه، فيظل ساخطاً (له)[٧]، (ويكون)[٨] قد)*[٤] خار الله له فيه .

قال عبدالله بن عمر : (إن الرجل ليستخير الله فيختار له، فيسخط على ربه ، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو قد (خير)[٩] له)[١٠] .

وفي المسند من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ : « **مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ**

---

(١) في م ، ت : فعله .

(٢) في ع : وهو .

(٣) في م : بالذكر .

(٤) ما بين النجمتين ساقط من ع .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

(٦) في ت : يخير .

(٧) ساقطة من ع ، د ، س .

(٨) ساقطة من م ، ت .

(٩) في د ، س : خار .

(١٠) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله بقضائه ص(٨٣-٨٤) تحقيق ضياء الحسن السلفي ، ط. الأولى ١٤١٠هـ ، نشر الدار السلفية في بومباي بالهند . ونعيم بن حماد في زياداته على كتاب الزهد لابن المبارك ص(٣٢-٣٣) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ اللَّهَ تَعَالَى، وَمِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَاهُ اللَّهُ ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ »[١] .

فالمقدور يكتنفه أمران : الاستخارة قبله ، والرضا بعده ، فمن / توفيق الله ١٣٦أ لعبده وإسعاده إياه أن يختار قبل وقوعه ، ويرضى بعد وقوعه، ومن خذلانه له أن (لا)[٢] يستخيره قبل وقوعه، ولا يرضى به بعد وقوعه .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره ، لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره »[٣] .

---

(١) انظر المسند (١/ ١٦٨) وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده ضعيف . فيه ، محمد بن أبي حميد وهو ضعيف . انظر المسند بتحقيقه (٣/ ٢٨) . وقد حسَّن الحافظ ابن حجر إسناده كما في الفتح (١١/ ١٨٤) . ورواه الترمذي (٤/ ٣٩٦) ك. القدر ، باب ما جاء في الرضا بالقدر. وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حُميد ، ويقال له أيضاً : حماد بن أبي حميد ، وهو أبوإبراهيم المدني ، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث . ورواه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٣٥٩) . ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٥١٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٥٢١) تحقيق محمد سعيد زغلول . ط. الأولى ١٤١٠هـ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت . ورواه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٣٥٩) من طريق أخرى رواها عبدالرحمن بن أبي بكر بن عبيدالله . وقال البزار : عبدالرحمن لين الحديث . ومن هذه الطريق رواه أيضاً أبويعلى في مسنده (٢/ ٦٠) . وعبدالرحمن هذا ضعيف . انظر تهذيب التهذيب (٦/ ١٤٦) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٧٩-٢٨٠) وقال : رواه أحمد وأبويعلى والبزار .. وفيه محمد بن أبي حميد، وقال ابن عدي : ضعفه بيِّن على ما يرويه ، وحديث مقارب ، وهو مع ضعفه يكتب حديثه . وقد ضعّفه أحمد والبخاري وجماعة. وانظر الكامل لابن عدي (٦/ ٢٢٠٣) ومن طريق عبدالرحمن ابن أبي بكر بن عبيدالله المذكور رواه اللالكائي في السنة (٣/ ٦١٩-٦٢٠). وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ٥٢١) عن محمد بن أبي حميد : ضعفوه. ثم أورد له هذا الحديث .

(٢) ساقطة من ع .

(٣) رواه الإمام أحمد في كتاب العلل ومعرفة الرجال (١/ ١٧٥) تحقيق د. طلعت قوج =

وقال الحسن : لا تكرهوا النقمات الواقعة، والبلايا الحادثة ، فلَرُبَّ أمرٍ تكرهه فيه نجاتك ، ولَرُبَّ أمرٍ تؤثره فيه[١] عطبك[٢] .

فصل

ومما يناسب هذا : قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٣] بيَّنَ سبحانه وتعالى حكمة ما كرهوه عام الحديبية من صد المشركين لهم (عن البيت)[٤] حتى رجعوا ولم يعتمروا[٥] ، وبيَّن لهم أن مطلوبهم يحصل بعد هذا، فحصل في العام القابل ، وقال سبحانه: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٦] وهو صلح الحديبية، وهو أول الفتح المذكور في قولـه : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[٧] فإنه

= ود. إسماعيل أوغلو، نشر المكتبة الإسلامية، استانبول. والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٠٦). والدولابي في الكنى (٢/ ١٠٦-١٠٧). وابن المبارك في كتاب الزهد ص(١٤٣)، وأبونعيم في الحلية (٧/ ٢٧١) . وابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله بقضائه ص(٦٥-٦٦) ، وفي كتاب الفرج بعد الشدة ص(٢١) تحقيق عماد فره ، نشر مكتبة الصحابة بطنطا في مصر سنة ١٤٠٥هـ.

(١) العطب هو : الهلاك . المصباح المنير ص(٤١٦) مادة (عطب) .

(٢) لم أعثر له على تخريج .

(٣) سورة الفتح، آية ٢٧ .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) وذلك في سنة ست من الهجرة النبوية . انظر البداية والنهاية (٤/ ١٦٤) والحديبية : قرية قريبة من مكة ، سميت ببئر فيها . وهي مخففة ، وكثير من المحدثين يشددها . النهاية لابن الأثير (١/ ٣٤٩) .

(٦) سورة الفتح ، آية ٢٧ .

(٧) سورة الفتح ، آية ١ .

بسببه حصل من مصالح الدين والدنيا والنصر وظهور الإسلام وبطلان الكفر ما لم يكونوا يرجونه قبل ذلك، ودخل الناس بعضهم في بعض، وتكلم المسلمون بكلمة الإسلام، وبراهينه، وأدلته، جهرة لا يخافون، ودخل في ذلك الوقت في الإسلام قريب ممن دخل فيه (من أوله)[١] إلى ذلك الوقت، وظهر لكل أحد بغي المشركين (وعدوانهم)[٢] وعنادهم، وعلم الخاص والعام أن محمداً ﷺ وأصحابه (أَوْلَى بالحق)[٣]، وأن أعداءهم ليس بأيديهم إلا العدوان والعناد، فإن البيت الحرام لم يُصد عنه حاج ولا معتمر من زمن إبراهيم - عليه السلام - فتحققت العرب عناد قريش (وعدوانهم)[٤] (وكان)[٥] ذلك داعية لبشر كثير إلى الإسلام، وزاد / عناد القوم وطغيانهم، وذلك من أكبر العون ٣٦ب على نفوسهم، وزاد صبر المؤمنين واحتمالهم والتزامهم (بحكم)[٦] الله وطاعة رسوله، وذلك من أعظم أسباب نصرهم، إلى غير ذلك من الأمور التي علمها الله ولم يعلمها الصحابة، ولهذا سماه الله فتحاً، وسُئل النبي ﷺ: أفتحٌ هو؟ قال: «**نعم**»[٧].

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) في ع، د، س: وعداواتهم.

(٣) في د، س، : أولو الحق.

(٤) في ع، د، س: وعداوتهم.

(٥) في م: فكان.

(٦) في ع، د، س: لحكم.

(٧) كما ورد في الحديث الذي رواه مجمع بن جارية رضي الله عنه، قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها والناس يهزون بالأباعر، فقال بعض الناس لبعض: مال الناس؟ قالوا: أوحي إلى رسول الله ﷺ، فخرجنا مع الناس نوجف، فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع عليه الناس قرأ عليهم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فقال رجل: يا رسول الله، أفتح هو؟ قال: «**نعم والذي نفس محمد بيده، إنه لفتح**» فقسمت خيبر على أهل الحديبية .. والحديث رواه أبوداود =

فصل

فصل : ويشبه هذا قول يوسف الصديق : ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١] فأخبر أنه يلطف لما يريده، فيأتي بطرق خفية لا يعلمها الناس، واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية ، ومنه التلطف كما قال أهل الكهف ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[٢] فكان ظاهر ما امتحن به يوسف من مفارقة أبيه، وإلقائه في (الجب)[٣] وبيعه رقيقاً، ثم مراودة التي هو في بيتها (له)[٤] عن نفسه، وكذبها عليه، وسجنه محناً ومصائب ، وباطنها نعماً (ومنحاً)[٥] جعلها الله سبباً لسعادته في الدنيا والآخرة .

= (٧/ ٤٠٥-٤٠٩) ك. الجهاد، باب فيمن أسهم له سهماً. والإمام أحمد (٣/ ٤٢٠، ٤٨٦) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٤٣٧) . والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٥٦) تحقيق عبدالمعطي قلعجي ط. الأولى ١٤٠٥هـ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٠٨) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه . وفي الباب عن البراء رضي الله عنه عند البخاري في (٥/ ٦٢) ك. المغازي ، باب غزوة الحديبية. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عند البخاري أيضاً في (٦/ ٤٤) ك. التفسير ، تفسير سورة الفتح ، وعند النسائي في السنن الكبرى ، ك. التفسير (٢/ ٣٠٠) تفسير سورة الفتح .

(١) كما حكى الله عز وجل عنه في سورة يوسف ، آية ١٠٠ .

(٢) كما حكى الله عز وجل عنهم ذلك في سورة الكهف ، آية ١٩ .

(٣) في م ، ع ، د : السجن. والجب هو : البئر. انظر تفسير ابن جرير الطبري (١٢/ ١٥٦) .

(٤) ساقطة من ع، د ، س .

(٥) في م ، ع ، د ، س : وفتحاً .

ومن هذا الباب ما يبتلي به عباده من المصائب ، ويأمرهم به من المكاره، وينهاهم عنه من الشهوات (هي)[1] طرق يوصلهم بها إلى سعادتهم في العاجل والآجل، وقد (حجب)[2] الجنةَ بالمكاره ، و(حف)[3] النار بالشهوات[4] ، وقد قال ﷺ : « **لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن** »[5] .

---

(١) في م ، ت : بين .

(٢) في م ، د ، س : حفت (في كلا الموضعين) .

(٣) ساقطة من ع، د ، س .

(٤) وقوله : وقد حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات ، موافق لرواية مسلم لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **حفت النار بالشهوات ، وحُفت الجنة بالمكاره** » . انظر صحيح مسلم (٤/ ٢١٧٤) ك. الجنة وصفة نعيمها وأهلها . والحديث بهذا اللفظ.
ورواه أيضاً : أبوداود (١٣/ ٧٥-٧٧) ك. السنة ، باب في خلق الجنة والنار . والترمذي (٤/ ٥٩٨) ك. صفة الجنة، باب ما جاء في حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات. والنسائي في سننه (٧/ ٣) ك. الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله تعالى. والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٠، ٣٨٠) ، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٠٧) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٣٢) . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٤٩) . ورواه البخاري (٧/ ١٨٦) ك. الرقاق ، باب حجبت النار بالشهوات ، بلفظ « حجبت » بدل « حفت » . وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه عند مسلم (٤/ ٢١٧٤) ك. الجنة وصفة نعيمها . والترمذي (٤/ ٥٩٨) ك. صفة الجنة ، باب ما جاء في حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات . والإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٥٣، ٢٥٤، ٢٨٤). والدارمي في سننه (٢/ ٢٤٥) في أبواب الجنة، باب حفت الجنة بالمكاره . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٩٢-٤٩٤) . والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٣٢-٣٣٣) . والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٠٦) .

(٥) هذا الحديث رواه صهيب رضي الله عنه. أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٥) ك. الزهد ، باب المؤمن =

فالقضاء كله خير لمن أعطي الشكر والصبر، جالباً ما جلب، وكذلك ما فعله بآدم وإبراهيم وموسى (وعيسى)[1] ومحمد ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ من الأمور التي هي في الظاهر محن وابتلاء، وهي في الباطن طرق خفية (أوصلهم بلطفه)[2] إلى غاية كمالهم وسعادتهم / فتأمل قصة موسى[3] عليه السلام وما لطف له من إخراجه في وقت ذبح فرعون للأطفال، ووحيه إلى أمه أن تلقيه في اليم، وسوقه بلطفه إلى دار عدوه الذي قدر هلاكه على يديه، وهو يذبح الأطفال في طلبه، (فرباه)[4] في بيته وحجره (على فراشه)[5]، ثم قدر له

٣٧ب

= أمره كله خير. والإمام أحمد (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣) و (٦/ ١٥، ١٦). والدارمي في سننه (٢/ ٢٢٦) . والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٤٧) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ١٥٥-١٥٦). وأبونعيم في الحلية (١/ ١٥٤) . وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه عند الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١١٧، ١٨٤) . وأبي يعلى في مسنده (٧/ ٢٢٠-٢٢١) . والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٤٨) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٥٠٧)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٤٢) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٩، ٢١٠) وقال: رواه أحمد وأبويعلى، ورجال أحمد ثقات، وأحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح غير أبي بحر ثعلبة، وهو ثقة. وفي الباب أيضاً عن سعد بن أبي وقاص عند الإمام أحمد (١/ ١٧٣، ١٧٧، ١٨٢)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٤٤٨) . والطيالسي في مسنده (ص٢٩) . والبيهقي في سننه (٣/ ٣٧٥، ٣٧٦) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٩) وقال: رواه أحمد بأسانيد، ورجالها كلها رجال الصحيح.

(١) ساقطة من م.

(٢) في ع، د، س: ادخلهم.

(٣) التي ذكرها الله عز وجل في سورة القصص من آية ٧-٤٠ .

(٤) في م، د، س: فرماه.

(٥) هكذا وردت في جميع النسخ، ولعلها: (وعلى فراشه) .

سبباً أخرجه (به)[١] (من مصر وأوصله (به)[٢] إلى موضع لا حكم لفرعون عليه (ثم)[٣] قدر له سبباً أوصله به) [٤] إلى النكاح والغنى، بعد العزوبة والعَيْلة، ثم ساقه إلى (بلد)[٥] عدوه فأقام عليه به حجته ، ثم أخرجه وقومه في صورة (الهاربين)[٦] الفارين منه ، وكان ذلك عين نصرتهم على أعدائهم وإهلاكهم وهم ينظرون .

وهذا كله مما يبين أنه سبحانه يفعل ما يفعله لما يريده من العواقب الحميدة، والحكم العظيمة ، التي لا تدركها عقول الخلق ، مع ما في ضمنها من الرحمة التامة، والنعمة السابغة، والتعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته، فكم في أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها وإخراجه بسببها من الجنة من حكمة بالغة لا تهتدي العقول إلى تفاصيلها ، وكذلك ما قدره لسيد ولده من الأمور التي أوصله بها على أشرف غاياته ، وأوصله بالطرق الخفية فيها إلى أحمد العواقب ، وكذلك فعله بعباده وأوليائه، يوصل إليهم نعمه، ويسوقهم إلى كمالهم وسعادتهم في الطرق الخفية التي (لا يهتدون)[٧] إلى معرفتها إلا إذا لاحت لهم عواقبها ، وهذا أمر يضيق الجنان عن معرفة تفاصيله ، ويحصر اللسان عن التعبير عنه ، وأعرف خلق الله به أنبياؤه ورسله، وأعرفهم به خاتمهم وأفضلهم ، وأمته في العلم به

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) ساقطة من ع .

(٤) من قوله: « من مصر » إلى هنا ساقط من ت .

(٥) في ت : ملك .

(٦) ساقطة من د .

(٧) في ع ، م : يهتدون .

على مراتبهم ودرجاتهم ومنازلهم من العلم بالله (وأسمائه)[١] وصفاته ، وهو سبحانه قد أحاط علماً بذلك كله قبل (خلق)[٢] السماوات والأرض، وقدره وكتبه عنده، ثم يأمر ملائكته بكتابة ذلك من الكتاب الأول قبل خلق العبد ، فيطابق حاله وشأنه لما كتب في الكتاب، ولما كتبته الملائكة، لا يزيد ولا ينقص مما كتبه سبحانه وأثبته عنده ، / كان في علمه قبل أن يكتبه ، ثم كتبه كما في علمه، ٣٧ب ثم وَجدَ كما كتبه ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[٣] .

والله سبحانه قد علم قبل أن يوجد عباده أحوالهم، وما هم عاملون، وما هم إليه صائرون ، ثم أخرجهم إلى هذه الدار ليظهر معلومه الذي علمه فيهم كما علمه، وابتلاهم من الأمر والنهي والخير والشر بما أظهر معلومه ، فاستحقوا المدح والذم والثواب والعقاب بما قام بهم من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق، ولم يكونوا يستحقون ذلك، وهي في علمه قبل أن (يعلموها)[٤] فأرسل رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه إعذاراً إليهم وإقامة للحجة عليهم، لئلا يقولوا: كيف تعاقبنا على علمك فينا (وهو)[٥] لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا، فلما ظهر علمه فيهم بأفعالهم، حصل العقاب على معلومه الذي أظهره (للابتلاء)[٦] والاختيار ، وكما ابتلاهم بأمره ونهيه

---

(١) في ع ، د ، س : وبأسمائه .

(٢) ساقطة من ع، د ، س .

(٣) سورة الحج ، آية ٧٠ .

(٤) في ت : يعلموها .

(٥) في ع ، د ، س : وهذا .

(٦) في ت ،ع ، د ، س : الابتلاء .

ابتلاهم بما (زيَّنه)[١] لهم من الدنيا وبما ركَّب فيهم من الشهوات فذلك ابتلاء بشرعه وأمره وهذا ابتلاء بقضائه وقدره . (قال)[٢] تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٤] ، وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٥] فأخبر في هذه الآية أنه خلق السماوات والأرض ليبتلي عباده بأمره ونهيه ، وهذا من الحق الذي خلق به خلقه .

وأخبر في الآية التي قبلها أنه خلق الموت والحياة ليبتليهم أيضاً، فأحياهم ليبتليهم بأمره ونهيه ، وقدر عليهم الموت الذي (ينالون)[٦] به عاقبة ذلك الابتلاء من الثواب والعقاب .

وأخبر في الآية الأولى (أنه)[٧] زين لهم ما على الأرض ليبتليهم به أيهم يؤثره (على)[٨] ما عنده / (فيكون حظه ، أو يؤثر ما عنده)[٩] عليه ، وابتلى بعضهم ١٣٨أ ببعض ، وابتلاهم بالنعم والمصائب ، فأظهر هذا الابتلاء علمه السابق فيهم

---

(١) في ع ، د ، س : زين .

(٢) في ع ، د ، س : وقال .

(٣) سورة الكهف ، آية ٧ .

(٤) سورة الملك ، آية ٢ .

(٥) سورة هود ، آية ٧ .

(٦) في ت ، ع ، س : ينالوا .

(٧) في ت : إنهم .

(٨) ساقطة من م ، د ، س .

(٩) ما بين القوسين ساقط من م ، د ، س .

موجوداً عياناً بعد أن كان غيباً في علمه ، فابتلى أبوي الإنس والجن (كلاً)[(١)] منهما بالآخر ، فأظهر ابتلاء ما علمه منه ، وأظهر ابتلاء إبليس ما علمه منه، فلهذا قال للملائكة : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[(٢)] واستمر هذا الابتلاء في الذرية إلى يوم القيامة، فابتلى الأنبياء بأممهم ، وابتلى أممهم بهم ، وقال لعبده ورسوله وخليله : « إني مبتليك ومبتل بك »[(٣)] .

وقال : ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾[(٤)] . وقال : ﴿ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً ﴾[(٥)] .

وفي الحديث الصحيح[(٦)] : «أن ثلاثة أراد الله أن يبتليهم : أبرص ، وأقرع،

---

(١) في م ، ت ، ع : كل . وما أثبت هو الموافق لقواعد اللغة العربية .

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٠ .

(٣) هذا طرف من حديث قدسي طويل ، رواه عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه ، وأوله : أن نبي الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي - أو إن ربي - أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا كل ما نحلت حلال، وأني خلقت عبادي حنفاء .. وفيه : فقال: يا محمد، إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك»، وقد سبق تخريج هذا الحديث في ص(١١٣).

(٤) سورة الأنبياء ، آية ٣٥ .

(٥) سورة الفرقان ، آية ٢٠ .

(٦) الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه في قصة الثلاثة المذكورين، وأن الله بعث إليهم ملكاً فأتاهم، وأعطى كل واحد منهم مسألته ، وما طلبه من المال ، ثم أتى كل واحد منهم في صورته التي كان عليها وسألهم ، فأما الأبرص والأقرع فجحدا ، وأما الأعمى فاعترف.. وهذا الحديث أخرجه البخاري في ك. الأنبياء (١٤٦/٤-١٤٧) باب حديث أبرص وأقرع وأعمى بني إسرائيل . وفي ك. الأيمان والنذور (٢٢٣/٧) باب لا يقول : ما شاء الله وشئت . وهل يقول : أنا بالله ثم بك ؟ . ومسلم (٢٢٧٥/٤-٢٢٧) ك. الزهد . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٣/٢-١٦) ، والبيهقي في سننه (٢١٩/٧) .

وأعمى ...» ، فأظهر الابتلاء حقائقهم التي كانت في علمه قبل أن يخلقهم ، فأما الأعمى، فاعترف بإنعام الله عليه (وأنه)[١] كان أعمى فقيراً، فأعطاه الله البصر والغنى ، وبذل للسائل ما طلبه شكراً لله ، وأما الأقرع والأبرص، فكلاهما (جحد)[٢] ما كان عليه (قبل)[٣] ذلك من سوء الحال والفقر، وقال في الغني : إنما أوتيته كابراً عن كابر ، وهذا حال أكثر الناس، لا يعترف بما كان عليه أولاً من نقص وجهل وفقر وذنوب، وإن الله سبحانه نقله من ذلك إلى ضد ما كان عليه، وأنعم بذلك عليه، ولهذا ينبه سبحانه الإنسان على مبدأ خلقه الضعيف من الماء المهين، ثم نقله في أطباق خلقه وأطواره من حال إلى حال ، حتى جعله بشراً سوياً ، يسمع ويبصر (ويعقل)[٤] وينطق ويبطش ويعلم ، فنسي مبدأه وأوله وكيف كان، ولم يعترف بنعم ربه عليه كما قال تعالى : ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾[٥] وأنت إذا تأملت ارتباط إحدى (هاتين)[٦] الجملتين بالأخرى، وجدت تحتها كنزاً عظيماً من كنوز المعرفة والعلم، فأشار سبحانه بمبدأ / (خلقهم)[٧] مما يعلمون من النطفة وما ٣٨ب بعدها إلى موضع الحجة والآية الدالة على (وجوده)[٨] ووحدانيته وكماله، وتفرده بالربوبية والإلهية، وأنه لا يحسن به مع ذلك أن يتركهم سدى ، ولا

---

(١) في ع : وإن .

(٢) في د : جحدها .

(٣) في د : من قبل .

(٤) في ع ، د ، س : ويقول .

(٥) سورة المعارج ، آية ٣٨، ٣٩ .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

(٧) في د ، س : خلقه .

(٨) في م : وجود الله .

يرسل إليهم رسولاً ، ولا ينزل عليهم كتاباً ، وأنه لا يعجز مع ذلك أن يخلقهم بعدما أماتهم خلقاً جديداً، ويبعثهم إلى دار يوفيهم فيها أعمالهم من الخير والشر، فكيف يطمعون في دخول الجنة وهم (يكذبوني)[1] ويكذبون رسلي، ويعدلون بي خلقي وهم يعلمون من أي شيء خلقهم .

ويشبه هذا قوله : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾[2] وهم كانوا مصدقين بأنه خالقهم ، ولكن احتج عليهم بخلقه لهم على توحيده ومعرفته وصدق رسله ، فدعاهم (منهم و)[3] من (خلقهم)[4] إلى الإقرار بأسمائه ، وصفاته، وتوحيده ، وصدق رسله، والإيمان بالمعاد، وهو سبحانه يذكر عباده بنعمه عليهم، ويدعوهم بها إلى معرفته ، ومحبته ، وتصديق رسله ، والإيمان بلقائه كما تضمنته سورة النعم[5] وهي سورة النحل من قوله : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾[6] إلى قوله : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[7] .

فذكرهم بأصول النعم وفروعها، وعدّدها عليهم نعمة نعمة ، وأخبر أنه أنعم بذلك عليهم ليسلموا له، فتكمل نعمه عليهم بالإسلام الذي هو رأس النعم،

---

(١) في ع ، د ، س : يكذبون .

(٢) سورة الواقعة ، آية ٥٧ .

(٣) ما بين القوسين يستغني عنه الكلام ، وهو مثبت في جميع النسخ فأثبته .

(٤) في ع ، د ، س : خلقه

(٥) سميت بذلك بسبب ما عدد الله فيها من النعم ، ولذلك جاء فيها قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، وقوله في شأن المشركين: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾، وقوله : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ الآيات : ١٨، ٧٢، ٨٣ . وانظر فتح القدير (٣/ ١٤٦) .

(٦) آية : ٤ .

(٧) آية : ٨١ .

ثم أخبر عمن كفره ولم يشكر نعمه بقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[(١)] قال مجاهد: المساكن والأنعام وسرابيل الثياب والحديد، يعرفه كفار قريش ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا ورثناه عنهم[(٢)].

وقال عون بن عبدالله[(٣)]: يقولون: لولا فلان لكان كذا (وكذا[(٤)])[(٥)].

وقال الفراء[(٦)] وابن قتيبة[(٧)]: يعرفون أن النعم من الله ولكن يقولون: هذه

---

(١) آية: ٨٣.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٨/١٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) هو: عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبوعبدالله، الكوفي، ثقة عابد، من الرابعة. مات قبل سنة عشرين ومائة. روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٩٠)، وتهذيب التهذيب (٨/ ١٧١-١٧٣).

(٤) ساقطة من ت.

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٨/١٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٥) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) هو يحيى بن زياد بن عبدالله الأسدي، مولاهم، أبوزكريا، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، نزيل بغداد، وكان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، له مصنفات كثيرة، منها: معاني القرآن، وكتاب اللغات، وغيرهما. صدوق من الطبقة التاسعة، مات سنة سبع ومائتين. روى له البخاري تعليقاً. تقريب التهذيب (٣٤٨/٢)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٢١٢-٢١٣)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٨-١٢١).

(٧) هو: أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته، حدث عن إسحاق بن راهويه وطائفة، وحدث عنه ابنه القاضي أحمد بن عبدالله بديار مصر، وغيره، قال أبوبكر الخطيب: كان ثقة ديناً فاضلاً. قال الذهبي: وليس هو بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمة، وعلوم مهمة، ولابن قتيبة مصنفات كثيرة، منها «غريب القرآن» و «غريب الحديث» و«كتاب المعارف» =

٢٩أ بشفاعة آلهتنا[١] . وقالت طائفة : النعمة هاهنا : محمد ﷺ / وإنكارها (جحدهم)[٢] نبوته . وهذا يروى عن مجاهد[٣] والسدي[٤] ، وهذا أقرب إلى حقيقة الإنكار؛ فإنه إنكار لما هو (من)[٥] أجل (النعم أن يكون نعمة ، وأما على القول الأول والثاني والثالث، فإنهم لما أضافوا)[٦] النعمة إلى غير الله، فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها إلى غيره ، فإن الذي قال : إنما كان هذا لآبائنا ورثناه كابراً عن كابر (جاحد)[٧] لنعمة الله عليهم غير معترف بها، وهو كالأبرص والأقرع (اللذين)[٨] ذكّرهما الملك بنعم الله عليهما، فأنكرا وقالا : إنما ورثنا هذا كابراً عن كابر ، فقال : إن كنتما كاذبين فصيركما الله إلى ما كنتما[٩] .

وكونها موروثة عن الآباء أبلغ في إنعام الله عليهم، إذ أنعم بها على آبائهم ثم ورّثهم إياها ، فتمتعوا (هم)[١٠] وآباؤهم بنعمته .

و« كتاب مشكل القرآن » ، و« كتاب مشكل الحديث » و«كتاب أدب الكاتب» وكتاب « عيون الأخبار» وغيرها . مات سنة ست وسبعين ومائتين . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦ -٣٠٢) وانظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠/ ١٧٠-١٧١) .

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٢) ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٤٨) تحقيق أحمد صقر ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٣٩٨هـ .

(٢) في م : جحد .

(٣) لم أعثر له على تخريج .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ١٥٧) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٥- ١٥٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ساقط من ع ، د ، س .

(٦) ما بين القوسين ساقط من د .

(٧) في د ، س : جاحداً .

(٨) في ت : الذي .

(٩) يشير إلى الحديث الذي سبق تخريجه في ص(٣٥٨) .

(١٠) ساقطة من ع .

وأما قول (الآخر)[١] : (لولا فلان لما كان كذا) فيتضمن قطع إضافة النعمة إلى من لولاه لم تكن ، وإضافتها إلى من لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً ، (وغايته)[٢] أن يكون جزءاً من أجزاء (السبب)[٣] أجرى الله تعالى نعمته على (يديه)[٤] (والسبب)[٥] لا يستقل بالإيجاد، وجعله سبباً هو من نعم الله (عليه)[٦]، (فهو)[٧] المنعم بتلك النعمة، وهو المنعم بما جعله من أسبابها ، فالسبب والمسبب من إنعامه، وهو سبحانه قد ينعم (بذلك السبب)[٨] وقد ينعم بدونه فلا يكون له أثر ، وقد يسلبه (سببيته)[٩] ، وقد يجعل لها معارضاً يقاومها، وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه، فهو وحده المنعم على الحقيقة .

وأما قول القائل : (بشفاعة آلهتنا) فتضمن الشرك مع إضافة النعمة إلى غير وليها، فالآلهة التي تُعبد من دون الله أحقر وأذل من أن تشفع عند الله ، وهي محضرة في العذاب والهوان مع عابديها ، وأقرب الخلق إلى الله وأحبهم إليه لا يشفع عنده إلا من بعد إذنه لمن ارتضاه ، فالشفاعة بإذنه من نعمه ، فهو المنعم بالشفاعة، وهو المنعم بقبولها ، وهو المنعم بتأهيل المشفوع له؛ إذ ليس كل أحد أهلاً أن يشفع له ، فمن المنعم على الحقيقة سواه ؟! .

---

(١) في ع ، د ، س : الآخرين .

(٢) في د : وغايتها .

(٣) في ت : المسبب .

(٤) في م ، ع ، د ، س : يده .

(٥) في ت : المسبب .

(٦) ساقطة من م ، ت .

(٧) في ع ، د ، س : وهو .

(٨) ساقطة من ت .

(٩) في ع ، د ، س : تسببيته .

٣٩ب قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[١] فالعبد لا خروج / له عن نعمته وفضله ومنته وإحسانه طرفة عين ، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا ذم الله سبحانه من آتاه شيئاً من نعمه، فقال : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[٢] . وفي الآية الأخرى : ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[٣] وقال البغوي : على علم من الله أني له أهل[٤] .

(* وقال مقاتل : على خير علمه الله عندي[٥] .

وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل[٦] *)[٧] .

ومضمون هذا القول أن الله آتانيه على علمه بأني أهله .

وقال آخرون : بل العلم له نفسه، ومعناه: أوتيته على علم مني بوجوه المكاسب . قاله قتادة وغيره[٨] .

وقيل : المعنى: قد علمت أني لما أوتيت هذا في الدنيا، فلي عند الله منزلة وشرف. وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف[٩] .

---

(١) سورة النحل ، آية ٥٣ .

(٢) كما حكاه الله سبحانه وتعالى عنه في سورة القصص ، آية ٧٨ .

(٣) سورة الزمر ، آية : ٤٩ .

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي (٧/ ٢٥١) .

(٥) لم أعثر له على تخريج عن مقاتل ، ورواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٢) وعبدالرزاق في تفسيره (٢/ ١٧٤) ونسباه إلى قتادة .

(٦) هذا القول هو قول البغوي الذي سبقت الإشارة إليه .

(٧) ما بين النجمتين ساقط من ت .

(٨) لم أعثر له على تخريج .

(٩) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٢) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٣٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

قال تعالى : ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾[١] أي النعم التي أوتيها فتنة نختبره فيها، ومحنة نمتحنه بها ، لا يدل (ذلك)[٢] على اصطفائه واجتبائه، وأنه محبوب لنا مقرب عندنا، ولهذا قال في قصة قارون : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾[٣] .

فلو كان إعطاء المال والقوة (والجاه)[٤] يدل على رضاء الله سبحانه عمن آتاه ذلك ، وشرف قدره ، وعلو منزلته عنده ، لما أهلك من آتاه من ذلك أكثر مما آتى قارون ، فلما أهلكهم مع سعة هذا العطاء وبسطه : ([٥] علم أن عطاءه إنما كان ابتلاءً وفتنة (ومحنة)[٦] لا محبة ورضاً واصطفاءً لهم على غيرهم)[١] ، ولهذا قال في الآية الأخرى : ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾[٧] أي (النعم)[٨] فتنة لا كرامة: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٩] ثم أكد هذا المعنى بقوله : ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ[١٠] ۝ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾[١١] أي قد قال

---

(١) سورة الزمر ، آية ٤٩ .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) سورة القصص ، آية ٧٨ .

(٤) في ت : والحياة .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ع .

(٦) إضافة من : ت .

(٧) سورة الزمر ، آية ٤٩ .

(٨) في م ، ع ، د ، س : النعمة .

(٩) سورة الزمر ، آية ٤٩ .

(١٠) بعد قوله يكسبون وردت في نسخة ت العبارة التالية : المعنى أنهم ظنوا أن ما آتيناهم . ولعله انتقال نظر من الناسخ؛ بدليل ورودها فيما بعد، بعد قوله : يكسبون .

(١١) سورة الزمر ، آية ٥٠-٥١ .

هذه المقالة الذين من قبلهم لما آتيناهم نعمنا .

قال ابن عباس : كانوا قد بطروا نعمة الله إذ آتاهم الدنيا وفرحوا بها، وطغوا وقالوا : هذه كرامة من الله لنا[١] .

وقوله : ﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ المعنى أنهم ظنوا أن ما آتيناهم لكرامتهم علينا ، ولم يكن كذلك؛ لأنهم وقعوا في العذاب، ولم يغن عنهم ما كسبوا شيئاً ، وتبيَّن أن تلك النعم لم تكن لكرامتهم / علينا، وهوان من منعناه إياها . ١٤٠أ

وقال أبوإسحاق : معنى الآية: أن قولهم إنما آتانا الله ذلك لكرامتنا عليه وأنَّا أهله أحبط أعمالهم[٢] فكنى عن إحباط العمل بقوله : ﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ ثم أبطل سبحانه هذا الظن الكاذب منهم بقوله : ﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾[٣] .

والمقصود أن قوله : ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ (إن)[٤] أُريد به علمه نفسه، كان المعنى أوتيته على ما عندي من العلم والخبرة والمعرفة التي توصلت بها إلى ذلك وحصلته بها ، وإن أريد به علم الله، كان المعنى : أوتيته على ما علم الله عندي من الخير والاستحقاق، وأني أهله، وذلك من كرامتي عليه .

وقد يترجح هذا القول بقوله: (أوتيته) ولم يقل : حصّلته واكتسبته بعلمي ومعرفتي، فدلّ على اعترافه بأن غيره آتاه إياه، ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿بَلۡ هِيَ

---

(١) ذكره الواحدي في تفسيره ق (٢٢٦) مخطوط ، محفوظ أصله بالمكتبة الأزهرية بمصر تحت رقم (٣٠٣) مغاربة، وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم ١٤٢٥/ ف.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجّاج (٤/ ٣٥٧) .

(٣) سورة الزمر ، آية ٥٢ .

(٤) في ع : بأن .

فِتۡنَةٞ﴾ أي محنة واختبار . والمعنى : أنه لم (يؤت)[(١)] هذا لكرامته علينا، بل أوتيه امتحاناً منا وابتلاءً واختباراً: هل يشكر فيه أم يكفر .

وأيضاً فهذا يوافق قوله : ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝﴾[(٢)] فهو قد اعترف بأن ربه هو الذي آتاه ذلك، ولكن ظن أنه لكرامته عليه .

فالآية على التقدير الأول تتضمن ذم من أضاف النعم إلى نفسه وعلمه وقوته، ولم يضفها إلى فضل الله وإحسانه ، وذلك محض الكفر بها ، فإن رأس الشكر : الاعتراف بالنعمة ، وأنها من المنعم وحده ، فإذا أضيفت إلى غيره كان جحداً لها، فإذا قال: أوتيته على ما عندي من العلم والخبرة التي حصَّلت بها ذلك، فقد أضافها إلى نفسه ، وأعجب بها ، كما أضافها إلى (قدرته)[(٣)] الذين قالوا : (من أشد منا قوة) ، فهؤلاء اغتروا بقوتهم ، وهذا اغتر بعلمه، فما أغنى عن هؤلاء قوتهم، ولا عن هذا علمه .

وعلى التقدير الثاني : يتضمن ذم من اعتقد أن إنعام الله / عليه لكونه أهلاً ٤٠ب ومستحقاً لها ، فقد جعل سبب النعمة ما قام به من الصفات التي يستحق بها على الله أن ينعم عليه ، وأن تلك النعمة جزاءٌ له على إحسانه وخيره، فقد جعل سببها ما اتصف به هو ، لا ما قام (بربه)[(٤)] من الجود والإحسان والفضل والمنة ، ولم يعلم أن ذلك ابتلاء واختبار له أيشكر أم يكفر ، ليس ذلك جزاءً (له)[(٥)] على (ما

(١) في م : يوجب .

(٢) سورة الفجر آية : ١٥-١٦ .

(٣) هكذا في جميع النسخ ، ولعل المناسب : وقدرتهم .

(٤) في د : به بربه .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

منه)[١]، ولو كان ذلك جزاءً على (عمل)[٢] عمله أو (خير)[٣] قام به، فالله سبحانه هو المنعم عليه بذلك السبب ، فهو المنعم (بالسبب)[٤] والجزاء ، والكل محض مِنَّتِه وفضلِه وجُودِه ، وليس للعبد من نفسه مثقال ذرة من الخير .

وعلى التقديرين، فهو لم يضف النعمة إلى الرب من كل وجه وإن أضافها إليه من وجه دون وجه ، وهو سبحانه وحده (المنعم)[٥] من جميع الوجوه على الحقيقة بالنعم وأسبابها ، فأسبابها من نعمه على العبد وإن حصلت بكسبه ، فكسبه من نعمه ، فكل نعمه فمن الله وحده، حتى الشكر فإنه نعمة، وهي منه سبحانه، فلا يطيق أحد أن يشكره إلا بنعمته، وشكره نعمة منه عليه، كما قال داود عليه الصلاة والسلام : يا رب ، كيف أشكرك وشكري لك نعمة من نعمك عليَّ تستوجب شكراً آخر ؟ فقال : الآن شكرتني يا داود . ذكره الإمام أحمد[٦] .

وذكر أيضاً عن الحسن، قال : قال داود : إلهي، لو أن لكل شعرة من شعري لسانين يذكرانك بالليل والنهار والدهر كله، لما أدوا ما لك عليَّ من حق نعمة واحدة[٧] .

---

(١) في د ، س : ما هو منه .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) في د : خيراً .

(٤) في د ، س : بالمسبب .

(٥) في ع ، د ، س : هو المنعم .

(٦) انظر كتاب الزهد للإمام أحمد ص(٨٨-٨٩) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ . ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٠١) بمثل رواية الإمام أحمد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٨٠-٦٨١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) انظر كتاب الزهد للإمام أحمد ص٨٨. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٣٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٨١) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم في كتاب الشكر.

والمقصود: أن حال الشاكر ضد حال القائل: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[(١)] ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ۝٤٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾[(٢)].

قال ابن عباس: يريد من عندي[(٣)].

وقال مقاتل: يعني أنا أحق بهذا[(٤)].

وقال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوقٌ به[(٥)].

وقال الزجَّاج: هذا واجب بعملي استحققته[(٦)].

فوصف الإنسان بأقبح صفتين: إن مسَّه الشر صار إلى حال القانط / ووجم ٤١أ وجوم الآيس، فإذا مسّه الخير نسي أن الله هو المنعم عليه المتفضل بما أعطاه، فبطر وظن أنه هو المستحق لذلك، ثم أضاف إلى ذلك تكذيبه بالبعث، فقال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، ثم أضاف إلى ذلك ظنه الكاذب أنه إن بُعث كان له عند الله الحسنى، فلم يدَع هذا للجهل والغرور موضعاً.

---

(١) سورة القصص، آية ٧٨.

(٢) سورة فصلت آية ٤٩، ٥٠.

(٣) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(١٤٦) مخطوط محفوظ أصله بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣) تفسير، وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١٤٢٥/ ف).

(٤) ذكره الواحدي في المرجع السابق ق (١٤٦).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٣). وذكره الواحدي في تفسيره المسمى الوسيط المجلد الثاني ص(٤٥٥) (٢/ ٤٥٥) رسالة ماجستير بقسم التفسير بكلية أصول الدين بالرياض أعدها حمد البدر. وفي تفسيره (البسيط) ق(١٤٦) المرجع السابق.

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٩١).

فصل

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[١] قول آخر : أنه على علم الضال ، كما قيل: على علم منه أن معبوده لا ينفع ولا يضر ، فيكون المعنى : أضله الله مع علمه الذي تقوم به عليه الحجة ، ولم يضله على جهل وعدم علم ، (وهذا)[٢] يشبه قوله : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣]، وقوله : ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[٤]، وقوله : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾[٥] ، وقوله : ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾[٦] ، وقول موسى لفرعون : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾[٧] ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٨] ، وقوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[٩] ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾[١٠] ،

---

(١) سورة الجاثية ، آية ٢٣ .

(٢) في د ، س : هذا .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٢ .

(٤) سورة العنكبوت ، آية ٣٨ .

(٥) سورة النمل، آية ١٤ .

(٦) سورة الإسراء ، آية ٥٩ .

(٧) كما حكاه الله عنه في سورة الإسراء آية ١٠٢ .

(٨) سورة البقرة آية ١٤٦ .

(٩) سورة الأنعام ، آية ٣٣ .

(١٠) سورة التوبة آية ١١٥ .

ونظائره كثيرة. وعلى هذا التقدير، فهو ضال عن سلوك طريق رشده وهو يراها عياناً، كما في الحديث: **«أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالِمٌ لم ينفعه الله بعلمه»**[١].

فإن الضال عن الطريق قد يكون متبعاً لهواه، عالماً بأن الرشد والهدى في خلاف ما يعمل، ولما كان الهدى هو معرفة الحق (والعمل به)[٢] كان له ضدان: الجهل (بالحق)[٣]، وترك العمل به.

فالأول: ضلالٌ في العلم.

والثاني: ضلالٌ في القصد والعمل، فقد وقع قوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[٤]، وفي قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[٥]، وفي قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[٦]، فالأول يرجع العلم فيه إلى الله

---

(١) هذا الحديث من رواية عثمان بن مقسم عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ. رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٨٤-٢٨٥)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٨٠٧) في ترجمة عثمان بن مقسم، وقال: وعامة حديثه مما لا يتابع عليه إسناداً ومتناً، وهو ممن يغلط الكثير، ونسبه قوم إلى الصدق، وضعفوه للغلط الكثير الذي كان يغلط، إلا أنه في الجملة ضعيف، ومع ضعفه يكتب حديثه. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٠٣/ ٥٨) في ترجمة عثمان بن مقسم. وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/ ١٣٦).
وقال الألباني: ضعيف جداً. انظر ضعيف الجامع الصغير (١/ ٢٨٠) ط. الثانية، ١٣٩٩هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) ساقطة من م.

(٣) ساقط من ع، د، س.

(٤) سورة الدخان، آية ٣٢.

(٥) سورة الجاثية، آية ٢٣.

(٦) سورة الزمر، آية ٤٩.

سبحانه قولاً واحداً [١] .

٤١ب والثاني والثالث فيهما قولان . والراجح في قوله : ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ / أن يكون كالأول ، هو قول عامة السلف .

والثالث فيه قولان محتملان ، وقد ذُكر (توجيههما [٢]) [٣] . والله أعلم .

والمقصود ذكر مراتب القضاء والقدر علماً وكتابةً ومشيئةً وخلقاً .

❋ ❋ ❋

(١) انظر تفسير ابن جرير (٢٥/ ١٢٧) .

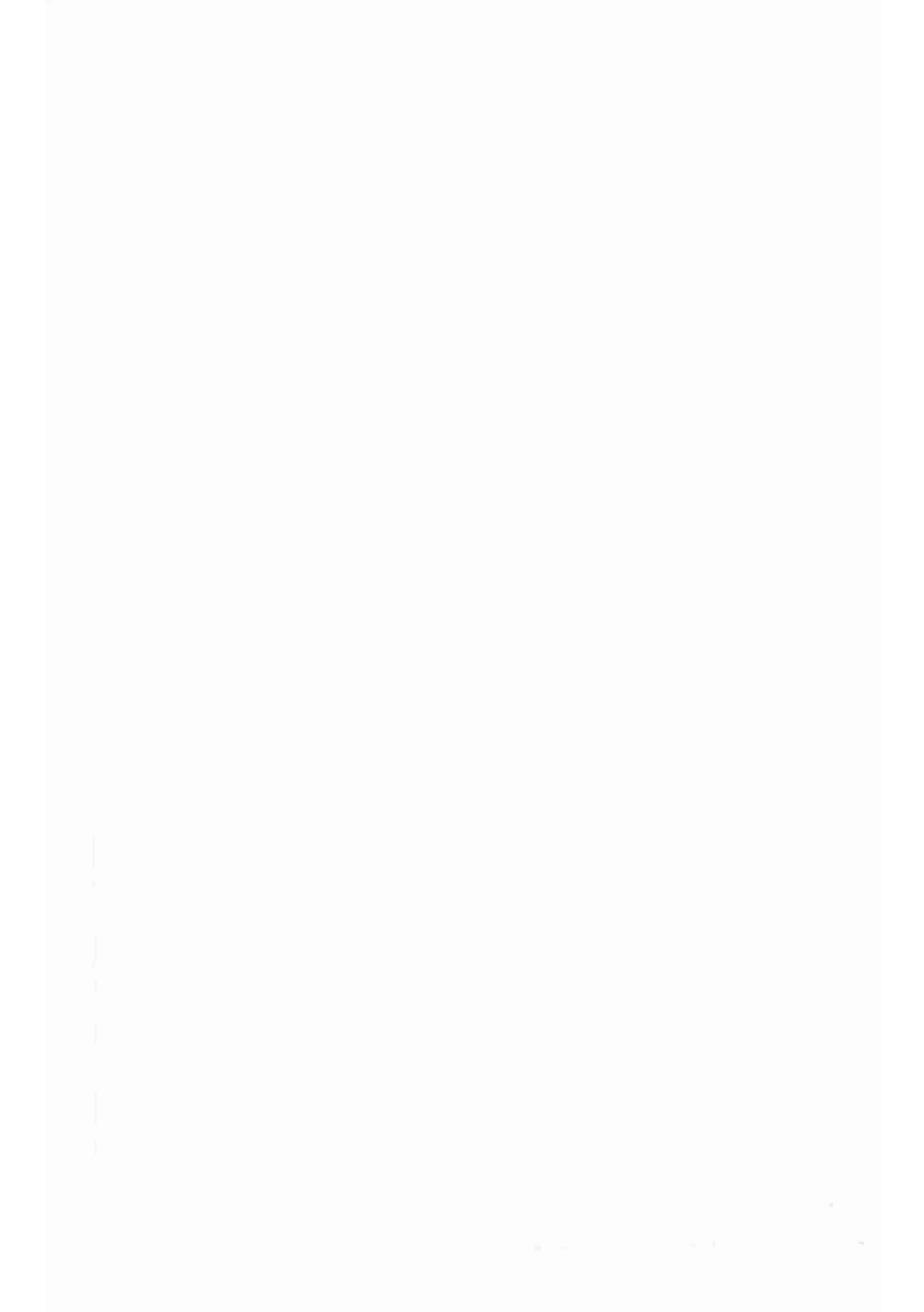
(٢) في م ، د ، س : توجههما .

(٣) انظر : ص(٣٣١) وما بعدها .

الباب الحادي عشر

في ذكر المرتبة الثانية وهي مرتبة الكتابة



الباب الحادي عشر
في ذكر المرتبة الثانية وهي مرتبة الكتابة

وقد تقدم في أول الكتاب[١] ما دلَّ على ذلك من نصوص القرآن والسنة الصريحة، فنذكر هنا بعض ما لم نذكره.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾[٢] فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء[٣]، لا تختص بزبور داود[٤]، والذكر أم الكتاب الذي عند الله[٥]، والأرض (هي)[٦] الدنيا[٧]، وعباده الصالحون أمة محمد ﷺ.

(هذا أصح الأقوال في هذه الآية، وهي علم من أعلام نبوة رسول الله ﷺ)[٨] فإنه أخبر بذلك بمكة وأهل الأرض كلهم كفار، أعداء له ولأصحابه، والمشركون قد أخرجوهم من ديارهم ومساكنهم، وشتتوهم في أطراف الأرض، فأخبرهم

---

(١) في الباب الأول.

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٥-١٠٦.

(٣) وهذا قول سعيد بن جبير، ومجاهد، وغيرهما، واختاره ابن جرير الطبري، انظر تفسيره (١٧/ ١٠٣، ١٠٤).

(٤) وممن قال: إنه زبور داود: الشعبي. انظر تفسير ابن جرير (١٧/ ١٠٤).

(٥) وهذا قول مجاهد، وابن زيد، وغيرهما، واختاره ابن جرير. انظر تفسيره (١٧/ ١٠٤).

(٦) ساقطة من د، س.

(٧) وهذا قول ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة عنه، انظر تفسير ابن جرير (١٧/ ١٠٤) وقال أكثر المفسرين ـ ومنهم ابن عباس في رواية مجاهد عنه ـ: إنها أرض الجنة، وممن قال بذلك: أبو العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير وغيرهم. انظر تفسير ابن جرير (١٧/ ١٠٤).

(٨) ما بين القوسين ساقط من ع.

ربهم تبارك وتعالى أنه كتب في الذكر الأول أنهم يرثون الأرض من الكفار، ثم كتب ذلك في الكتب التي أنزلها على رسله، والكتاب (الأول)[١] قد أطلق عليه الذكر في قول النبي ﷺ في الحديث المتفق[٢] على صحته : « **كان الله ولم يكن شيء غيره**[٣] **وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء** »[٤] .

---

(١) ساقطة من ع، د، س .

(٢) مراد المؤلف هنا اتفاق أهل الحديث على صحته، لا اتفاق الشيخين على تخريجه، فإن هذا الحديث أخرجه البخاري فقط .

(٣) قوله ﷺ : « **ولم يكن شيء غيره** » . روي: معه، وروي: قبله، والمجلس كان واحداً، فعلم أنه قال أحد الألفاظ والآخران رويا بالمعنى، ولفظ (القَبْل) ثبت عنه في غير هذا الحديث، واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما في موضع آخر . ولهذا كان كثير من أهل الحديث إنما يرويه بلفظ (القَبْل) كالحميدي، والبغوي، وابن الأثير، وغيرهم . انظر شرح الطحاوية (ص١٤٠-١٤١) وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨/ ٢١٦) .

(٤) هذا الحديث رواه عمران بن حصين ﷺ، وأخرجه البخاري في صحيحه في المواضع التالية :

- (٤/ ٧٢-٧٣) ك. بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ ﴾ .
- ٥/ ١١٥) ك. المغازي، باب وفد بني تميم .
- (٥/ ١٢٢) ك المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن .
- (٨/ ١٧٥) ك التوحيد، باب ﴿ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.
- والترمذي (٥/ ٦٨٨-٦٨٩) ك المناقب، باب مناقب ثقيف، وبني حنيفة .
- والنسائي في سننه الكبرى، ك التفسير (١/ ٥٨٤) تفسير سورة هود .
- والإمام أحمد ٤/ ٤٢٦، ٤٣١، ٤٣٢-٤٣٣) . وابن جرير في تفسيره (١٢/ ٤) .
- والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٤٧٨)، وفي سننه (٩/ ٢، ٣) .
- والدارمي في الرد على الجهمية ص(١٤)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٧، ١١) .
- والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٠) .

فهذا هو الذكر الذي كتب فيه أن الدنيا تصير لأمة محمد ﷺ والكتب المنزلة قد أطلق عليها الزبر في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ﴾[1] أي: أرسلناهم بالآيات الواضحات والكتب التي فيها الهدى والنور.

والذكر هاهنا الكتابان اللذان أنزلا قبل رسول الله ﷺ وهما التوراة والإنجيل.

والذكر في / قوله: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[2] ٤٢أ هو القرآن. (ففي)[3] هذه الآية علمه بما كان قبل كونه، وكتابته له بعد علمه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[4].

فجمع بين الكتابين: الكتاب السابق لأعمالهم قبل وجودهم، والكتاب المقارن لأعمالهم، فأخبر سبحانه أنه يحييهم بعدما أماتهم للبعث، ويجازيهم (بأعمالهم)[5] ونبه بكتابته لها على ذلك.

قال (مقاتل)[6]: (نكتب)[7] ما قدموا من خير (وشر)[8] (فعلوه)[9] في

---

(١) سورة النحل، آية ٤٣-٤٤.

(٢) سورة النحل، آية ٤٤.

(٣) في ت: معنى.

(٤) سورة يس، آية ١٢.

(٥) ساقطة من م.

(٦) ساقطة من ع، د، س.

(٧) ساقطة من ت.

(٨) في م: أو شر.

(٩) في ع، م: فعملوه.

حياتهم، وآثارهم : ما سنوا من سنة خير أو شر، فاقتدى بهم فيها بعد موتهم[١] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء[٢]: (آثارهم) ما أثروا من خير أو شر؛ كقوله: ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ[٣]﴾[٤] .

فإن قلت : قد استفيد هذا من قوله : ﴿مَا قَدَّمُوا۟﴾ فما أفاد قوله : وآثارهم على قوله؟ .

قلت : أفاد فائدة جليلة، وهو أنه سبحانه يكتب ما عملوه وما تولد من أعمالهم، (فيكون المتولد عنها كأنهم عملوه في الخير والشر وهو أثر أعمالهم، فآثارهم)[٥] هي (آثار)[٦] أعمالهم المتولدة عنها .

وهذا القول أعم من قول مقاتل، وكأن مقاتلاً أراد التمثيل والبيان على عادة السلف في تفسير اللفظة العامة بنوع أو فرد من أفراد مدلولها تقريباً وتمثيلاً، لا حصراً وإحاطة .

وقال أنس وابن عباس في رواية عكرمة : نزلت هذه الآية في

---

(١) ذكره الواحدي في تفسيره « البسيط » ق(٥٧) مخطوط، محفوظ أصله بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣) تفسير، وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١٤٢٥/ ف) .

(٢) هو : عطاء بن أبي رباح، بفتح الراء والموحدة، واسم أبي رباح، أسلم القرشي، مولاهم المكي، ثقة فقيه، فاضل، لكنه كثير الإرسال، من الثالثة، مات سنة أربع عشرة ومائة، على المشهور، وقيل: إنه تغير بأخرة، ولم يكن ذلك منه. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٢)، وتهذيب التهذيب (٧/ ١٩٩-٢٠٣) .

(٣) سورة القيامة، آية ١٣ .

(٤) ذكره الواحدي في تفسير « البسيط » ق(٥٧) المرجع السابق .

(٥) ما بين القوسين ساقط من م .

(٦) ساقطة من م .

بني سلمة[١] أرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، وكانت منازلهم بعيدة، فلما نزلت، قالوا : بل نمكث مكاننا[٢] .

واحتج أرباب هذا القول بما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، قال : كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النُّقْلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾[٣] . فقال رسول الله ﷺ : « يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم »[٤] .

---

(١) هم : بنو سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، بطن من الخزرج من الأزد، ينسب إليهم كثير من الصحابة. معجم قبائل العرب (٢/ ٥٣٧)، واللباب لابن الأثير (٢/ ١٢٩) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص(٣٣٩) .

(٢) قول ابن عباس : رواه ابن ماجه (١/ ٢٥٨) ك. المساجد والجماعات، باب الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً . وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٥٤) . وذكره ابن حجر العسقلاني في الفتح (٢/ ١٤٠)، ونسبه إلى ابن ماجه وقال : إسناده قوي . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٦) وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩٧) وقال : رواه الطبراني عن شيخه عبدالله ابن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف . وقول أنس ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق (٥٧) مخطوط، مرجع سابق .

(٣) سورة يس، آية ١٢ .

(٤) لم أعثر على هذا الحديث في صحيح البخاري من رواية أبي سعيد الخدري، وذلك بعد البحث عنه في مظانه من صحيحه، ومن تحفة الأشراف (٣/ ٤٦٥) وذخائر المواريث (٣/ ٢٠٠) نشر ناصر خسرو، إيران . والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ترتيب مجموعة من المستشرقين، نشر مكتبة بريل في هولندا سنة ١٩٣٦م . وقد رواه البخاري من حديث أنس، كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله . والحديث من رواية أبي سعيد أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣٩) ك. التفسير ـ تفسير سورة يس، وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري . والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٨-٤٢٩) . وقال : هذا حديث صحيح عجيب من حديث الثوري، وقد أخرج مسلم بعض هذا المعنى من حديث حميد عن أنس =

وقد روى مسلم (في صحيحه)[١] نحوه من حديث جابر[٢] وأنس[٣].

= وقال الذهبي : تفرد به إسحاق الأزرق عنه . صحيح . اهـ . ورواه ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ١٥٤) والواحدي في أسباب النزول ص(٢٧٤) سورة يس، نشر عالم الكتب في بيروت، الطبعة (بدون)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٦٥-٥٦٦) وقال : تفرد بإخراجه الترمذي عند تفسير هذه الآية الكريمة ... ثم قال : وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية، والسورة بكاملها مكية . فالله أعلم . وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٧/ ٥٥٨) ونسبه إلى الترمذي .

(١) ساقط من م، ت .

(٢) ولفظه : (عن جابر بن عبدالله قال : خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : « **بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد** » قالوا : نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك . فقال : « **يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم** » . وانظر صحيح مسلم (١/ ٤٦٢) ك. المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد. ورواه الإمام أحمد (٣/ ٣٣٢-٣٣٣، ٣٧١-٣٧٢) وابن جرير في تفسيره (٢٢/ ١٥٤) . وأبويعلى في مسنده (٤/ ١١٥) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٥/ ٣٩٠) . وأبوعوانة في مسنده (١/ ٣٨٧-٣٨٨). وأبوداود الطيالسي في مسنده كما في منحة المعبود (١/ ٨٢). وأبونعيم في الحلية (٣/ ١٠٠) . والبيهقي في سننه (٣/ ٦٤) ك. الصلاة . والبغوي في شرح السنة (٢/ ٥٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٦) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

(٣) لم أعثر على هذا الحديث من رواية أنس في صحيح مسلم ـ كما ذكر المؤلف ـ وذلك بعد البحث عنه في مظانه من صحيح مسلم ومن تحفة الأشراف وذخائر المواريث والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، والحديث رواه البخاري (١/ ١٦٠) ك. الأذان، باب احتساب الآثار . وفي (٢/ ٢٢٤) ك. فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، ولفظه : (أن بني سلمة أرادوا أن يتحولوا عن منازلهم، فينزلوا قريباً من النبي ﷺ قال: فكره رسول الله ﷺ أن يعروا المدينة، فقال : «**ألا تحتسبوا آثاركم**» . وابن ماجه (١/ ٢٥٨) ك. المساجد والجماعات، باب الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً . والإمام أحمد (٣/ ١٠٦، ١٨٢، ٢٦٣) .

وفي هذا القول نظر، فإن سورة يس مكية، وقصة / بني سلمة بالمدينة، إلا أن ٤٢ب يقال : هذه الآية وحدها مدنية .

واحسن من هذا أن تكون ذكرت عند هذه القصة ، ودلت عليها، وذكروا بها عندها، إما من النبي ﷺ، وإما من جبريل ـ عليه السلام ـ، فأطلق على ذلك النزول، ولعل هذا مراد من قال في نظائر ذلك : نزلت مرتين، والمقصود أن خطاهم إلى (المساجد)[١] من آثارهم التي يكتب الله لهم .

قال عمر بن (عبدالعزيز[٢])[٣]: لو كان الله سبحانه تاركاً (لابن)[٤] آدم شيئاً، لترك (له)[٥] ما عفت عليه الرياح من أثر[٦] .

---

(١) في ع : المسجد . .

(٢) في ع : بياض، وفي د، س : الخطاب .

(٣) هو : عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولي الخلافة بعده، فعد مع الخلفاء الراشدين، من الرابعة، مات في رجب سنة إحدى ومائة، وله أربعون سنة، ومدة خلافته سنتان ونصف . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٥٩-٦٠)، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ٤٧٥-٤٧٨) .

(٤) ف م : لنبي .

(٥) في م : لهم .

(٦) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٠) والإمام أحمد في كتاب الزهد (٦١) مخطوط، محفوظ أصله بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (١١٣١) ويوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١١٠٥/ ف) وذكره الواحدي في تفسيره « البسيط » ق (٥٧) مخطوط، سبق ذكره في ص(٣٧٨) . وروى نحوه من قول قتادة ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ١٥٥) وذكره من قول قتادة ـ أيضاً ـ السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٧) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

وقال مسروق[١] : ما خطا رجل خطوةً إلا كتبت له حسنة أو سيئة[٢] .

والمقصود أن قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[٣] وهو اللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب، وهو الذكر الذي كتب فيه كل شيء، يتضمن كتابة أعمال العباد قبل أن يعملوها، والإحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها، وحفظه لها، والإحاطة بعددها، وإثباتها فيه .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[٤] وقد اختلف في الكتاب هاهنا: هل هو القرآن ؟ أو اللوح المحفوظ ؟ على قولين :

فقالت طائفة : المراد به القرآن، (قالوا)[٥] : وهذا من العام المراد به الخاص، أي: ما فرطنا فيه من شيء يحتاجون إلى ذكره وبيانه، كقوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[٦] .

---

(١) هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبوعائشة الكوفي، ثقة فقيه عابد، مخضرم، من الثانية، مات سنة اثنتين ، ويقال : سنة ثلاث وستين، روى له : الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٢) وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ١٠٩-١١١) وتاريخ الثقات ص٤٢٦.

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره « البسيط » ق (٥٧) مخطوط. سبق بيان معلومات عنه في ص(٣٧٨) والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٧) ونسبه إلى عبد بن حميد .

(٣) سورة يس، آية ١٢ .

(٤) سورة الأنعام، آية ٣٨ .

(٥) ساقطة من د، س . وفي ع : قال .

(٦) سورة النحل، آية ٨٩ .

ويجوز أن يكون من العام المراد (به)[١] عمومه، والمراد أن كل شيء ذكر فيه مجملاً ومفصلاً، كما قال ابن مسعود وقد لعن الواصلة والمستوصلة[٢] : ما لي (لا ألعن)[٣] من لعنه الله في كتابه ؟! فقالت امرأة[٤] : لقد قرأت (القرآن)[٥] فما وجدته، فقال : إن كنت قرأته فقد وجدته، قال تعالى : ﴿وَمَا ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٦] ولعن رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة[٧].

---

(١) ساقطة من م، ت .

(٢) الواصلة : هي التي تصل شعرها بشعر آخر زور . والمستوصلة : هي التي تأمر من يفعل بها ذلك . النهاية لابن الأثير (٥/ ١٩٢) .

(٣) في ت : ألا ألعن .

(٤) واسمها أم يعقوب (من بني أسد) كما في صحيح البخاري (٦/ ٥٨) ك. التفسير، باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ .

(٥) لفظة (القرآن) لم ترد في م .

(٦) سورة الحشر، آية ٧ .

(٧) رواه البخاري في (٦/ ٥٨-٥٩) ك. التفسير، باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ . و(٧/ ٦١-٦٢) ك. اللباس، باب المتفلجات للحسن . و(٧/ ٦٣) ك. اللباس، باب المتنمصات . و(٧/ ٦٣) ك. اللباس، باب الموصولة . و(٧/ ٦٤) ك. اللباس، باب الواشمة . و(٧/ ٦٤) ك. اللباس، باب المستوشمة . ورواه مسلم (٤/ ١٦٧٨) ك. اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات، والمغيرات خلق الله . وأبوداود : (١١/ ٢٢٥-٢٢٦) ك. الترجل، باب في صلة الشعر . والترمذي (٥/ ٩٦-٩٧) ك. الأدب، باب ما جاء في الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة . والنسائي (٨/ ١٤٥-١٤٧) ك. الزينة، باب المستوصلة، وباب المتنمصات والمتفلجات . وأيضاً في ك. التفسير من سننه الكبرى (٢/ ٤٠٣-٤٠٤) تفسير سورة الحشر . وابن ماجه (١/ ٦٤٠) ك. النكاح، باب الواصلة والواشمة . والطبراني في الأوسط (٣/ ٤٥) .

وقال الشافعي[١] : (ما تنزل)[٢] بأحد من المسلمين نازلة إلا في كتاب الله سبيل الدلالة عليها[٣] .

٤٣أ وقالت طائفة : / المراد بالكتاب في الآية : اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل شيء، وهذا إحدى الروايتين عن ابن عباس[٤] . وكأن هذا القول أظهر في الآية، والسياق يدل عليه، فإنه قال : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[٥] وهذا يتضمن أنها أمم أمثالنا في الخلق والرزق (والأجل)[٦] والتقدير الأول، وأنها لم تخلق سدى، بل هي (مُعَبَّدة)[٧] مُذَلَّلة، قد قَدَّرَ خلقها وأجلها ورزقها وما تصير إليه، ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فنائها، فقال : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[٨] . فذكر مبدأها ونهايتها، وأدخل بين هاتين

---

(١) هو : محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبديزيد بن هاشم بن المطلب، المطلبي، أبوعبدالله الشافعي، المكي، نزيل مصر، رأس الطبقة التاسعة، أحد الأئمة الأربعة، وإليه نسبة الشافعية، مات سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون سنة، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ١٤٣)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٥-٣١) .

(٢) في ع، د، س : ما نزل . وما أثبت من م، ت، وهو المطابق لما في الرسالة .

(٣) انظر الرسالة للشافعي ص(٢٠) تحقيق أحمد شاكر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٩هـ نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٧/ ١٨٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٦٧) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) سورة الأنعام، آية ٣٨ .

(٦) في ع، د، س : والأكل .

(٧) في ت : مقيدة .

(٨) سورة الأنعام، آية ٣٨ .

الحالتين قولـه : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[١] أي : كلها (قد)[٢] كتبت وقدرت، وأحصيت قبل أن توجد، فلا يناسب هذا ذكر كتاب الأمر والنهي، وإنما يناسب ذكر الكتاب الأول .

ولمن نصر القول الأول أن يجيب هذا بأن في ذكر القرآن هاهنا الإخبار عن تضمنه لذكر ذلك والإخبار به، فلم نفرط فيه من شيء، بل أخبرناكم بكل ما كان وما هو كائن إجمالاً وتفصيلاً، ويرجحه أمر آخر: وهو أن هذا ذُكر عقيب قولـه : ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣] فنبههم على أعظم الآيات وأدلها على صدق رسوله ﷺ، وهو الكتاب الذي يتضمن (تبيان)[٤] كل شيء، ولم يفرط فيه من شيء، ثم نبَّههم بأنهم أمة من جملة الأمم التي في السماوات والأرض، وهذا يتضمن التعريف بوجود الخالق سبحانه، وكمال قدرته وعلمه، وسعة ملكه، وكثرة جنوده، والأمم التي لا يحصيها غيره، وهذا / يتضمن أنه لا إله غيره، ولا رب سواه، وأنه رب ٤٢ب العالمين، فهذا دليل على وحدانيته وصفات كماله من جهة خلقه وقدره، وإنزال الكتاب الذي لم يفرط فيه من شيء دليل من جهة أمره وكلامه، فهذا استدلال بأمره، وذلك بخلقه ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥]. (ويشهد)[٦] لهذا أيضاً قولـه : ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ

---

(١) سورة الأنعام، آية ٣٨ .

(٢) ساقطة من ع .

(٣) سورة الأنعام، آية ٣٧ .

(٤) في ع، د، س : بيان .

(٥) سورة الأعراف، آية ٥٤ .

(٦) في ع، د، س : وشهد .

﴿ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١] .

ولمن نصر أن المراد بالكتاب : اللوح المحفوظ أن يقول : لما سألوا (آية)[٢] أخبرهم سبحانه بأنه لم يترك إنزالها لعدم قدرته على ذلك ـ فإنه قادر على ذلك ـ وإنما لم ينزلها لحكمته ورحمته بهم وإحسانه إليهم، إذ لو أنزلها على وفق اقتراحهم لعوجلوا بالعقوبة إن لم يؤمنوا . ثم ذكر ما يدل على كمال قدرته بخلق الأمم العظيمة التي لا يحصي (عددها)[٣] إلا هو، فمن قدَرَ على خلق هذه الأمم ـ مع اختلاف أجناسها وأنواعها وصفاتها وهيئاتها، كيف يعجز عن إنزال آية ؟! ثم أخبر عن كمال قدرته وعلمه بأن هؤلاء الأمم قد أحصاهم وكتبهم وقدَّر أرزاقهم وآجالهم (وأحوالهم)[٤] في كتاب لم يفرط فيه من شيء، ثم يميتهم ثم يحشرهم إليه، والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات (عن)[٥] النظر والاعتبار، الذي يؤديهم إلى معرفة ربوبيته ووحدانيته وصدق رسله، ثم أخبر أن الآيات لا تستقل بالهدى ولو أنزلها على وفق اقتراح البشر، بل الأمر كله له، ﴿مَن (يَشَإِ)[٦] ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٧]، (فهذا)[٨] أظهر القولين. والله أعلم .

وقال تعالى : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا

---

(١) سورة العنكبوت، آية ٥٠-٥١ .

(٢) في م، ت : الآية .

(٣) في ع : عدتها .

(٤) ساقطة من : ت .

(٥) في ت : في .

(٦) في ت : من يشأ الله .

(٧) اقتباس من آية ٣٩ سورة الأنعام .

(٨) في ع، د، س : فهو .

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝﴾[١].

قال ابن عباس: في اللوح المحفوظ (الذي عندنا[٢])[٣].

قال مقاتل: (يقول)[٤] إن نسخته في أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ[٥].

وأم الكتاب: أصل الكتاب، وأم كل شيء: أصله، والقرآن / كتبه الله في ٤٤أ اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۝[٦]﴾[٧] وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث: أن كل كائن إلى يوم القيامة، فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دلَّ القرآن على أن الرب تبارك وتعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله (وما يقولـه)[٨]، فكتب في اللوح أفعاله وكلامه (فتبت يدا أبي لهب) في اللوح المحفوظ قبل وجود أبي لهب.

وقولـه ﴿لدينا﴾ يجوز (فيه)[٩] أن يكون من صلة أم الكتـاب، أي: إنه في

(١) سورة الزخرف، الآيات من ١-٤.

(٢) في ع، د، س: المقري عندنا.

(٣) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق (٣) مخطوط، محفوظ أصله بالمكتبة الأزهرية بمصر تحت رقم (٣٠٣) مغاربة، وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم ١٤٢٥-١ / ف. والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٦٦) مطولاً ونسبه إلى ابن مردويه.

(٤) ساقطة من ع، د، س.

(٥) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق (٣) المرجع السابق.

(٦) سورة البروج، آية ٢١-٢٢.

(٧) قولـه: وأم الكتاب: أصل الكتاب ... إلخ. هذا هو قول الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٥) واختيار ابن جرير، انظر تفسيره (٢٥/ ٤٨).

(٨) في ت: وهو يقولـه.

(٩) ساقطة من م.

(أم)[١] الكتاب الذي عندنا، وهذا اختيار ابن عباس[٢]، ويجوز أن يكون من صلة الخبر أنه عليٌّ حكيم عندنا، ليس هو كما عند المكذبين به، (أي)[٣] : وإن كذبتم به وكفرتم؛ فهو عندنا في غاية الارتفاع والشرف والإحكام.

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ ﴾[٤] قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطية[٥] : أي ما سبق لهم في الكتاب من الشقاوة والسعادة، ثم قرأ عطية : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۗ[٦] ﴾[٧] . والمعنى أن هؤلاء أدركهم ما كتب لهم من الشقاوة،

---

(١) ساقطة من ع، د، س .

(٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة .

(٣) ساقطة من د .

(٤) سورة الأعراف، آية ٣٧ .

(٥) هو : عطية بن سعد بن جُنادة، بضم الجيم بعدها نون خفيفة، العوفي، الجَدَلي ـ بفتح الجيم والمهملة ـ الكوفي، أبوالحسن، صدوق يخطئ كثيراً، كان شيعياً مدلساً، من الثالثة، مات سنة إحدى عشرة ومائة، روى له البخاري في كتاب الأدب المفرد، وروى له أبوداود والترمذي وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ٢٤) وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٤-٢٢٦) .

(٦) سورة الأعراف، آية ٣٠ .

(٧) قول سعيد بن جبير رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٦٩) . والبيهقي في كتاب القدر ص(١٥٧). واللالكائي في السنة (٣/ ٥٥٥). وقول مجاهد: رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٦٩) وابن أبي حاتم في تفسيره ق(١٤٥) مخطوط، محفوظ أصله بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم ٤٩ تفسير، وتوجد صورة منه في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم ٢٩٥ / ف . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٥١) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد . وقول عطية : رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٧٠)، والبيهقي في كتاب القدر ص(١٥٨) .

وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، قال : يريد ما سبق عليهم في علمي في اللوح المحفوظ[١] .

فالكتاب على هذا القول : الكتاب الأول، ونصيبهم : ما كتب لهم (فيه)[٢] من الشقاوة وأسبابها. وقال ابن زيد[٣]، و(القرظي[٤])[٥]، والربيع بن أنس[٦] : ينالهم ما كتب لهم من الأرزاق والأعمال (والأعمار)[٧] فإذا فني نصيبهم

---

(١) ذكره الواحدي في تفسيره « البسيط » ق (٢١٩) مخطوط، محفوظ أصله في كتبة شستربتي في أيرلندا تحت رقم (٣٧٣٦) وتوجد صورة منه في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت الرقم نفسه .

(٢) ساقطة من د، س .

(٣) هو : عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، العدوي، مولاهم، حدَّث عن أبيه وابن المنكدر، وروى عنه أصبغ بن الفرج، وهشام بن عمار، وآخرون . وكان صاحب قرآن وتفسير، وجمع تفسيراً في مجلد، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، ضعيف، من الثامنة، مات سنة ١٨٢هـ روى له الترمذي وابن ماجه . سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٩) . تقريب التهذيب (١/ ٤٨٠)، وتهذيب التهذيب (٦/ ١٧٧) . وروى قوله : ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٧١-١٧٢) . وذكره القرطبي في تفسير (٧/ ١٣٠) . وابن كثير في تفسير (٢/ ٢١٢) .

(٤) في م، ع، د، س : والقرطبي، وهو خطأ . والصواب ما أثبت .

(٥) هو : محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبوحمزة القُرظي ، المدني ، وكان قد نزل الكوفة مدة، ثقة، عالم، من الثالثة ، ولد سنة أربعين على الصحيح، ووهم من قال : ولد في عهد النبي ﷺ، فقد قال البخاري : إن أباه كان ممن لم ينبت من بني قريظة فترك، مات محمد سنة عشرين ومائة، وقيل: قبل ذلك . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٣)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٦٥) . وروى قوله : ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٧١) . وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢١٢) .

(٦) سبقت ترجمته في ص (١٦٦) . وذكر قوله : ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢١٢) والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٥١) ونسبه إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم .

(٧) ساقطة من ع، د، س .

واستكملوه جاءتهم رسلنا يتوفونهم . ورجح بعضهم[١] هذا القول لمكان (حتى)[٢] التي هي (للغاية)[٣]. يعني أنهم يستوفون أرزاقهم وأعمارهم إلى الموت.

(ولمن)[٤] نصر القول الأول أن يقول : حتى في هذا الموضع هي التي تدخل على الجمل، وينصرف الكلام فيها إلى الابتداء[٥] (كما في قولـه)[٦] :

فيا عجباً حتى كليبٌ تسبُّني[٧]

والصحيح أن نصيبهم من الكتاب يتناول الأمرين، فهو نصيبهم من الشقاوة/ ، ونصيبهم من الأعمال التي هي أسبابها، ونصيبهم من الأعمار التي هي مدة اكتسابها، ونصيبهم من الأرزاق التي استعانوا بها على ذلك، فعمت الآية هذا النصيب كله . ٤٤ب

---

(١) وممن رجح هذا القول ابن جرير الطبري، انظر تفسيره (٨/ ١٧٢) .

(٢) يشير إلى بقية الآية، وهي قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ .

(٣) في م : للكفاية .

(٤) في ت : ولم، وفي ع : وأما .

(٥) قال الشوكاني : ولكن لا يخفى أن كونها لابتداء الكلام بعدها لا ينافي كونها غاية لما قبلها. انظر فتح القدير (٢/ ٢٠٣) .

(٦) في ت، م، ع : كا ما كقوله .

(٧) هذا صدر بيت قاله الفرزدق يهجو فيه (كُليباً) رهط جرير، وعجزه :

.... كأن أباها نهشل أو مجاشع

ونهشل ومجاشع رهط الفرزدق . انظر ديوان الفرزدق ص(٣٦١) شرح الأستاذ علي فاعور، ط. الأولى ١٤٠٧هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت. ومعاني القرآن للفراء (٤/ ١٣٨) . وخزانة الأدب للبغدادي (٤/ ١٤١) ط. بولاق بمصر ١٢٩٩هـ . ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (ص١٧٣) تحقيق د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط. الخامسة، ١٩٧٩م، نشر دار الفكر، بيروت .

وذكر هؤلاء بعضه، وهؤلاء بعضه، هذا على القول الصحيح، وأن المراد (بالكتاب)[١] ما سبق لهم في أم الكتاب .

وقالت طائفة[٢] : المراد بالكتاب : القرآن .

قال الزجاج : معنى ﴿ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ما أخبر الله عز وجل من جزائهم؛ نحو قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾[٣]. وقوله: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا[٤]﴾[٥] (ونظائره) [٦] قال أرباب هذا القول : وهذا هو الظاهر؛ لأنه ذكر عذابهم في القرآن في مواضع، ثم أخبر أنه ينالهم نصيبهم منه .

والصحيح القول الأول، وهو : نصيبهم الذي كتب لهم أن ينالوه قبل أن يخلقوا ولهذا القول وجه حسن، وهو أن نصيب المؤمنين منه الرحمة والسعادة، ونصيب هؤلاء منه العذاب والشقاء، فنصيب كل فريق منه ما اختاروه لأنفسهم، وآثروه على غيره، كما أن حظ المؤمنين منه كان الهدى والرحمة، فحظ هؤلاء منه الضلال والخيبة، فكان حظهم من هذه النعمة أن صارت نقمة وحسرة عليهم.

---

(١) ساقطة من ع، د، س .

(٢) منهم الحسين البصري، والسدي، وأبوصالح، وابن قتيبة، والزجُّاج، وقد ذكر المؤلف رحمه الله قول الزجّاج، ثم أعقبه بتوجيه قولهم . انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص(١٦٧)، وتفسير الواحدي « البسيط »، ق (١٨٢) مخطوط محفوظ أصله بمكتبة شستربتي في أيرلندا تحت رقم (٥١٠٥) وتوجد صورة منه بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت الرقم نفسه .

(٣) سورة الليل، آية ١٤ .

(٤) سورة الجن، آية ١٧ .

(٥) انظر كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٣٤-٣٣٥) .

(٦) ساقطة من د، س .

وقريب من هذا قوله تعالى : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[١] أي : تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به .

قال الحسن : تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون . قال : وخسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به[٢] .

وقال تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[٣] قال عطاء ومقاتل : كل شيء فعلوه مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ[٤] .

وروى حمّاد بن زيد عن داود[٥] بن أبي هند عن الشعبي ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[٦] قال : كُتب عليهم قبل أن يعملوه[٧] .

وقالت طائفة : المعنى أنه يحصى عليهم في كتب أعمالهم .

وجمع أبوإسحاق بين القولين، فقال : مكتوب عليهم قبل أن يفعلوه، ومكتوب (لهم)[٨] وعليهم إذا فعلوه للجزاء[٩]، وهذا أصح . وبالله التوفيق .

---

(١) سورة الواقعة، آية ٨٢ .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٧/ ٢٠٩) .

(٣) سورة القمر، آية ٥٢ .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٠) ونسبه إلى عبد بن حميد .

(٥) هو : داود بن أبي هند، القشيري ، مولاهم ، أبوبكر أو أبومحمد ، البصري ، ثقة متقن، كان يهم بأخرة ، من الخامسة، مات سنة أربعين ومائة، وقيل: قبلها . روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (١/ ٢٣٥)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٠٤) .

(٦) سورة القمر، آية ٥٢ .

(٧) لم أعثر له على تخريج .

(٨) ساقطة من ع، د، س . وما أثبت من م، ت، ومعاني القرآن للزجّاج .

(٩) انظر كتاب معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٥/ ٩٢) .

وفي الصحيحين من حديث / ابن عباس قال: ما (رأيت)[1] شيئاً أشبه باللمم[2] مما قاله أبوهريرة إن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه**»[3]. ٤٥ أ

وفي (الصحيحين)[4] أيضاً عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى وتمنى، ويصدق الفرج ذلك كله ويكذبه**»[5].

---

(١) ساقطة من م.

(٢) قوله: اللمم: يعني قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ سورة النجم آية ٣٢. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص١٨٤): وقد قيل في تفسيره خلاف ما قال ابن عباس، وهو أن يأتي بالذنب ثم لا يعاوده، وقيل: ترك الإصرار، وقيل: كل ما دون الشرك، وقيل ما لم يأت فيه حد في الدنيا ولا وعيد في الأخرى، وقيل: ما كان في الجاهلية. وقول ابن عباس أقوى، وحاصله: أنه ما دون الكبائر.

(٣) رواه البخاري (٧/ ١٣٠) ك. الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج. وفي (٧/ ٢١٤) ك. القدر، باب ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. ومسلم (٤/ ٢٠٤٦) ك. القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره. وأبوداود (٦/ ١٨٨) ك. النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر. والنسائي في الكبرى، ك. التفسير (٢/ ٣٥٣-٣٥٤) تفسير سورة النجم. والإمام أحمد (٢/ ٢٧٦). والبيهقي في سننه (٧/ ٨٩) و (١٠/ ١٨٥-١٨٦). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٠/ ٢٦٨).

(٤) في ع، د، س: الصحيح. وهو خطأ، انظر تخريج هذا الحديث.

(٥) انظر صحيح البخاري (٧/ ٢١٤) ك. القدر، باب ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ معلقاً. قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٥٠٣): ولم أقف على هذه =

وفي صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين ، قال : (دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم [١] فقال : « اقبلوا (البشرى)[٢] يا بني تميم »، قالوا : قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من اليمن، فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم »، قالوا : قد قبلنا يا رسول الله، قالوا : جئناك لنسألك عن هذا الأمر. قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض »، فنادى منادٍ : ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي ينقطع دونها السراب، فوالله لوددت (أني)[٣] كنت تركتها)[٤] .

فالرب سبحانه وتعالى كتب ما يقوله وما يفعله، وما يكون بقوله وفعله، وكتب مقتضى أسمائه وصفاته وآثارها، كما في الصحيحين من حديث (أبي)[٥] الزناد[٦] (عن)[٧] الأعرج[٨] عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : « لما

= الرواية موصولة . وانظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٧) ك. القدر، باب قدر على أن آدم حظه من الزنا وغيره . ورواه الإمام أحمد (٢/ ٣٤٣، ٣٧٩) وروايتهما موصولة .

(١) هم : بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . انظر معجم قبائل العرب (١/ ١٢٦) .

(٢) في ع : بالبشرى .

(٣) في ت : أن .

(٤) سبق تخريجه في ص(٣٧٦) عند ذكر طرف منه، وهو قوله ﷺ : «كان الله ولم يكن شيء غيره» .

(٥) في م، ت : ابن . وهو خطأ .

(٦) هو : عبدالله بن ذكوان القرشي، أبوعبدالرحمن، المدني، المعروف بأبي الزناد، ثقة فقيه، من الخامسة، مات سنة ثلاثين ومائة، وقيل: بعدها، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤١٣) وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٠٣) .

(٧) ساقطة من م .

(٨) هو : عبدالرحمن بن هرمز الأعرج، أبوداود المدني، مولى ربيعة بن الحارث، ثقة ثبت =

قضى[١] الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق (العرش)[٢] : إن رحمتي غلبت غضبي»[٣] .

❊ ❊ ❊

= عالم، من الثالثة، مات سنة سبع عشرة ومائة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٥٠١)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٩٠) .

(١) قولـه ﷺ : « **لما قضى الله الخلق** » أي : أكمله وأتمه، والمراد بالخلق هنا : خلق هذا العالم . بغية المرتاد لشيخ الإسلام ابن تيمية ص(٣٠١-٣٠٢) .

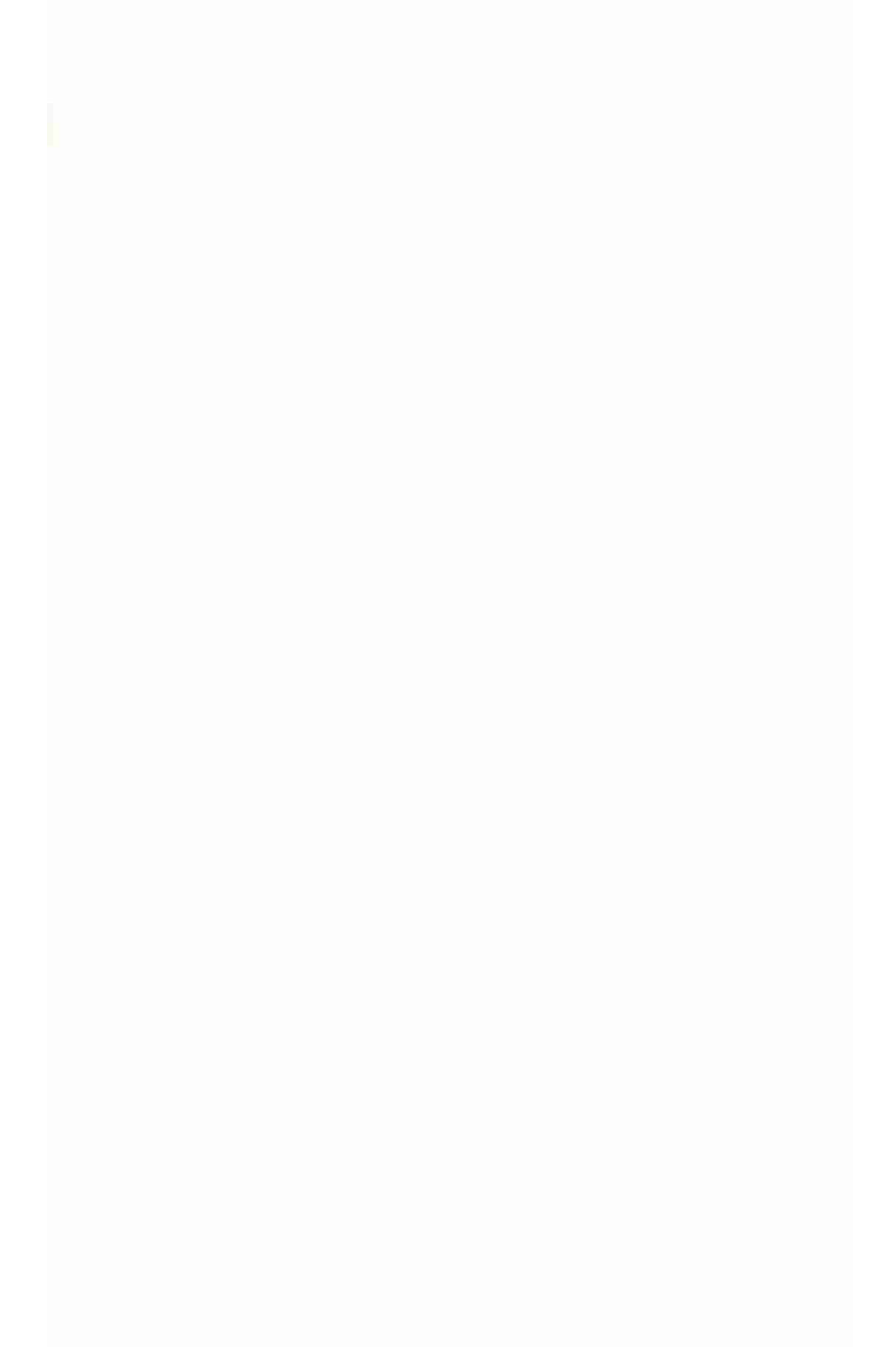
(٢) في م : عرشه .

(٣) انظر صحيح البخاري (٤/ ٧٣) ك. بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. و(٨/ ١٦٧) ك. التوحيد، باب قوله تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ و (٩/ ١٨٧-١٨٨) ك. التوحيد، باب قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. وصحيح مسلم (٤/ ٢١٠٧-٢١٠٨) ك. التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، والنسائي في سننه الكبرى، ك. النعوت، كما في تحفة الأشراف (١٠/ ١٩٣) . والإمام أحمد (٢/ ٢٤٢، ٢٥٩) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٥٠١، ٥٢٥-٥٢٦) كلهم من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً . وروى هذا الحديث من طرق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، عند البخاري في (٨/ ١٧١) ك. التوحيد، باب قوله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ . وفي (٨/ ٢١٦) باب قول تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝﴾ . ومسلم (٤/ ٢١٠٨) ك. التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه. والترمذي (٥/ ٥١٣) ك. الدعوات، باب خلق الله مائة رحمة . وابن ماجه (١/ ٦٧) المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية . وفي (٢/ ١٤٣٥) ك. الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة والإمام أحمد (٢/ ٣١٣، ٣٩٦، ٤٦٦) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ١٢)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٧٥-٣٧٦) .

الباب الثاني عشر

في ذكر المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة المشيئة



الباب (الثاني)[١] عشر
في ذكر المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر
وهي مرتبة المشيئة

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من / عند الله، والفطرة التي (فطر الله)[٢] عليها خلقه، وأدلة ٤٥ب العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض (على الحقيقة)[٣] إلا الله وحده، فما شاء (الله)[٤] كان وما لم يشأ لم يكن، هذا (عمود)[٥] التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع، وإن كان منهم في موضع آخر، فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله بالكلية، وأن يشاء ما لا يكون وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفي مشيئة الله، ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختياراً أوجد بها الخلق، كما يقوله طائفة من أعداء الرسل من الفلاسفة وأتباعهم. والقرآن والسنة مملوءان بتكذيب الطائفتين (كقوله)[٦] تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٧] وقال

---

(١) في ع: الثالث.

(٢) في م: فطر.

(٣) ساقطة من ع، د، س.

(٤) لفظ الجلالة إضافة من م، ت.

(٥) في د، س: عموم.

(٦) في ع، د، س: فقوله.

(٧) سورة البقرة آية ٢٥٣.

تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[١] **وقال** : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[٢] **وقال**: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ﴾[٣]، **وقال**: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ﴾[٤] **وقال** : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ﴾[٥] ، **وقال** : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾[٦]، **وقال** : ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾[٧]، **وقال**:﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[٨]، **وقال**: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ﴾[٩]، **وقال** : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾[١٠]، **وقال** : ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[١١]، **وقال عن نوح إنه قال لقومه**: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾[١٢]

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٠ .

(٢) سورة الأنعام آية :١١٢ .

(٣) سورة يونس آية : ٩٩ .

(٤) سورة هود آية : ١١٨ .

(٥) سورة الأنعام آية : ٣٥ .

(٦) سورة السجدة آية : ١٣ .

(٧) سورة محمد آية : ٤ .

(٨) سورة الإسراء آية : ٨٦ .

(٩) سورة الشورى آية : ٢٤ .

(١٠) سورة النساء آية : ١٣٣ .

(١١) سورة الفتح آية : ٢٧ .

(١٢) سورة هود آية : ٣٣ .

وقال إمام الحنفاء وأبو الأنبياء لقومه : ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ﴾[1]، وقال الذبيح[2] له: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[3] ، وقال خطيب الأنبياء شعيب : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ﴾[4] .

وقـــال الصـــديـق الكـــريم ابـــن الكـــريم[5]

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٠ .

(٢) وقد اختلف في تعيين الذبيح: هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ على قولين، ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ثم قال: وفي الجملة، فالنزاع في هذه المسألة مشهور، لكن الذي يجب القطع به أنه إسماعيل، وهذا الذي عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة. ثم ساق الأدلة على ذلك . انظر : الفتاوى (٤/ ٣٣١-٣٣٦) .

(٣) سورة الصافات آية : ١٠٢ .

(٤) سورة الأعراف آية : ٨٩ .

(٥) قوله : (الكريم ابن الكريم) : مقتبس من حديث رواه ابن عمر، وأبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام » - ورواية ابن عمر أخرجها :

- البخاري في (٤/ ١٢١) ك الأنبياء - باب ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾.

- والأمام أحمد (٢/ ٩٦) .

ورواية أبي هريرة أخرجها :

- البخاري في (٤/ ١١١) كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى : ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ .

- وفي (٤/ ١١٩-١٢٠) باب﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾.

- وفي (٤/ ١٢٢) باب قول الله تعالى : ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات =

(ابن الكريم)[١] : ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[٢] ، وقال حمو[٣] موسى : ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ / ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٤] وقال كليم الرحمن للخضر : ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾[٥] وقال قوم موسى له: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾[٦] وقال لسيد ولد آدم وأكرمهم عليه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٧]، وقال : ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ

٤٦أ

= للسائلين﴾.

- وفي (٤/ ١٦١) ك المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية .
- وفي (٥/ ٢١٦) ك التفسير - ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾.
- والترمذي (٥/ ٢٧٣) أبواب التفسير - تفسير سورة يوسف .
- وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٣/ ٢).

(١) ساقطة من م .

(٢) سورة يوسف آية : ٩٩ .

(٣) حمو المرأة : أبو زوجها، ومن كان من قبله، والأنثى حماة، وحمو الرجل: أبو المرأة، أو أخوها، أو عمها، أو الأحماء من قبلها خاصة. القاموس المحيط (١٧٤٧) مادة (حمى): أهـ .
وحمو موسى هو الذي زوجه ابنته كما في سورة القصص. قال بعض المفسرين: إنه شعيب، ورجح المحققون أنه غيره . انظر جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٦١-٦٥) تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط الثانية ١٤٠٥هـ نشر مطبعة المدني بالقاهرة (١/ ٦١-٦٥) .

(٤) سورة القصص آية : ٢٧ .

(٥) سورة الكهف آية : ٦٩ .

(٦) سورة البقرة آية : ٧٠ .

(٧) سورة الكهف آية : ٢٣-٢٤ .

لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[١]، وقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[٢]، وقال عن أهل الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[٣] وعن أهل النار كذلك، ليبين أن الأمر راجع إلى مشيئته، ولو شاء لكان غير ذلك، وقال: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾[٤] وقال: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾[٥]، وقال: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾[٦]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾[٧]، وقال: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[٨]، وقال: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٩]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١٠]، وقال: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[١١]، وقال: ﴿وَلَٰكِن

---

(١) سورة يونس آية: ٤٩ .

(٢) سورة الأعلى آية: ٦-٧ .

(٣) سورة هود آية: ١٠٨ .

(٤) سورة الإسراء آية: ٥٤ .

(٥) سورة آل عمران آية: ١٢٩، وسورة المائدة آية ١٨ .

(٦) سورة الشورى آية: ٢٧ .

(٧) سورة الإسراء آية: ٣٠ .

(٨) سورة الرعد آية: ٣٩ .

(٩) سورة الأنعام آية: ٣٩ .

(١٠) سورة إبراهيم آية: ٤ .

(١١) سورة إبراهيم آية: ٢٧ .

جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[(١)]، وقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(٢)] ، وقال : ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(٣)]، وقال: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ﴾[(٤)]، وقال: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[(٥)]، وقال: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾[(٦)] وفي الآية الأخرى ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾[(٧)].

٤٦ ب فأخبر / أن مشيئتهم وفعلهم (موقوفان)[(٨)] على مشيئته لهم هذا وهذا. وقال تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[(٩)]، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(١٠)] ، وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾[(١١)] وقوله : ﴿يَخْتَصُّ

---

(١) سورة الشورى آية : ٥٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٤٢ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢١٣ .

(٤) سورة يونس آية: ١٦ .

(٥) سورة الإنسان آية : ٢٨ .

(٦) سورة المدثر آية : ٥٦ .

(٧) سورة الإنسان آية : ٣٠ .

(٨) في م : مترتب .

(٩) سورة آل عمران آية : ٢٦ .

(١٠) سورة يونس آية : ٢٥ .

(١١) سورة الأحزاب آية : ٢٤ .

بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[٣]، وقوله: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾[٤] وقوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾[٥] وقوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[٨] وقوله: ﴿فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾[٩]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾[١٠]، وقوله: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[١١]، وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[١٢] وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾[١٣]، وقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾[١٤] وقوله: ﴿لَوْ

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٤ .

(٢) سورة النور آية : ٢١ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٦١ .

(٤) سورة يوسف آية : ٥٦ .

(٥) سورة يوسف آية : ٧٦ .

(٦) سورة الجمعة آية : ٤ .

(٧) سورة إبراهيم : آية ١١ .

(٨) سورة الروم آية : ٤٨ .

(٩) سورة يوسف آية : ١١٠ .

(١٠) سورة يوسف آية : ١٠٠ .

(١١) سورة البقرة آية : ٢٦٩ .

(١٢) سورة يس آية : ٦٦ .

(١٣) سورة البقرة آية ٢٠ .

(١٤) سورة الشورى آية : ٣٣ .

نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا﴾[١]، وقوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا﴾[٢] وقوله: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾[٣] ، وقوله : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾[٤] وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾[٥]، وقوله : ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾[٦] وقوله عن كليمه موسى (إنه قال)[٧] ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾[٨] .

وهذه (الآيات)[٩] ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال: نفاة المشيئة بالكلية، ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم، وهو سبحانه تارة يخبر أن كل ما في الكون بمشيئته، وتارة (أن)[١٠] ما لم يشأ لم يكن، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع، وأنه لو شاء لكان خلاف (القدر)[١١] الذي قدره وكتبه، وأنه لو شاء (لما عصي)[١٢]، وأنه لو شاء لجمع

---

(١) سورة الواقعة آية : ٦٥ .

(٢) سورة الواقعة آية ٧٠ .

(٣) سورة التوبة آية : ٢٨ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٣٣ .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٢٠ .

(٦) سورة الشورى آية : ١٣ .

(٧) ساقطة من ع، د، س .

(٨) سورة الأعراف آية : ١٥٥ .

(٩) في ع : الآية .

(١٠) في م : وأن .

(١١) في م : المقدر .

(١٢) في ع، د، س : ما عصى .

خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة .

فتضمن ذلك أن الوقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة الربوبية، (وهو)[١] معنى كونه رب العالمين، وكونه القيوم القائم بتدبيره عباده، فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا / إضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة إلا (من)[٢] بعد إذنه، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه، إذ لا مالك غيره، ولا مدبر سواه، ولا رب غيره، قال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[٣] وقال : ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾[٤] وقال : ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[٥] وقال : ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾[٦] وقال: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[٧] .

(وقد)[٨] تقدم (في)[٩] حديث حذيفة بن أسيد في صحيح مسلم في شأن الجنين: (**فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك**)[١٠] .

٤٧أ

---

(١) في ت : وهي .

(٢) ساقطة من ع، د، س .

(٣) سورة القصص آية : ٦٨ .

(٤) سورة الحج آية : ٥ .

(٥) سورة الانفطار آية : ٨ .

(٦) سورة الشورى آية : ٤٩-٥٠ .

(٧) سورة النور آية : ٣٥ .

(٨) ساقطة من ع، د، س .

(٩) في م : من .

(١٠) انظر : ص (٢٣٧) .

وفي (الصحيحين)[١] من حديث أبي موسى[٢] عن النبي ﷺ: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه (ما شاء)»[٣][٤].

وفي صحيح البخاري من حديث علي بن أبي طالب حين طرقه النبي ﷺ وفاطمة ليلاً، فقال: «ألا تصليان»؟ فقال علي: إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء

---

(١) في ع، د، س: صحيح البخاري. وهو خطأ. انظر تخريج الحديث.

(٢) سبقت ترجمته ص (١٧٥).

(٣) في ع، د، س: ما يشاء.

(٤) وأوله: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه السائل - وربما - قال: جاءه السائل، أو صاحب الحاجة، قال: «اشفعوا فلتؤجروا ..» إلخ. وهذا الحديث رواه البخاري في المواضع التالية:

- (٢/ ١١٨) ك الزكاة - باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها.
- (٧/ ٨٠) ك الأدب - باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً.
- (٧/ ٨٠) ك الأدب - باب قوله تعالى: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾.
- (٨/ ١٩٣) ك التوحيد - باب في المشيئة والإرادة.

- ورواه مسلم (٤/ ٢٠٢٦) ك البر والصلة والآداب - باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام. ولفظه: «وليقضي الله على لسان نبيه ما أحب». وأبو داود (١٤/ ٤٠-٤١) ك الأدب - باب في الشفاعة. والترمذي (٥/ ٤٠) ك العلم - باب ما جاء: الدال على الخير كفاعله. وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي (٥/ ٧٧-٧٨) ك الزكاة - باب الشفاعة في الصدقة. والإمام أحمد (٤/ ٤٠٠، ٤٠٩، ٤١٣). والحميدي في مسنده (٢/ ٣٤٠). وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: (٢/ ٢٨٤-٢٨٨). وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ٢٨٠). والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٦٣).

أن (يبعثها بعثها[١])[٢] .

وفي صحيحه أيضاً في قصة نومهم في الوادي عنه ﷺ : « إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها حين شاء »[٣] .

وفي حديث ابن مسعود الذي في المسند وغيره في قصة رجوعهم من

---

(١) في م ، ع، د، س : يبعثنا بعثنا . وقد سبقت الإشارة إلى هذا الاختلاف بين النسخ في ص (٢٢٨) .

(٢) سبق تخريجه في ص (٢٢٨) .

(٣) هذا الحديث من رواية أبي قتادة رضي الله عنه قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة، فقال بعض القوم : لو عرست بنا يا رسول الله. قال : « أخاف أن تناموا عن الصلاة » قال بلال: أنا أوقظكم . فاضطجعوا وأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال: يا بلال، أين ما قلت؟ قال: ما ألقيت علي نومة مثلها قط. قال: « إن الله قبض أرواحكم حين شاء ، وردها عليكم حين شاء. يا بلال قم فأذن بالناس بالصلاة ». فتوضأ، فلما ارتفعت الشمس وابياضت قام فصلى. والحديث رواه البخاري (١/ ١٤٧) ك. مواقيت الصلاة – باب الأذان بعد ذهاب الوقت. وفي (٨/ ١٩٢) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة. ورواه أبوداود (٢/ ١١٢-١١٣) ك الصلاة – باب من نام عن الصلاة أو نسيها. والنسائي (٢/ ١٠٦) ك الإمامة – باب الجماعة للفائت من الصلاة. والنسائي أيضاً في الكبرى ك. التفسير (٢/ ٢٣٣-٢٣٤) تفسير سورة الزمر. وفي ك الصلاة . كما في تحفة الأشراف للمزي (٩/ ٢٤٨). وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٦٦). والإمام أحمد (٥/ ٣٠٧) . والبيهقي في السنن (١/ ٤٠٣) و(٢/ ٢١٦) والبغوي في شرح السنة (٢/ ٣٠٧) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤/ ٤٤٨) . والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٤٠١) تحقيق محمد زهري النجار. ط الأولى ١٣٩٩هـ ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت .

الحديبية، ونومهم عن صلاة الصبح، فقال النبي ﷺ : « **إن الله لو شاء لم تناموا عنها، ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم، فهذا لمن نام أو نسي** »[١] .

وفي لفظ آخر : « **إن الله سبحانه لو شاء أيقظنا، ولكنه أراد أن تكون لمن بعدكم** »[٢] .

وفي مسند الإمام أحمد عن طفيل[٣] بن سخبرة - أخي عائشة لأمها - أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن (عزيراً)[٤] ابن الله . فقالت: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مر برهط من النصارى، فقال: من أنتم ؟ قالوا : نحن النصارى، قال: إنكم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وأنتم القوم، لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى / النبي ﷺ فأخبره، ٤٧ب (فقال)[٥]: « **(هل)[٦] أخبرت أحداً** »؟ قال: نعم . فلما صلوا خطبهم، فحمد

---

(١) انظر المسند للإمام أحمد (١/ ٣٨٦، ٣٩١، ٤٦٤) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. المسند بتحقيقه (٥/ ٢٦٥،٢٤٠) . ورواه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٢٠٢-٢٠٣) والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٥٥-١٥٦) .

(٢) رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص (١٨١) .

(٣) هو : الطفيل بن سخبرة، ويقال ابن عبد الله بن الحارث بن سخبرة: بفتح المهملة وسكون معجمة، ثم موحدة، أخو عائشة رضي الله عنها لأمها، أمها أم رومان. صحابي له حديث، روى له ابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ٣٧٨) انظر تهذيب التهذيب (٥/ ١٤) وأسد الغابة (٢/ ٤٥٩) .

(٤) في م : عزير . وهو خطأ .

(٥) ساقطة من ت .

(٦) ساقطة من ع، د ، س .

الله وأثنى عليه (ثم قال)[(١)] : «إن طفيلاً رأى رؤيا، فأخبر بها من أخبر منكم، وأنكم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم»[(٢)] – زاد البيهقي – « فلا تقولها، ولكن قولوا ما شاء الله وحده لا شريك له »[(٣)] .

وروى جعفر[(٤)] (بن)[(٥)] عون، عن الأجلح[(٦)] عن يزيد بن الأصم[(٧)] عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ (فكلمه)[(٨)] في بعض الأمر. فقال الرجل لرسول الله ﷺ : ما شاء الله وشئت. فقال رسول الله ﷺ : «أجعلتني

(١) في ع، د، س : فقال .

(٢) انظر المسند (٥/ ٧٢) . ورواه ابن ماجه (١/ ٦٨٥) ك الكفارات – باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت. والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٨٨-٣٨٩) .

(٣) انظر كتاب الأسماء والصفات ص (١٨١) . ودلائل النبوة (٧/ ٢٢) .

(٤) صدوق سبقت ترجمته في ص (١٨٥) .

(٥) في عن د، س : عن .

(٦) هو: يحيى بن عبد الله، أبو حجية الكندي الأجلح الكوفي الشيعي، روى عن الشعبي وجماعة ، وعنه شعبة ، وعلي بن مسهر، وطائفة . قال ابن عدي: هو عندي صدوق إلا أنه يعد في الشيعة، وهو مستقيم الحديث. وقال ابن معين: لا بأس به، وقال أبوحاتم : لا يحتج به ، ليس بقوي. ميزان الاعتدال (٤/ ٣٨٨) والكامل لابن عدي (١/ ٤١٩).

(٧) يزيد بن الأصم، واسمه عمرو بن عبيد بن معاوية البكائي، بفتح الموحدة والتشديد، أبو عوف ، كوفي نزل الرقة، وهو ابن أخت ميمونة أم المؤمنين، يقال : له رؤية، ولا يثبت، وهو ثقة، من الثالثة، مات سنة ثلاث ومائة، روى له البخاري في الأدب المفرد، ومسلم والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٦٢) وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٣١٣-٣١٤) .

(٨) في م ، ع، د، س : يكلمه . وبكل منهما روي الحديث .

لله عدلاً[١] بل ما شاء الله وحده»[٢] .

وروى (شعبة)[٣] عن منصور[٤] عن عبد الله بن يسار[٥] عن حذيفة عن النبي ﷺ قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان »[٦] .

---

(١) العِدْل والعَدْل – بالكسر والفتح – وهما بمعنى المثل والنظير. قيل: هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل : بالعكس. النهاية لابن الأثير (٣/ ١٩١) ومنال الطالب له – أيضاً ص (٢٦٩) تحقيق د. محمود الطناحي نشر جامعة أم القرى. وغريب الحديث للخطابي (١/ ١٩٥) تحقيق د. عبد الكريم العزباوي، نشر جامعة أم القرى سنة ١٤٠٢هـ .

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب الأدب المفرد (ص٢٧٤) . وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ١١٧-١١٨) ك الأدب – باب في الرجل يقول: ماشاء الله وشاء فلان. والنسائي في عمل اليوم والليلة ص(٥٤٥-٥٤٦) . والإمام أحمد (١/ ٢١٤-٣٤٧) وقال أحمد شاكر : وإسناده صحيح وقد وثق الأجلح. انظر المسند بتحقيقه (٣/ ٢٥٣) ، (٥/ ٨٥) . ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٩) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص(١٨٢) . وابن ماجة (١/ ٦٨٤) بمعناه في ك الكفارات – باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت. وابن عدي في الكامل (١/ ٤١٩) . في ترجمة الأجلح، وقال : وهو عندي مستقيم الحديث صدوق. وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٥٤٠).

(٣) في ع، د، س : سعيد . وما أثبته من م ، ت، وهو المطابق لما في المسند .

(٤) هو : منصور بن المعتمر، ثقة ثبت ، مضت ترجمته في ص (١٨٩) .

(٥) هو : عبد الله بن يسار الجهني ، الكوفي، ثقة ، من كبار الثالثة، روى له أبو داود والنسائي . تقريب التهذيب (١/ ٤٦٢) وانظر تهذيب التهذيب (٦/ ٨٤-٨٥) .

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ١١٧) . والإمام أحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨) وأبو داود (١٣/ ٣٢٦) ك الأدب. والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٥٤٤) .

قال الشافعي : في رواية الربيع [١] عنه : المشيئة إرادة الله. (قال الله)[٢] عز وجل : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾[٣] فأعلم الله خلقه أن المشيئة له: دون خلقه، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء (الله)[٤] فيقال لرسول الله ﷺ: ما شاء الله ثم شئت، ولا يقال : ما شاء الله وشئت .

قال: ويقال : من يطع الله ورسوله. فإن الله تعبد العباد بأن فرض عليهم طاعة رسوله، فإذا أطيع رسول الله ﷺ فقد أطيع الله بطاعة رسوله[٥] .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو: عن النبي ﷺ « قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء »، ثم قال رسول الله ﷺ : « يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك »[٦] .

---

(١) هو : الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي، أبو محمد المصري، المؤذن، صاحب الشافعي، ثقة، من الحادية عشرة، مات سنة مائتين وسبعين، وله ست وتسعون سنة. روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ٢٤٥) وانظر تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٥-٢٤٦) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من د .

(٣) سورة الإنسان آية : ٣٠ .

(٤) لفظ الجلالة لم يرد في نسخة ت .

(٥) رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص (١٨٢) .

(٦) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٥) ك القدر – باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء . ورواه النسائي في الكبرى ك النعوت كما في تحفة الأشراف (٦/ ٣٥١)، والإمام أحمد (٢/ ١٦٨، ١٧٣) . والآجري في الشريعة ص (٣١٦) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٤٧) وفي كتاب القدر ص (١٨٣) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٠٠) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ١٨٤) .

وفي حديث النواس بن سمعان[1] سمعت النبي ﷺ يقول : « **ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه**»، وكان رسول الله ﷺ يقول : « **اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، والميزان بيد الرحمن يرفع/ أقواماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة** »[2] . ١٤٨أ

وفي الصحيحين[3] من حديث عبد الله بن (عمر)[4] سمعت النبي ﷺ

---

(١) هو : النواس - بتشديد الواو ثم المهملة - ابن سمعان بن خالد الكلابي، أو الأنصاري، صحابي مشهور سكن الشام . روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٠٨) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٨٠-٤٨١) وأسد الغابة (٤/ ٥٩١) .

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى - ك النعوت كما في تحفة الأشراف (٩/ ٦١) . وابن ماجه في سننه (١/ ٧٢) المقدمة - باب فيما أنكرت الجهمية. والإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٨٢) . والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٥) و(٤/ ٣٢١) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجـاه ، ووافقه الذهبي ، ورواه - أيضاً - في (٢/ ٢٨٩) وقال : صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي . ورواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص (١٨٨) . وفي كتاب القدر ص ١٨٣ وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٢٢-٢٢٣) . وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص (١/ ١٨٩) . وابن منده في الرد على الجهمية (ص٨٧) وقال: إنه حديث ثابت رواه الأئمة المشاهير ممن لا يمكن الطعن على واحد منهم . ورواه الآجري في الشريعة ص ٣١٧ .

(٣) لم أعثر على هذا الحديث في صحيح مسلم، وذلك بعد البحث عنه في مظانه منه، وفي كتب تخريج الحديث وفهارسه .

(٤) في ع، د، س : عمرو ، وهو خطأ . والصواب ما أثبت .

وهو قائم على المنبر يقول : « **إنما بقاؤكم فيما** [1] **سلف من الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ..**» (فذكر)[2] الحديث[3] وقال في آخره : « **فذلك فضلي أوتيه من أشاء**»[4] .

---

(١) قوله: «**إنما بقاؤكم فيما سلف ..**» إلخ قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٣٩) : معناه: أن نسبة مدة هذه الأمة إلى مدة من تقدم من الأمم مثل ما بين صلاة العصر وغروب الشمس إلى بقية النهار، فكأنه قال: إنما بقاؤكم بالنسبة إلى ما سلف ...إلخ، وحاصله أن (في) بمعنى (إلى) وحذف المضاف وهو لفظ نسبه .

(٢) في ع، د، س ك وذكر .

(٣) وتمامه: «**... أعطي أهل التوراة التوارة، فعملوا بها حتى انتصف النهار، ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطي أهل الأنجيل الأنجيل، فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أُعطيتم القرآن، فعملتم به حتى غروب الشمس، فأعطيتم قيراطين قيراطين. قال أهل التوراة : ربنا هؤلاء أقل أعمالاً وأكثر أجراً. قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا لا. فقال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء**» .

(٤) انظر صحيح البخاري (٨/ ١٩١) ك التوحيد - باب في المشيئة والإرادة . و(٨/ ٢١١) ك التوحيد - باب قول الله تعالى : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ وقول النبي ﷺ : « **أعطي أهل التوراة التوراة فعملوا بها ...**» و(١/ ١٣٩) ك مواقيت الصلاة - باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب. و(٦/ ١٠٧) ك فضائل القرآن - باب فضل القرآن على سائر الكلام. و(٣/ ٤٩-٥٠) ك الإجارة - باب الإجارة إلى نصف النهار. و(٣/ ٥٠) ك الإجارة - باب الإجارة إلى صلاة العصر. و(٤/ ١٤٥) ك الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل .ورواه الترمذي (٥/ ١٤١) ك الأمثال- باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله. وقال : حديث حسن صحيح. والإمام أحمد (٢/ ٦، ١١١، ١٢٩) وابن حبان في صحيحه، كما الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(١٥/ ١٠) و(١٦/ ٢٠٥) والطيالسي في مسنده (ص٢٥٠). والبيهقي في =

وفي صحيح البخاري مرفوعاً : « **مثل الكافر كمثل الأَرْزَة**[١] **صَمّاء معتدلة، يقصمها الله إذا شاء** »[٢] .

السنن الكبرى (٦/ ١١٨) وفي كتاب الأسماء والصفات ١٨٨، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٣٤٣، ٤١٧). (١٠/ ٢٠٨-٢٠٩) .

(١) الأَرْزَة ـ بفتح أوله وسكون ثانيه بعدها زاي ـ : هي شجرة قوية عظيمة، وهي من أشجار الأحراج، من فصيلة الصنوبريات، يشتهر بصلابة خشبة وجودته، وهو على أنواع كثيرة، أشهرها أرز لبنان والأطلس وأرز جبال هملايا. انظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري ص (٧٧) . والنهاية لابن الأثير (١/ ٣٨) والمنجد في اللغة والأعلام ص (٨) في طبعته التاسعة والعشرين، نشر دار المشرق، بيروت .

(٢) انظر صحيح البخاري (٨/ ١٩١) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة. ورواه أيضاً في (٧/ ٣) ك المرضى – باب ما جاء في كفارة المرض . وفيه الفاجر بدل الكافر. وهذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه وأوله قال رسول الله ﷺ : « **مثل المؤمن كمثل خامة الزرع يفيء ورقه من حيث أتتها الريح تُكفئها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء، ومثل الكافر ...**» إلخ . ورواه أيضاً – مسلم (٤/ ٢١٦٣) ك صفات المنافقين وأحكامهم – باب مثل المؤمن كالزرع، ومثل الكافر كشجرة الأرز. والترمذي (٥/ ١٣٨-١٣٩) ك الأمثال – باب ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ. والإمام أحمد (٢/ ٢٣٤، ٢٨٣، ٢٨٤، ٥٢٣). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ١٧٨) . والبغوي في شرح السنة: (٥/ ٢٤٦-٢٤٧). ورواه البخاري – أيضاً – في (٧/ ٢) ك المرضى – باب ما جاء في كفارة المرض، من رواية عبد الله بن كعب عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «**مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تفيئها الريح مرة، وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة**». ومسلم (٤/ ٢١٦٣-٢١٦٤) ك صفات المنافقين وأحكامهم – باب مثل المؤمن كالزرع، ومثل الكافر كشجر الأرز. والبيهقي في الأسماء والصفات (١٨٩) . والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٨٢) .

قال (عبد الرزاق[١])[٢]: عن معمر[٣] عن همام[٤]: هذا ما حدثنا أبوهريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: لا يقل ابن آدم: يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر[٥] أرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما**»[٦].

---

(١) في م: عبد الله الرزاق وهو سهو من الناسخ.

(٢) هو: عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني، ثقة حافظ مصنف شهير، جامع المصنف وغيره، عمي بأخرة فتغير، وكان يتشيع، من التاسعة، مات سنة إحدى عشرة ومائتين، وله خمس وثمانون سنة. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٥٠٥) وتهذيب التهذيب (٦/ ٣١٠) وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣-٥٨٠).

(٣) هو: معمر بن راشد، الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً. وكذا فيما حدث به بالبصرة، من كبار السابعة، مات سنة أربع وخمسين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٦٦) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٤٣ -٢٤٦).

(٤) هو: همام بن منبه بن كامل الصنعاني، أبو عتبة، أخو وهب، ثقة، من الرابعة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة على الصحيح. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٢١) وتهذيب التهذيب (١١/ ٦٧).

(٥) معنى قوله: (أنا الدهر): أي: مالكه ومصرفه. غريب الحديث للخطابي (١/ ٤٩٠).

(٦) رواه عبد الرازق في تفسيره (٢/ ٢١٢-٢١٣) تفسير سورة الجاثية. ورواه أيضاً في مصنفه (١١/ ٤٣٦) من طريق آخر. ورواه الإمام أحمد (٢/ ٣١٨) في صحيفة همام ابن منبه. وابن جرير في تفسيره (٢٥/ ١٥٣). ومسلم ((٤/ ١٧٦٢) ك الألفاظ من الأدب وغيرها ـ باب النهي عن سب الدهر، من طريق معمر عن الزهري عن، سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة. والإمام مالك بنحوه في الموطأ ص (٦٠٩) ك الكلام – باب ما يكره من الكلام. والبخاري بنحوه في (٧/ ١١٥) ك الأدب – باب =

قال الشافعي : تأويله – والله أعلم – أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك، فيقولون: إنما يهلكنا الدهر، وهو الليل والنهار، ويقولون : أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فيجعلون الليل والنهار (اللذين)[1] يفعلان الأشياء، فيذمون الدهر بأنه الذي يفنيهم ويفعل بهم، فقال رسول الله ﷺ : **« لا تسبوا الدهر »** على أنه (الذي)[2] يفنيكم، والذي يفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء، فإنما تسبون الله تبارك وتعالى، فإنه فاعل هذه الأشياء[3] .

وفي حديث أنس يرفعه : **« اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات رحمة الله ؛ فإن لله عز وجل (نفحات)[4] من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم »**[5] .

= لا تسبوا الدهر. وفي (٦/ ٤١) ك التفسير – تفسير سورة الجاثية. والإمام أحمد (٢/ ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٧٥، ٣٩٤) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٣/ ٢٣-٢٤) .

(١) ساقطة من ع، د، س .

(٢) ساقطة من م ، ت .

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص (١٩٠-١٩١) .

(٤) في ع، د، س : سحائب .

(٥) رواه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٤٠٧-٤٠٨) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص(١٩١) . وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٢) . والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٢٣) . كلهم من طريق عيسى بن موسى بن إياس بن بكير عن صفوان بن سليم، عن أنس مرفوعاً. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٣١) وقال: رواه الطبراني وإسناده رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى بن إياس بن البكير =

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت، قال : كنا عند النبي ﷺ فقل : «**تبايعوني على أن لا تشركوا شيئاً ولا تزنوا، ولا تسرقوا، فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب في ذلك شيئاً فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله، فهو إلى الله: إن شاء / عذبه، وإن شاء غفر له**»[1] . ٤٨ب

= هو ثقة، وقال الألباني: هذا إسناد ضعيف، رجاله ثقات غير عيسى بن موسى، فقال ابن أبي حاتم سئل أبي عنه، فقال: ضعيف. وأما ابن حبان فذكره في الثقات. وهو عمدة الهيثمي في قوله . ثم إن في الحديث انقطاعاً بين صفوان وأنس. فقد قال أبو حاتم: لم يرَ صفوان أنساً، ولا تصح روايته عنه، وقال أبو داود: لم ير أحداً من الصحابة، إلا أبا أمامة وعبد الله بن بسر، لكن الحديث عندي حسن. ثم ذكر شواهده. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٥١٢) .

(١) انظر صحيح البخاري في المواضع التالية :

- (١/ ١٠) ك الإيمان – باب (١١) .(٦/ ٦١) ك التفسير – تفسير سورة الممتحنة.
- (٨/ ١٥) ك الحدود – باب الحدود كفارة .
- (٨/ ١٨) ك الحدود – باب توبة السارق .
- (٨/ ١٢٥) ك الأحكام – باب بيعة النساء .
- (٨/ ١٩١) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة .

وصحيح مسلم (٣/ ١٣٣٣) ك الحدود – باب الحدود كفارات لأهلها. ورواه الترمذي (٤/ ٣٦) ك الحدود – باب ما جاء في أن الحدود كفارة لأهلها. وقال: حديث حسن صحيح. ونقل عن الشافعي أنه قال: لم أسمع في هذا الباب أن الحدود تكون كفارة لأهلها شيئاً أحسن من هذا الحديث. ورواه النسائي (٧/ ١٤١-١٤٢) ك البيعة – باب البيعة على الجهاد. وفي (٧/ ١٤٨) ك البيعة – باب البيعة على فراق المشرك. وفي (٧/ ١٦١-١٦٢) ك البيعة – ثواب من وفَّى بما بايع عليه. وفي (٨/ ١٠٨-١٠٩) ك الإيمان وشرائعه – باب البيعة على الإسلام . وعزاه المزي في تحفة الأشراف =

وفيهما أيضاً (في)[1] حديث احتجاج الجنة والنار قول الله للجنة : « **أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، وللنار : أنت عذابي أعذب بك من أشاء** »[2] .

= (٤/ ٢٥٣) إلى النسائي في السنن الكبرى - كتاب الرجم. ورواه النسائي أيضاً في كتاب التفسير من سننه الكبرى(٢/ ٤١٩-٤٢٠) تفسير سورة الممتحنة. ورواه الدارمي في سننه (٢/ ١٣٩) ك السير - باب في بيعة النبي ﷺ . ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص٢٠١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٣٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن مردويه وابن المنذر .

(١) في د، س : من .

(٢) هذ الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه. وأخرجه : البخاري (٦/ ٤٤٨) ك التفسير - تفسير سورة ق. وفي (٨/ ١٨٦-١٨٧) ك التوحيد - باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ . ومسلم (٤/ ٢١٨٦-٢١٨٧) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء. والنسائي في سننه الكبرى - ك التفسير (٢/ ٣٢٨) تفسير سورة ق . والإمام أحمد (٢/ ٣١٤، ٤٥٠، ٥٠٧) وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٦/ ١٧٠) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢٠١) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٠٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه. وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عند البخاري (٧/ ٢٢٤-٢٢٥) ك الإيمان والنذور - باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته. ومسلم (٤/ ٢١٨٧-٢١٨٨) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء. والترمذي (٥/ ٣٦٤) ك التفسير - تفسير سورة ق . وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. والإمام أحمد (٣/ ٢٣٤) ، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٦/ ١٧١) ، وأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني في كتاب البعث ص (٥٣) تحقيق محمد السعيد زغلول، ط الأولى ١٤٠٧هـ ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. وذكره السيوطي في الدر المنثور =

(وفيهما)[١] أيضاً من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : **« لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، وارحمني إن شئت، وارزقني إن شئت، ليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له »**[٢] .

وفي صحيح مسلم عنه يرفعه : **« المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن**

= (٧/ ٦٠٢) وزاد نسبته إلى ابن مردويه. وفي الباب - أيضاً - عن أبي سعيد الخدري، عند مسلم (٤/ ٢١٨٧) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء . والإمام أحمد (٣/ ١٣، ٧٨) .

(١) في ع، د، س : وفيه .

(٢) رواه البخاري (٧/ ١٥٣) ك الدعوات - باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له. وفي (٨/ ١٩٣) ك التوحيد - باب في المشيئة والإرادة. ورواه مسلم (٤/ ٢٠٦٣) ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب العزم بالدعاء، ولا يقل إن شئت. وأبو داود (٤/ ٣٥٦) أبواب الوتر - باب الدعاء. والترمذي (٥/ ٤٩١) ك الدعوات - باب العزم في المسألة. وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي في عمل اليوم والليلة ص(٣٨٧-٣٨٨) باب النهي أن يقول الرجل: اللهم ارحمني إن شئت، وباب النهي أن يقول الرجل: اللهم اغفر لي إن شئت. وابن ماجه (٢/ ١٢٦٧) ك الدعاء - باب لا يقول الرجل: اللهم اغفر لي إن شئت. والإمام مالك في الموطأ ص (١٤٩) ك القرآن - باب ما جاء في الدعاء. وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٣، ٣١٨، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٨٦، ٥٠٠) وعبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٤٤١) . وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣٨١) والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٩٢-١٩٤) . وفي الباب عن أنس عند البخاري (٧/ ١٥٣) ك الدعوات - باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له. وعند مسلم (٤/ ٢٠٦٣) ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت. وعند النسائي في عمل اليوم الليلة ص(٣٨٨) باب النهي أن يقول الرجل: اللهم اغفر لي إن شئت .

الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[١] .

في حديث أبي ذر : «يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته». الحديث، وفي آخره: « ذلك بأني جواد (ماجد)[٢] أفعل ما أشاء، عطائي كلام، فإذا أردت شيئاً، فإنما أقول له: كن، فيكون »[٣] .

وفي حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ : «ما أنعم الله على عبد من نعمة:

---

(١) سبق تخريجه في ص (٢٣٠) .

(٢) ساقطة من ع، د، س .

(٣) هذا طرف من حديث قدسي طويل، رواه أبو ذر عن النبي ﷺ ، فيما رواه عن ربه تبارك وتعالى، وأوله: « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ...» الحديث . أخرجه مسلم في (٤/ ١٩٩٤-١٩٩٥) ك البر والصلة والآداب – باب تحريم الظلم. والبخاري في الأدب المفرد ص(١٧٢) باب الظلم ظلمات ، والترمذي (٤/ ٥٦٦-٥٦٧) ك صفة القيامة والرقائق والورع، وقال : هذا حديث حسن. وابن ماجه (٢/ ١٤٢٢) ك الزهد – باب ذكر التوبة. والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤١) وقال الذهبي: هو في مسلم. وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٨٢) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢٧٦). وفي كتاب القدر ص (٢٢٢-٢٢٣) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٣٨٥-٣٨٦) . وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٢٥-١٢٦) . والنووي في آخر كتاب الأذكار ص (٣٥٥-٣٥٦) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر دار الملاح، دمشق، وقال : رجال إسناده مني إلى أبي ذر رضي الله عنه كلهم دمشقيون، ودخل أبو ذر رضي الله عنه دمشق، فاجتمع في هذا الحديث جمل من الفوائد؛ منها: صحة إسناده ومتنه، وعلوه، وتسلسله بالدمشقيين رضي الله عنهم وبارك فيهم .

أهل وولد، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيه (آفة)[١] دون الموت»[٢] .

وهذا الحديث الصحيح مشتق من قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[٣].

وفي حديث الشفاعة : « **فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني** »[٤] .

---

(١) في د، س : آية . وهو خطأ. والصواب ما أثبت .

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص(٢٠٧) . وفي شعب الإيمان (٤/ ٨٩-٩٠، ١٢٤) من طريق عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس مرفوعاً. وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٨٤) ونقل عن الحافظ أبي الفتح الأزدي قوله: عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس لا يصح حديثه . وانظر ميزان الاعتدال (٣/ ٣١٩) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٩٢) وزاد نسبته إلى ابن مردويه. وذكره أيضاً في الجامع الصغير، وقال الألباني : ضعيف . انظر ضعيف الجامع الصغير (٥/ ٨٦) .

(٣) سورة الكهف آية : ٣٩ .

(٤) هذا طرف من حديث الشفاعة الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وأخرجه البخاري في المواضع التالية :

- (٥/ ١٤٦-١٤٧) ك التفسير – تفسير سورة البقرة – باب قول الله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾.
- (٧/ ٢٠٣) ك الرقاق – باب صفة الجنة والنار .
- (٨/ ١٧٢) ك التوحيد – باب قول الله تعالى : ﴿لما خلقت بيدي﴾ .
- (٨/ ١٨٣) ك التوحيد – باب قول الله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ تعليقاً .
- (٨/ ١٨٧) ك التوحيد – باب قول الله تعالى:﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ وذكره مختصراً جداً .

=

وفي حديث آخر أهل الجنة دخولاً إليها: **«فيسكت ما شاء الله أن يسكت»** وفيه قوله سبحانه : **«لا أهزأ بك ولكني على ما أشاء قدير»**[(١)] . والحديثان في

= - (٨/ ٢٠٣) ك التوحيد - باب قول الله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ مختصراً.

- ومسلم (١/ ١٨٠-١٨٤) ك الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها. والنسائي في الكبرى ك التفسير (١/ ١٦١) تفسير سورة البقرة - باب قول الله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾، والإمام أحمد (٣/ ١١٦، ٢٤٤). وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٧١٠-٧٢٢). وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٧٣-٣٧٩). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٧٧-٣٧٩). واللالكائي في شرح السنة (٣/ ٤٧٧-٤٧٨) وعبد بن حميد في المنتخب (٣/ ٩٣-٩٤) تحقيق مصطفى شلباية، ط الأولى ١٤٠٨هـ، نشر مكتبة ابن حجر بمكة المكرمة، والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢٥٠-٢٥١) وفي الاعتقاد ص (٨٩، ١٩٢-١٩٤). والبغوي في شرح السنة (١٥/ ١٥٧-١٦٢) . وقد روى حديث الشفاعة عدد من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأشار الحافظ ابن حجر في فتح لباري (١١/ ٤٣٢) إلى ذلك، وذكر من خرجها، وقال: وعند كل واحد منهم ما ليس عند الآخر .

(١) هذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ، وأوله : أن أناساً قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ **« هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟»** قالوا: لا يا رسول الله ... الحديث. أخرجه البخاري في المواضع التالية :

- (١/ ١٩٥-١٩٦) ك الأذان - باب فضل السجود .

- (٨/ ١٧٩-١٨١) ك التوحيد - باب قوله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ .

- (٧/ ٢٠٥-٢٠٦) ك الرقاق - باب الصراط جسر جهنم . =

الصحيحين .

وفيهما من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: **« لكل نبي دعوة، فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة »**[1] .

= ومسلم (١/ ١٦٣-١٦٧) ك الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية. والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٧٥-٢٧٦، ٢٩٣، ٥٣٣-٥٣٤) . وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٦-٢٠٨، ٢٤٤-٢٤٥) . وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٤٠٧-٤٠٩) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢٠٧-٢٠٨) . وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٢٤١-٢٤٣) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٦/ ٤٥٠-٤٥٢) . وفي الباب عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند البخاري (٧/ ٢٠٤) ك الرقاق - باب صفة الجنة والنار. وعند مسلم (١/ ١٧٣-١٧٥) ك الإيمان - باب آخر أهل النار خروجاً . والترمذي (٤/ ٦١٤) ك صفة جهنم - باب آخر أهل النار خروجاً. وان ماجه (٢/ ١٤٥٢-١٤٥٣) ك الزهد باب - صفة الجنة. والإمام أحمد (١/ ٣٩١-٣٩٢، ٤١٠-٤١١) . وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٤٥) . وأبي يعلى الفراء في كتاب إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/ ٢١٥) تحقيق محمد النجدي، ط الأولى ١٤١٠هـ نشر مكتبة الإمام الذهبي بالكويت، عن أبي ذر رضي الله عنه عند الترمذي (٤/ ٦١٤) ك صفة جهنم - باب آخر أهل النار خروجاً .

(١) انظر صحيح البخاري (٨/ ١٩٢-١٩٣) ك التوحيد - باب في المشيئة والإرادة. وفي (٧/ ١٤٥) ك الدعوات - باب لكل نبي دعوة مستجابة. وصحيح مسلم (١/ ١٨٨-١٩٠) ك الإيمان - باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته. ورواه الترمذي في (٥/ ٥٤١-٥٤٢) ك الدعوات، باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله. وقال : حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٤٤٠) ك الزهد - باب ذكر الشفاعة . والإمام مالك في الموطأ (ص١٤٩) ك القرآن - باب ما جاء في الدعاء. والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٧٥، ٣٨١، ٣٩٦، ٤٢٦). والدارمي في مسنده (٢/ ٢٣٥) ك الرقاق -باب إن =

وقال : « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد »[١] .

= لكل نبي دعوة. وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤/ ٣٧٤) وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٦٢٢-٦٢٦) . والبغوي في شرح السنة (٥/ ٥-٦) . وأبو يعلى في مسنده (٦/ ١٣) و(٥/ ٢٢٩) والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢١٣) وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٧١) . والآجري في الشريعة ص(٣٤٢) . والطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٤٣٣). والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٣٣-١٣٤) . وفي الباب عن جابر بن عبد الله عند مسلم في (١/ ١٩٠) ك لإيمان – باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمتـه. والإمام أحمد (٣/ ٣٨٤، ٣٩٦). وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٦٣٠) . وعن أنس بن مالك عند البخاري في (٨/ ١٤٥) ك الدعوات – باب لكل نبي دعوة مستجابة – معلقاً بصيغة الجزم. ومسلم (١/ ١٩٠) ك الإيمان – باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته. وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٦٢٧). والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٣٢-١٣٤). والبغوي في شرح السنة (٥/ ٧) .

(١) هذا الحديث رواه جابر عن أم مبشر – امرأة زيد بن حارثة – رضي الله عنهم أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة ... الحديث، وأخرجه : مسلم(٤/ ١٩٤٢) ك فضائل الصحابة – باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم . والنسائي في الكبرى – ك التفسير (٢/ ٣٦) تفسير سورة مريم، باب قوله تعالى : ﴿ونذر الظالمين فيها جثياً﴾. وابن ماجه (٢/ ١٤٣١) ك الزهد – باب ذكر البعث. والإمام أحمد (٦/ ٢٨٥، ٣٦٢، ٤٢٠) وابن جرير في تفسيره (١٦/ ١١٢) . والطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٢٠٧، ٢٠٨) و(٢٥/ ١٠٢) وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١١/ ١٢٥) . والبغوي في تفسيره (٣/ ٢٠٧) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٤). ورواه جابر أيضاً =

وقال : « **إني لأطمع أن يكون حوضي إن شاء الله أوسع ما بين أيلة**[١] **إلى كذا** »[٢] .

وقال في المدينة : « **لا يدخلها الطاعون ولا الدجال إن شاء الله** »[٣] .

= عن رسول الله ﷺ . وأخرجه : أبو داود (١٢/ ٤٠٤) ك السنة – باب في الخلفاء . والترمذي (٥/ ٦٥٢) ك المناقب – باب في فضل من بايع تحت الشجرة، وقال : هذا حديث حسن صحيح. والإمام أحمد (٣/ ٣٥٠) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١١/ ١٢٧) . وأربعتهم دون قوله : (إن شاء الله) .

(١) أيلة : هي مدينة بطرف بحر القلزم (البحر الأحمر) من طرف الشام، وإليها تنسب العقبة المشهورة عند المصريين . انظر فتح الباري (١١/ ٤٧٠) ومعجم البلدان (١/ ٢٩٢) .

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٤) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وقد روى عدد من الصحابة رضوان الله عليهم أحاديث كثيرة صحيحة في إثبات حوض نبينا محمد ﷺ وبيان صفته أخرجها البخاري في (٧/ ٢٠٦-٢٠٩) ك الرقاق – باب في الحوض. ومسلم (٤/ ١٧٩٢-١٨٠٢) ك. الفضائل ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ. وأخرجها أيضاً غيرهما من المحدثين. انظر فتح الباري (١١/ ٤٦٧-٤٧٦) .

(٣) هذا الحديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « **المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها ...** » الحديث، وأخرجه البخاري (٨/ ١٠٣) ك الفتن – باب لا يدخل الدجال المدينة. وفي (٨/ ١٩٢) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة. والترمذي (٤/ ٤٤٦) ك الفتن – باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة. وقال : هذا حديث صحيح، وفي الباب عن أبي هريرة، وفاطمة بنت قيس، وأسامة ابن زيد، وسمرة بن جندب، ومحجن . ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٢٣، ٢٠٢، ٢٧٧، ٣٩٣) وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/ ٢١٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢١٤-٢١٥) . وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٣٩٠) .

وقال في زيارة المقابر: « **إنا إن شاء الله بكم لاحقون** »[1] .

---

(١) هذه العبارة طرف من حديث رواه أبو هريرة، وحديث روته عائشة، وحديث رواه بريدة رضي الله عنهم.

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، فأوله: أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين. إنا إن شاء الله بكم لاحقون ...**» الحديث. أخرجه: مسلم (١/ ٢١٨) ك الطهارة – باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء. وأبو داود (٩/ ٦٢) ك الجنائز – باب ما يقول إذا زار القبور أو مر بها. والنسائي (١/ ٩٣-٩٥) ك الطهارة – باب حلية الوضوء. وابن ماجه (٢/ ١٤٣٩-١٤٤٠) ك الزهد ـ باب ذكر الحوض. والإمام مالك في الموطأ ص (٤٤) ك الطهارة – باب جامع الوضوء. والإمام أحمد (٢/ ٣٠٠، ٣٧٥، ٤٠٨) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ٤٤٣-٤٤٤). وابن السني في عمل اليوم والليلة ص(٥٩٣) تحقيق عبد الرحمن كوثر البرني، نشر دار القبلة بجدة. والبيهقي في سننه (٤/ ٧٨) .

وأما حديث عائشة رضي الله عنها، فنصه: كان رسول الله ﷺ - كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ - يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غداً. مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكلم لاحقون. اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد** » . وأخرجه: مسلم (٢/ ٦٦٩-٦٧١) ك الجنائز – باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. والنسائي (٤/ ٩١-٩٤) ك الجنائز – باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين ، وفي كتاب عمل اليوم والليلة ص(٥٨٨) . والإمام أحمد (٦/ ٧١، ١١١، ٢٢١) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ٤٤٤-٤٤٥) . وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٥٧١-٥٧٢) . والبيهقي في سننه (٤/ ٧٩) .

وأما حديث بريدة رضي الله عنه ، فنصه: قال كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول: «**السلام عليكم أهل الديار، من المؤمنين والمسلمين. وإنا إن** =

وقال لما حاصر (أهل)[1] الطائف: «إنا قافلون غداً إن شاء الله»[2].

وقال لما قَدِم مكة: «منزلنا غدًا إن شاء الله بخيف[3] بني كنانة»[4].

= شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية». أخرجه: مسلم (٢/ ٦٧١) ك الجنائز - باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. والنسائي (٤/ ٩٤) ك الجنائز - باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر. والإمام أحمد (٥/ ٣٥٣، ٣٥٩-٣٦٠). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ٤٤٥-٤٤٦). والبغوي في شرح السنة (٥/ ٤٦٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٤٠) والبيهقي في سننه (٤/ ٧٩) وفي الأسماء والصفات ص (٢١٤).

(١) إضافة من ت.

(٢) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري (٥/ ١٠٢) ك المغازي - باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان. وفي (٧/ ٩٣) ك الأدب - باب التبسم والضحك. وفي (٨/ ١٩٤) ك التوحيد - باب في المشيئة والإرادة. ومسلم (٣/ ١٤٠٢-١٤٠٣) ك الجهاد والسير - باب غزوة الطائف. والإمام أحمد (٢/ ١١). وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣١٠) وابن أبي شية في مصنفه (١٤/ ٥٠٧). والبيهقي في سننه (٩/ ٤٣)، وفي الأسماء والصفات ص (٢١٥)، وفي دلائل النبوة (٥/ ١٦٥، ١٦٧) وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١١/ ١٠١) وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ١٥٠).

(٣) خيف بني كنانة: هو الوادي المعروف بالمحصب، وهو بطحاء مكة، وقيل: مبتدأ الأبطح. هدي الساري مقدمة فتح الباري ص(١١٥). ومعجم البلدان (٢/ ٤١٢).

(٤) هذا طرف من حديث رواه أبو هريرة. وأخرجه: البخاري في (٢/ ١٥٨) ك الحج - باب نزول النبي ﷺ مكة، وفي (٨/ ١٩٤) ك التوحيد - باب في المشيئة والإرادة. والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٥). وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٢٣٢). وابن مردويه في أماليه ص (١٦٢) تحقيق د.محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط الأولى ١٤١٠هـ، نشر دار علوم الحديث بدولة الإمارات العربية المتحدة.

وقال (في)[(١)] يوم بدر: «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، وهذا مصرع (فلان)[(٢)] إن شاء الله»[(٣)].

وقال في بعض أسفاره: «إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم (ثم)[(٤)] تأتون الماء غداً إن شاء الله»[(٥)].

وقال للأعرابي الذي عاده من الحمى: «لا بأس طهور إن شاء الله»[(٦)].

---

(١) ساقطة من م، ع، د، س.

(٢) في د، س: فلان غداً.

(٣) هذا طرف من حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة، فتراءينا الهلال، وكنت رجلاً حديد البصر فرأيته، وليس أحد يزعم أنه رآه غيري، قال فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل يراه. قال يقول عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله» قال فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حدَّ رسول الله ﷺ... الحديث. وأخرجه: مسلم (٤/ ٢٢٠٢-٢٢٠٣) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه. والنسائي (٤/ ١٠٩) ك الجنائز - باب أرواح المؤمنين. والإمام أحمد (١/ ٢٦-٢٧). وأبو يعلى في مسنده (١/ ١٣٠) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٦) وفي دلائل النبوة (٣/ ٤٨).

(٤) في ع، د، س: ثم إنكم.

(٥) هذا الحديث من رواية أبي قتادة رضي الله عنه وهذا أوله، ومما ورد فيه قصة نومهم عن صلاة الفجر. وقد سبق تخريجه في ص (٢٢٩، و٤٠٩).

(٦) هذا الحديث رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ دخل على أعرابي يعوده، فقال: «لا بأس عليك ...» الحديث. وأخرجه البخاري في (٤/ ١٨١) ك المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام. وفي (٧/ ٥-٦) ك المرضى =

وأخبر عن سليمان بن داود أنه قال : « **لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك، قل إن شاء الله، فلم يقل، فطاف عليهن (جميعاً)**[1] **فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وأيم الذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون** »[2] .

وقال : « **من حلف، فقال: إن شاء الله، فإن شاء مضى ، وإن شاء رجع غير**

= والطب – باب عيادة الأعراب. وفي (٧/ ٧) ك المرضى والطب – باب ما يقال للمريض وما يجيب . وفي (٨/ ١٩٢) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة . وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب الأدب المفرد ص (١٨١) باب عيادة الأعراب. وفي ص (١٨٦) باب ما يقول للمريض. والنسائي في الكبرى ك الطب كما في تحفة الأشراف (٥/ ١٢٧) وفي كتاب عمل اليوم والليلة (ص٥٦٧) . وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ٢٢٥-٢٢٦) . والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨٢-٣٨٣) ك الجنائز – باب قول العائد للمريض : كيف تجدك . وفي الأسماء والصفات ص (٢١٧) والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٢٣) . والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٤٢) .

(١) ساقطة من م .

(٢) هذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه : البخاري في المواضع التالية :

- (٣/ ٢٠٨) ك الجهاد والسير – باب من طلب الولد للجهاد .
- (٤/ ١٣٥) ك أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾.
- (٦/ ١٦٠) ك النكاح – باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائه .
- (٧/ ٢٢٠) ك الإيمان والنذور – باب كيف كانت يمين النبي ﷺ .
- (٧/ ٢٣٨) ك كفارات الأيمان – باب الاستثناء في الأيمان .
- (٨/ ١٩١) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة . =

حنث[(١)] »[(٢)] .

وقال : « لأغزون قريشاً » ، ثم قال في الثالثة : « إن شاء الله »[(٣)] .

= ومسلم (٣/ ١٢٧٥-١٢٧٦) ك الإيمان - باب الاستثناء . والنسائي (٧/ ٣١) ك الإيمان - باب الاستثناء. ورواه أيضاً في الكبرى ك التفسير (٢/ ٣) تفسير سورة الكهف، والإمام أحمد (٢/ ٢٧٥) . والبغوي في شرح السنة (١/ ١٤٧) . والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٤٤) ك الإيمان - باب من قال : وايم الله. وفي الأسماء والصفات ص(٢١٧) .

(١) الحنث في اليمين نقضها، والنكث فيها. ويقال : حنث في يمينه يحنث ، وكأنه من الحنث: الإثم والمعصية. النهاية لابن الأثير (١/ ٤٤٩) .

(٢) هذا الحديث من رواية أيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً . وأخرجه أبو داود (٩/ ٨٨) ك الأيمان والنذور - باب الاستثناء في اليمين. والترمذي: (٤/ ٩١) ك النذور والأيمان - باب ما جاء في الاستثناء في اليمين. وقال: حديث حسن. وقد روي موقوفاً، ولا نعلم أحداً رفعه غير أيوب السختياني، وقال إسماعيل بن إبراهيم: وكان أيوب أحياناً يرفعه وأحياناً لا يرفعه. والنسائي : (٧/ ١٢) ك الأيمان والنذور - باب من حلف فاستثنى . وابن ماجه : (١/ ٦٨٠) ك الكفارات - باب الاستثناء في اليمين. والإمام أحمد في مسنده، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح. انظر المسند بتحقيقه (٦/ ٢٣٦-٢٣٧) . والدارمي في سننه : (٢/ ١٠٦) ك النذور والأيمان - باب في الاستثناء في اليمين. والبيهقي في سننه : (١٠/ ٤٦) . وفي الأسماء والصفات ص (٢١٨) . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٠/ ١٨٤) .

(٣) هذا الحديث من رواية ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ. وأخرجه : أبو داود (٩/ ١٦٧) ك الأيمان والنذور - باب الاستثناء في اليمين بعد السكوت. وقال: وقد أسند هذا الحديث غير واحد عن شريك، عن سماك ، عن عكرمة، عن ابن =

وقال : « **ألا مشمر**[1] **للجنة** » (فقال)[2] الصحابة : نحن المشمرون لها يا رسول الله . فقال : « **قولوا: إن شاء الله** »[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[4] . قال الحسن : إذا نسيت أن

عباس أسنده عن النبي ﷺ . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٠/ ١٨٥) . والطبراني في الأوسط (٢/ ٩) وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٧٨) ، والبيهقي في سننه (١٠/ ٤٧-٤٨) ، وفي الأسماء والصفات ص(٢١٨-٢١٩) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد : (٤/ ١٨٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى أيضاً. ورواه عبدالرزاق في مصنفه (٨/ ٥١٨) ك الأيمان والنذور – باب الاستثناء في اليمين ، مرسلاً .

(١) التشمير : الجد والاجتهاد . انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ٥٠٠) .

(٢) في د، س : فقالت .

(٣) هذا الحديث رواه الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى عن كريب مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وأخرجه : ابن ماجه (٢/ ١٤٤٨) ك الزهد – باب صفة الجنة . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٦/ ٣٨٩) . والبغوي في شرح السنة (١٥/ ٢٢٣) والطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٢٦). وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١١٠٥-١١٠٦). والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٩) . وأبو بكر عبد الله بن أبي داود في كتاب البعث ص (٦٠-٦١) تحقيق محمد السعيد بن بسيوني ط الأولى سنة ١٤٠٧هـ نشر دار الكتب العليمة – بيروت. وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٩١) وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، والبزار ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وذكره السيوطي – أيضاً – في الجامع الصغير ، وقال الشيخ الألباني: ضعيف . انظر ضعيف الجامع الصغير (٢/ ٢٥١) .

(٤) سورة الكهف آية : ٢٤ .

تقول إن شاء الله [١] .

وهذا هو الاستثناء (الذي)[٢] كان يجوزه ابن عباس متراخياً، ويتأول عليه الآية، لا الاستثناء في الإقرار واليمين والطلاق والعتاق. وهذا من كمال علم ابن عباس وفقهه في القرآن .

وقد أجمع المسلمون على أن الحالف إذا استثنى في يمينه متصلاً بها، فقال: لأفعلن كذا، أو لا أفعله إن شاء الله، أنه لا يحنث إذا خالف ما حلف عليه؛ لأن من أصل أهل الإسلام أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله، فإذا علق الحالف الفعل أو الترك بالمشيئة، لم يحنث عند عدم المشيئة، ولا تجب عليه الكفارة. ولو ذهبنا نذكر كل حديث أو أثر فيه لفظ المشيئة وتعليق فعل الرب تعالى بها، لطال الكتاب جداً .

وأما الإرادة، فورودها في نصوص القرآن والسنة معلوم أيضاً؛ كقوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[٣] وقال : ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾[٤] وقال : ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾[٥] ، وقال : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[٦]، وقال : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ / ٤٩ب

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٩) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٧٨) ولم ينسبه إلى أحد غير البيهقي .

(٢) في ت : في الذي .

(٣) سورة هود آية : ١٠٧ وسورة البروج آية : ١٦ .

(٤) سورة الكهف آية : ٨٢ .

(٥) سورة الإسراء آية : ١٦ .

(٦) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١] وقال : ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[٢]، وقول نوح : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣] ، وقوله : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[٤]، وقوله : ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ﴾[٥]، وقوله : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾[٦] .

وأخبر أنه إذا لم يرد تطهير قلوب عباده لم يكن لهم سبيل إلى تطهيرها، فقال : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٧]، وقال : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾[٨] ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[٩] ، وقال :﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾[١٠] ، وقوله : ﴿فَمَن يَمْلِكُ

---

(١) سورة يس آية : ٨٢ .

(٢) سورة المائدة آية : ٤١ .

(٣) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة هود آية : ٣٤ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .

(٥) سورة الرعد آية : ١١ .

(٦) سورة النساء آية : ٢٧-٢٨ .

(٧) سورة المائدة آية : ٤١ .

(٨) سورة الحج آية : ١٦ .

(٩) سورة المائدة آية : (١) .

(١٠) سورة المائدة آية : (٦) .

مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(1) ، **وقوله** : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾(2) ، **وقوله** :﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾(3) ، **وقول صاحب يس**: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾(4)، **وقوله** : ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾(5)، **وقوله** : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾(6)، **وقوله** : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾(7) .

والنصوص النبوية في إثبات إرادة الله سبحانه أكثر من أن تحصر، كقولـه: « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »(8) .

---

(١) سورة المائدة آية : (١٧) .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٣) سورة الأحزاب آية : ١٧ .

(٤) سورة يس آية : ٢٣ .

(٥) سورة الزمر آية : ٣٨ .

(٦) سورة آل عمران آية : ١٧٦ .

(٧) سورة الإسراء آية : ١٨ .

(٨) أخرجه البخاري من رواية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في المواضع التالية :

- (١/ ٢٥-٢٦) ك العلم – باب من يرد الله به خيراً يفقهه .

- (٤/ ٤٩) ك فرض الخمس – باب قول الله تعالى:﴿فإن لله خمسه وللرسول﴾ .

- (٨/ ١٤٩) ك الاعتصام بالكتاب والسنة – باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من =

« من يرد الله به خيراً يصب[1] منه »[2] .

= أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » .

ومسلم (٢/ ٧١٨-٧١٩) ك الزكاة - باب النهي عن المسألة . وفي (٣/ ١٥٢٤) ك الإمارة - باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » . والترمذي (٥/ ٢٨) ك العلم - باب إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين. وابن ماجة (١/ ٨٠) المقدمة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. والإمام مالك في الموطأ ص (٥٦١-٥٦٢) ك القدر - باب جامع ما جاء في أهل القدر. والإمام أحمد (٤/ ٩٢-١٠١) . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١/ ٢٩١) والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٢٥) . والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٨٤) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص ١٩٤. وفي الباب عن ابن عباس عند أحمد (١/ ٣٠٦) والترمذي (٥/ ٢٨) ك العلم - باب إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين. والدارمي (٢/ ٢٠٨) ك الرقاق باب من يرد الله به خيراً فقهه في دينه. والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٨٥) . وعن أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٢٣٤) وابن ماجه (١/ ٨٠) المقدمة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٨) ط الأولى، نشر دار الكتب العلمية. بيروت سنة ١٤٠٣هـ . والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٢٨٠) نشر دائرة المعارف النظامية بالهند ١٣٣٣هـ . والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٢٤) وأبي يعلى في مسنده (١٠/ ٢٣٨) .

(١) معنى يصب منه، أي: يبتليه بالمصائب ليثبته عليها. انظر النهاية لابن الأثير (٣/ ٥٧)

(٢) هذا الحديث من رواية أبي هريرة وأخرجه البخاري (٧/ ٣) ك المرضى - باب ما جاء في كفارة المرضى. والنسائي في الكبرى ك الطب . كما في تحفة الأشراف (١٠/ ٧٧) . والإمام مالك في الموطأ ص (٥٨٥) ك العين - باب ما جاء في أجر المريض. والإمام أحمد (٢/ ٢٣٧) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب =

« إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق »[(١)] .

«إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها، وإذا أراد الله هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأقر عينه (بهلكتها)[(٢)(٣)] **»** / . ١٥٠أ

= صحيح ابن حبان (٧/ ١٦٨) . والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٢٤) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٩٤-١٩٥) .

(١) هذا الحديث من رواية عائشة رضي الله عنها، وأخرجه : أبو داود (٨/ ١٥٠-١٥١) ك الخراج والفيء والإمارة – باب في اتخاذ الوزير . والنسائي (٧/ ١٥٩) ك البيعة – باب وزير الإمام . والإمام أحمد (٦/ ٧٠) وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٠/ ٣٤٥-٣٤٦) . والبيهقي في سننه (١٠/ ١١١-١١٢) وفي الأسماء والصفات ص (١٩٥) . وابن عدي في الكامل (٣/ ١٠٧٦) وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٥٤)، وقال الألباني : صحيح . انظر صحيح الجامع الصغير (١/ ١٤٢) .

(٢) في ت ، ع ، د، س : بهلكها .

(٣) هذا جزء من حديث رواه أبو موسى عن النبي ﷺ وأخرجه مسلم (٤/ ١٧٩١-١٧٩٢) كتاب الفضائل – باب إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها . فقال: وحدثت عن أبي أسامة. وممن روى ذلك عنه إبراهيم بن سعيد الجوهري. حدثنا أبوأسامة، حدثني بريد بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: **« إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطاً وسلفاً وبين يديها، وإذا أراد هلكة أمة، عذبها ونبيها حي، فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره»** . وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: قال أبو عوانة في (مستخرجه) : روى مسلم عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، عن أسامة ... فذكره. ولم أقف في شيء من نسخ مسلم على ما قال، بل جزم بعضهم بأنه ما سمعه من إبراهيم بن سعيد، بل إنما سمعه من محمد بن المسيب، وقد وقع لنا بعلو من طريق=

« إذا أراد الله بعبد خيراً عجَّل له العقوبة في الدنيا »[(١)] .

« إذا أراد الله بعبد شراً أمسك عنه (بذنبه)[(٢)] حتى يُوافى (به)[(٣)] يوم القيامة كأنه عير[(٤)] »[(٥)] .

= محمد بن المسيب الأرغياني، وأخرجه البزار في (مسنده) عن إبراهيم بن سعيد. وأخرجه أبو نعيم في (المستخرج) من طريق أبي يعلى وأبي عروبة وغيرهما (أي محمد بن المسيب ومحمد بن علي بن حرب) عن إبراهيم بن سعيد. النكت الظراف لابن حجر، المطبوع مع تحفة الأشراف للمزي (٦/ ٤٤٥-٤٤٦) . ورواه - أيضاً - ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/ ٢٢) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٩٦) . وفي دلائل النبوة (٣/ ٧٦-٧٧) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٢٦) في ترجمة محمد بن المسيب الأرغياني.

(١) هذا الحديث من رواية سعد بن سنان عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٤/ ٥١٩) ك الزهد - باب ما جاء في الصبر على البلاء. وقال: حديث حسن غريب. وقال الألباني: هو كما قال. انظر تعليقه على كتاب السنة للبغوي (٥/ ٢٤٥) . ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٨) ك الأهوال. وسكت عنه هو والذهبي. والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٩٦) . وابن عدي في الكامل (٣/ ١١٩٢) في ترجمة سعد بن سنان. والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٤٥) . وسعد بن سنان، صدوق له أفراد، كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب (١/ ٢٨٧) .

(٢) في ع، د، س : توبته .

(٣) ساقطة من ع، د ، س .

(٤) العير : الحمار الوحشي. وقيل : أراد الجبل الذي بالمدينة اسمه عيْر، شبه عظم ذنوبه به. انظر النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٢٨) .

(٥) هذا الحديث من رواية عبد الله بن مغفل رضي الله عنه ، وأخرجه الإمام أحمد (٤/ ٨٧) ، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٤٩) و(٤/ ٣٧٧) وقال : حديث صحيح على شرط =

« إذا أراد الله قبض عبد بأرض له جعل إليها حاجة »[(١)] .

« إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم باب الرفق »[(٢)] .

« إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب من كان فيهم، ثم بعثوا على نياتهم»[(٣)]

والآثار النبوية في ذلك أكثر من أن نستوعبها .

= مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي . والبيهقي في الأسماء والصفات ص(١٩٦) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ١٧٣). وذكره الهيثمي في مجمع الزائد (١٠/ ١٩١) وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادي الطبراني. وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٥٢) وقال الألباني : إسناده صحيح. انظر صحيح الجامع الصغير (١/ ١٤٤) .

(١) هذا الحديث من رواية أبي عزة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ص (٤٣٦-٤٣٧) . والترمذي في جامعه (٤/ ٣٩٤) ك القدر- باب ما جاء في أن النفس تموت حيث ما كتب لها، وقال : هذا حديث صحيح، وأبو عزة له صحبة . والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٩) . والدولابي في الكنى (١/ ٤٤). وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٢٢٨) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ١٩) . والحاكم في المستدرك (١/ ٤٢) وقال: صحيح، ورواته عن آخرهم ثقات، ووافقه الذهبي. وقال الألباني: وهو كما قال . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٢٢١) .

(٢) هذا الحديث من رواية عائشة رضي الله عنها . وأخرجه: الإمام أحمد (٦/ ٧١، ١٠٤ -١٠٥) والبخاري في التاريخ الكبير: (١/ ٤١٦) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٩٧) وفي شعب الإيمان: (٥/ ٢٥٣) و(٦/ ١٣٩، ٣٣٧) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٥٣-٥٤) وقال الألباني : صحيح ، انظر صحيح الجامع الصغير (١/ ١٤٣) .

(٣) هذا الحديث من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه : مسلم في (٤/ ٢٢٠٦) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت . والإمام أحمد (٢/ ٤٠) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٩٧) .

فصل

وهاهنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له، وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علماً ، وهو أن الله سبحانه له الخلق والأمر، وأمره سبحانه نوعان :

* أمر كوني قدري .
* وأمر ديني شرعي .

فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما (يحبه)[١] وبما يكرهه، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفر والأعيان والأفعال المسخوطة له، وهو يبغضها. فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله. وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني (وشرعه)[٢] الذي شرعه على ألسنة رسله، فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعاً، فهو محبوب للرب واقع بمشيئته، كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني، ولم تتعلق به مشيئته، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته، ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني، وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته، (فلفظ)[٣] المشيئة كوني، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون هي المشيئة وإرادة دينية فتكون هي المحبة .

---

(١) في ع، د، س : يحب .

(٢) في ت : وشرعه الديني .

(٣) في ت : ولفظ .

إذا (عُرف)[(١)] هذا (فقوله تعالى)[(٢)] ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[(٣)] . وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[(٤)] . وقوله : ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[(٥)] ولا يناقض نصوص القدر والمشيئة (العامة)[(٦)] الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره، فإن المحبة (غير)[(٧)] المشيئة، والأمر (غير)[(٨)] الخلق. ونظير هذا لفظ الأمر، فإنه نوعان :

* أمر تكوين .

* وأمر تشريع .

والثاني قد يعصى ويخالف، بخلاف الأول، فقوله تعالى : ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾[(٩)] ولا يناقض قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[(١٠)] ولا حاجة إلى تكلف تقدير أمرنا مترفيها بالطاعة فعصونا وفسقوا فيها، بل الأمر هاهنا أمر تكوين وتقدير لا أمر تشريع، لوجوه :

---

(١) في ع، د، س : عرفت .

(٢) في ت : بقوله .

(٣) سورة الزمر آية : ٧ .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٠٥ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

(٦) في د، س : العاملة .

(٧) في ت : عين .

(٨) في ت، م : عين .

(٩) سورة الإسراء آية ١٦ .

(١٠) سورة الأعراف آية : ٢٨ .

أحدها : أن المستعمل في مثل هذه التركيب أن يكون ما بعد الفاء هو المأمور به، كما تقول أمرته فقام، وأمرته فأكل، كما لو صرح بلفظة افعل كقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾[١] وهذا كما تقول: دعوته فاقبل. قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾[٢] .

الثاني : أن الأمر بالطاعة لا يخص المترفين، فلا يصح حمل الآية عليه، بل تسقط فائدة ذكر المترفين، فإن جميع المبعوث إليهم مأمورون بالطاعة، فلا يصح أن يكون أمر المترفين علة إهلاك جميعهم .

الثالث : أن هذا النسق العجيب والتركيب البديع مقتض ترتب ما بعد الفاء على ما قبلها ترتب المسبب على سببه، والمعمول على علته، ألا ترى أن الفسق علة « حق القول عليهم » و « حق القول عليهم » علة لتدميرهم، فهكذا الأمر سبب لفسقهم ومقتض له، وذلك هو أمر التكوين، لا التشريع .

الرابع : أن إرادته سبحانه لإهلاكهم إنما كانت بعد معصيتهم ومخالفتهم لرسله، فمعصيتهم ومخالفتهم قد تقدمت، فأراد الله سبحانه إهلاكهم، فعاقبهم بأن قدر عليهم الأعمال التي يتحتم معها هلاكهم .

فإن قيل : فمعصيتهم السابقة سبب لهلاكهم، فما الفائدة في قوله : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾[٣] وقد تقدم الفسق منهم ؟ .

قيل : المعصية السابقة، وإن كانت سبباً للهلاك، لكن يجوز تخلف الهلاك عنها ولا يتحتم، كما هو عادة الرب تعالى معلومة في خلقه أنه (لا يتحتم)[٤]

---

(١) سورة الإسراء آية : ٦١ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٥٢ .

(٣) سورة الإسراء آية : ١٦ .

(٤) في م ، ت : يحتم .

هلاكهم بمعاصيهم، فإذا أراد هلاكهم ـ ولا بد ـ أحدث سبباً آخر يتحتم معه الهلاك، ألا ترى أن ثمود / لم يهلكهم بكفرهم السابق حتى أخرج لهم الناقة فعقروها فأهلكوا حينئذ[١] ، وقوم فرعون لم يهلكهم بكفرهم السابق بموسى حتى أراهم الآيات المتتابعات. واستحكم بغيهم وعنادهم، فحينئذ أهلكوا[٢] . ١٥١أ

وكذلك قوم لوط لما أراد هلاكهم أرسل الملائكة إلى لوط في صورة الأضياف فقصدوهم بالفاحشة، ونالوا من لوط وتواعدوه[٣]، وكذلك سائر الأمم إذا أراد الله هلاكها أحدث لها بغياً وعدواناً (وظلماً)[٤] يأخذها على أثره .

و(هذه)[٥] عادته مع عباده عموماً وخصوصاً، فيعصيه العبد وهو يحلم عنه ولا يعاجله، حتى إذا أراد أخذه قيض له عملاً يأخذه به مضافاً إلى أعماله الأولى، فيظن الظان أنه أخذه بذلك العمل وحده، وليس كذلك ، بل حق عليه القول بذلك (العمل)[٦] وكان قبل ذلك لم يحق عليه القول (فأعماله الأول تقتضي)[٧] ثبوت الحق عليه، ولكن لم يحكم به أحكم الحاكمين ولم يمض الحكم، فإذ عمل بعد ذلك ما يقرر غضب الرب عليه، أمضى حكمه وأنفذه، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[٨] وقد

---

(١) كما قص الله ذلك في كتابه الكريم سورة هود الآيات من ٦١-٦٨ .

(٢) كما قص الله ذلك في كتابه الكريم سورة هود الآيات من ٩٦-٩٩ .

(٣) كما قص الله ذلك في كتابه الكريم سورة هود الآيات ٧٧-٨٣ .

(٤) ساقطة من ع، د، س .

(٥) ساقطة من ع، د، س .

(٦) ساقطة من ع، د، س .

(٧) في ع: بأعماله الأولى يقتضي . وفي د، س : بأعماله الأولى حيث عمل ما يقتضي. وما أثبت من ت، م .

(٨) سورة الزخرف آية : ٥٥ .

كانوا قبل ذلك أغضبوه بمعصية رسله، ولكن لم يكن غضبه سبحانه قد استقر واستحكم عليه، إذ كان بصدد أن يزول بإيمانهم، فلما أيس من إيمانهم تقرر الغضب واستحكم، فحلت العقوبة، (وهذا)[١] الموضع من أسرار القرآن، وأسرار التقدير الإلهي، وفكر العبد فيه من أنفع الأمور له، فإنه لا يدري أي المعاصي هي الموجبة التي يتحتم عندها عقوبته، فلا يقال بعدها، والله المستعان .

وسنعقد لهذا الفصل باباً[٢] في الفرق بين القضاء الكوني والديني، نشبع الكلام فيه إن شاء الله لشدة الحاجة إليه، إذ المقصود في هذا الباب (ذكر)[٣] مشيئة الرب تعالى، وأنها الموجبة لكل موجود، كما أن عدم مشيئته (موجب)[٤] لعدم وجود الشيء، فهما الموجبتان، ما شاء الله وجب وجوده، وما لم يشأ وجب عدمه وامتناعه، وهذا أمر يعم / كل مقدور من الأعيان ٥١ب والأفعال والحركات والسكنات، فسبحانه أن يكون في مملكته ما لا يشاء، أو أن يشاء فلا يكون، وإن كان فيها ما لا يحبه ولا يرضاه، وإن كان يحب الشيء فلا يكون لعدم مشيئته له ، ولو شاءه لوجد .

❊ ❊ ❊



(١) في ع، د، س : فهذا .

(٢) وهو الباب التاسع والعشرون من هذا الكتاب .

(٣) ساقطة من ع، د، س .

(٤) في ت : توجب .

الفقير إلى عفو ربه [illegible]
أحمد بن [illegible]